
الزهراء فاطمه
بنت محمد عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحیم

الزهراء فاطمه بنت محمد عليهما السلام

كاتب:

عبدالزهراء عثمان محمد (عز الدين سليم)

نشرت فى الطباعة:

مجهول (بى جا ، بى نا)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الزهراء فاطمه بنت محمد علیها السلام

اشاره

سرشناسه : سلیم، عز الدین عنوان و نام پدیدآور : الزهراء فاطمه بنت محمد علیها السلام/عبد الزهرا عثمان محمد (عز الدین سلیم) مشخصات نشر : [بی جا]: مهدی یار، ۱۴۲۷ق=۲۰۰۷م=۱۳۸۶. مشخصات ظاهری : ۳۳۱ص. وضعیت فهرست نویسی : در انتظار فهرستنویسی شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۹۶۶۸۸

الاهداء

الکتابُ الذی احرز الجائزه الثانیه فی مُباراه التألیف عن حیاه

الصدیقه الزهراء علیها السلام.

إلیک یا رسول الله (صلی الله علیه وآله)

وأنت یا أمیر المؤمنین (علیه السلام)

أرفع هذا المجهود الضّئیل

راجیاً قبوله منکما

المؤلف

[صفحه ۷]

آیات من کتاب الله

بسم الله الرحمن الرحیم

«إنما یُرید الله لیذهِب عنکُم الرجس أهلَ البیتِ ویُطهرکم تطهرا».

«قُل لا أسألُکم علیهِ أجراً إلاّ المودهَ فی القربی».

«فَمَن حاجّک فیه من بعدِ ما جاءک منَ العلمِ فقُل تعالوا ندعُ أبناءنا

وأبناءکم ونِساءنا ونساءکُم وأنفُسنا وأنفسکُم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله علی الکاذبین».

[صفحه ۹]

كلمات مشرقه

«... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاه تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاه تزكيهً للنفّس ونماء فى الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدّين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّه، وإمامتنا أماناً من الفرقه والجهاد عزّاً للإسلام وذلاًـ لأهل الكفر والنّفاق، والصبر معونه على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مصلحه للعامّه، وبرّ الوالدين وقايهً من السخط، وصله الأرحام منسأهً فى العمر ومنماهً فى العدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنّذر تعريضاً للمغفره، وتوفيه المكاييل والموازين تغييراً للبخسه، والنهى عن الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنه، وترك السرقه ايجاباً للعفه، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيه، فاتقوا الله حق تُقاته ولاـ تموتُّن إلاّـ وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنّما يخشى الله من عباده العلماء...».

الصديقه الزهراء

[صفحه ۱۱]

مقدمه الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

امتلأت نفسى ارتياحا حين نُبئت بالمسابقه التى دعت إليها «مكتبه العلمين» الموقّره فى النجف الاشرف لتأليف كتاب مستقل عن شخصيه الزهراء فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلّه ارتياحى لهذا النَّبأ: أنّ كثيرا من شباب أُمتنا اليوم تجهل الكثير عن أهل البيت (عليهم السلام) وليس بدعاً من الأمر حين نقول ذلك، لأنّ شباب الأُمه اليوم قد فقدوا الدّافع الذى يدفعهم للبحث عن الشّخصيات الإسلاميه بعد أن جهلوا الإسلام برمّته، وجذبتهم الألوان التى زُيّنت بها حضاره الغرب الجاهلى، واغتّروا بها وركضوا خلف سرابها الموهوم، وثمه نقطه أخرى تؤصّل هذه المأساه، أنّ الشباب المعاصر ليس فى وسعه الحصول على كتب مبّسطه تنطق بلغه العصر، تعرض حياه هؤلاء القاده من أهل البيت (عليهم السلام) لأنّ أكثر أئمه أهل البيت ما زالت

حیاتهم مبعثره فی کتب السیره القدیمه بترتیب لا یستسیغه شباب الیوم الذی اعتاد علی المجلات الملونه والجرائد المنمّقه والکتب الجذابه، وحین تکون الکتب القدیمه بأسالیبها غیر المستساغه الیوم من العوامل التی تسهم فی عملیه جهل شبابنا بسیره أهل البیت (علیهم السلام) فقد أصبح لزاماً علی ذوی الإحاطه بسیره أهل البیت (علیهم السلام) أن یقوموا بمهمه التألیف بأسلوب عصریّ عن

[صفحه ۱۲]

هذه السّیره الجلیله. وحین یتولّون هذه المهمه فإنّما یتولّونها کجزء من عملهم کدعاه لله ونهجه المقدّس، لأن تبیان سیره أهل البیت (علیهم السلام) یمثّل التجسید الحیّ للرساله الإسلامیه برمّتها، فهؤلاء القاده قد هظموا الإسلام بطابعه الأصیل فتمثل فی واقع حیاتهم کلّها، فهم فی الفکر وفی السّلوک وفی العواطف وکلّ الوان نشاطاتهم إسلام یسیر علی الأرض.

والباحث فی حیاتهم لا یتناول جانباً منها حتی یلمس جانباً من المنهج الإلهی قد انعکس واقعاً متحرّکاً حیاً ونحن حین نقول هذا لم نکن لننطلق بدافع عاطفی ینبثق من حبنا لأهل البیت (علیهم السلام) وإنّما نبنی هذه الحقیقه علی أساس رصین من أحکام لا تقبل النقد أو الرد کقوله تعالی: «إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیراً».

فأهل البیت (علیهم السلام) قد طهّرهم الله عقلاً ومنطقاً وسلوکاً من کلّ آثار الجاهلیه فعادوا وهم یحملون طابعاً کلّه قدسیّه وطهاره مطبوعه بطابع منهج الله سبحانه الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه، وحین یکون أهل البیت (علیهم السلام) قد أحتلُّوا هذا المقام السّامی فی الشّرع الإسلامی المقدس فقد انطلق الرسول الأکرم لتبیان هذه الحقیقه حین أعلن لأمّته موضّحاً قیمه أهل بیته (علیهم السلام) بقوله: «إنی خلفت فیکم ما إن تمسّکتم بهما

لن تضلّوا بعدی: کتاب الله وعترتی أهل بیتی فانظروا کیف تخلفونی فیهما».

فهم علی هـذا الأسـاس ترجمـان القرآن وصوره حیّه لمبـادئه السـماویه المقـدّسه، فالکتاب قرآن صامت وهم قرآن ناطق، وحین یتبوأ أهل البیت (علیهم السـلام) هذا المقام الکریم عند الله ورسالته الخالده فقد أصـبح لزاماً علی المنظّمات والهیئات الإجتماعیه والثقـافیه أن تحـذو حـذو «مکتبه العلمین الموقّره» فی شـحذ الهمم بوسائـل مادّیه أو معنویه للتألیف عن سـیره أهل البیت (علیهم السلام) لکی یجد شبابنا ما یسد فراغهم من کتب سیره مبسطه تلهمهم معرفه حیّهً بالرساله الإسلامیه.

ونحن حین نتنـاول الحـدیث عن الزهراء (علیهـا السـلام) بصـفتها غرس النبـوه وشـجره الإمـامه فإنّمـا تنکشـف لنـا أبعـاد الرسـاله الإسلامیه بطابع تجسیدی نلمسه فی

[صفحه ۱۳]

کـلّ جـانب من جوانب شخصـیتها (علیهـا السـلام) ونحن نتابعها، ففی قرانها بعلی بن أبی طالب (علیه السـلام) تنجلی لنا الصوره الحیّه التی رسـمها الإسـلام للقرآن الـذی ارتضاه خالق هذا الوجود، وفی مواقفها البطولیه بعد وفاه أبیها یتکشف لنا المدی البعید الـذی رسـمه الإسـلام للمرأه من حقوق وواجبـات ومـدی فاعلیتهـا فی بنـاء المجتمع الإسـلامی، وعلی هـذا الأسـاس تقاس سائر جوانب شخصـیّه الزهراء (علیها السـلام) وسـیدرک القاریء الکریم إن شاء الله هـذه الحقیقه عنـد متابعته لهـذا البحث المتواضع، ومن الله تعالی نستمد العون والسداد إنّه سمیع مجیب.

المؤلف

عبد الزهراء عثمان محمد

قرنه هویر

[صفحه ۱۷]

المدخل

زفت البشـری إلی عبد المطلّب شـریف مکه بمیلاد محمد (صلی الله علیه وآله) فأشرق وجهه وتهلّل فرحاً لهذا النبأ لأنّه وجد فی هذا الولید الجدید خلفاً لابنه الفقید عبدالله الذی ملأ قلب أبیه أسیً وألماً. وهبّ الشیخ الکریم

إلى بيت اليتيم ليستقبل وديعه ولده الفقيد، وكان أول واجب أدّاه الرّجل الحنون هو تسميته ب «محمد»، ومنحت آمنه وليدها كلّ رقّه وحنان حتى أصبح فى عمر يستحق بعثه إلى المراضع فى الباديه كما هى العاده التى يتّبعها الآباء لتربيه أبنائهم تربيه ينهضون على أساسها بأعباء الحياه القاسيه التى يحياها إنسان الصّحراء من فروسيه وركوب خيل وحمل سلاح وغير ذلك.

وأرسل عبدالمطلب الحنون وديعته إلى الباديه حيث تولّت حليمه السّعديه تربيته، ويترعرع محمد (صلى الله عليه وآله) فى حضن مربّيته الجديده ويعمّ الخصب كلّ الحى الذى نشأ فيه فضلاً عن البيت الذى تولّى مسؤوليه رعايته وتنشئته.

وتمضى الأيام وتنتهى الفتره التى أُعدت لتربيه الطفل اليتيم، ويعود إلى أمُه ليحظى من جديد بحنانها وإخلاصها المنقطع النظير، وليتفيّأ تحت ظلالها الوارفه، ولكن لفتره قصيره، إذ تعاجله يد المنون فتخطف أُمّه وتسلّمه ليتم جديد، بل لتعمّق آثار اليتم وتؤصّلها فى نفسه، وتتسلّمه يد عبد المطلب الأمينه لتواصل رعايته بعيداً عن آثار اليتم وذكريات الماضى، وتفيّأ الصبى محمد (صلى الله عليه وآله) من ظلال جدّه الحنون، ولكنّ الموت عاجله فغيب شخص جدّه عبد المطلب عنه، فعادت أشباح اليتم بضراوتها لتخيّم على محمد (صلى الله عليه وآله) من جديد.

ويسرع أبو طالب عمُّه الكريم ليسد الثغره التى حدثت فى حياه ابن أخيه، وليؤدّ وصيّه أبيه بشأن حبيبه محمد حيث ورّثه وصيّه خالده ما دامت السماوات والارض:

«اُنظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذى لم يشم رائحه أبيه ولم يذق شفقه أُمه، اُنظر أن يكون من جسدك بمنزله كبدك.. فإنى قد تركت بنىّ كلّهم وخصصتك به لأنّك من أُمّ أبيه...».

وينتقل محمد (صلى الله

علیه وآله) إلی بیت عمّه أبی طالب لیجد الرّحمه والحنان ترفرف فوق رأسه لتنسیه آلام حزنه وکآبته التی نالته بعد فقد أَمه وجدّه بعد أبیه، ویترعرع

[صفحه ۱۸]

محمد (صلی الله علیه وآله) وهو یتذوق طعم الحنان بأجلی صوره فهو یتمتع بشفقه الأُبوه متمثّله بشخص عمّه أبی طالب، وبحدب الاُمومه متمثّلاً بشخص زوجه عمه فاطمه بنت أسد التی وجد فیها الاُمّ الرؤوم التی احتضنته کما احتضنت ولیدها علیّاً (علیه السلام) وإلی جانب هذه اللذّه التی ذاق محمد طعمها وجد لذه الإلفه والإنسجام الروحی بینه وبین ابن عمّه علی (علیه السلام) حیث وجد فیه خیر صفیّ له فی فتوته، ویسخّر أبو طالب کلّ طاقاته المعنویّه والمادیّه لأجل محمد ودیعه أبیه العزیز، فوجد محمد (صلی الله علیه وآله) فی عمّه هالهً من العاطفه الخیّره تجاهه حتی صحبه فی اسفاره إلی بلاد الشام.

وترعرع الفتی فی بیت عمّه وراح ینفرد عن قومه فی لون حیاته الخاصه والعامه، فالصدق والأمانه والوفاء وحسن الخلق وجفاء الأصنام والعقائد السائده، کلّ ذلک کان دیدنه (صلی الله علیه وآله) حتی اعتادت قریش أن تسمّیه «الصادق الأمین» وقد احتکمت لدیه فی رفع الحجر الاسود عند بناء البیت فحلّ خصومتهم بإحضاره ثوباً وضع فی وسطه الحجر الأسود وأمر کلّ قبیله أن ترفع طرفاً من أطراف الثوب، وعند وصوله إلی المکان المعد له أنزله من الثوب. وقضی بذلک بینهم قضاءً حقن لهم دماءهم مما جعل صیته تتحدث به أندیه مکّه وغیرها، وبلغ صیته النساء القرشّیات فاُعجبن ومن بین النساء اللواتی طرق سمعها حدیث محمد (صلی الله علیه وآله) خدیجه بنت خویلد الإمرأه القرشیّه التی عرفت بثروتها وشرفها وعفّتها، وکانت قد فقدت زوجها

واختزلت من عمرها زمناً دون زواج.

سمعت هذه المرأه الثريه عن محمد (صلى الله عليه وآله) الشيء الكثير وراحت تستقصى أنباءه كلّ حين، وبلغها يوماً أنّ محمداً يفتش عن مال ينطلق به مع القافله إلى بلاد الشام للمتاجره هناك حيث اعتاد عرب الحجاز يومذاك أن يتاجروا مع بلاد الشام أو الحبشه حيث كانت مكه سوقاً عالميّه ومفترق طرق التجاره بين الشمال والجنوب، وتجد خديجه هوىً فى نفسها لمدّ محمد بما يحتاج إليه من مال شريطه أن يكون لها نصيب من الرّبح الذى يكسبه، وبعثت لذلك غلامها «ميسره» بغيه التفاوض مع محمد.

وعلى الفور يتّفق الطرفان ويسافر محمد وميسره فى تجارتها إلى الشام، وما هى إلاّ ـ ايام ويعودان وهما يصحبان ربحاً وفيراً، ويسرع ميسره إلى سيدته ليبشرها بنتائح الرحله، ولكنها لم تكترث للمال، بل راحت تستفسر عن سلوك محمد، خلال

[صفحه ١٩]

الرّحله، وراح ميسره يوضّح ما رآه عن محمد، فما كان من خديجه إلاّ أن يشرق وجهها بالبشر والأمل، الأمل الكثير الذى تنتظره، وهنا تزداد ثقه مما سمعته من الأنباء المثيره عنه، وهنا تتحدّى خديجه التقليد الذى اعتاد عليه الناس يومذاك حيث تبعث أُختها هاله أو نفيسه بنت منبه على قول لتتصل بمحمد، فتعرض عليه رغبتها فى الزواج منه، فيجد محمد (صلى الله عليه وآله) هوىً فى نفسه للفكره، التى عرضت عليه، فيتّصل بأعمامه ليشرح لهم ما جرى بينه وبين ممثله خديجه، فيستقبل أبو طالب وهو زعيم مكه وشريف العرب يومذاك هذا العرض بكلّ رحابه صدر واطمئنان، ويتّصل بذوى خديجه ليخطبها منهم مفتتحاً حديثه بالكلمه القصيره الآتيه:

«الحمد لله الذى جعلنا من زرع إبراهيم

وذريّه إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على النّاس، وبارك لنا فى بلدنا الذى نحن به ثم إنّ ابن اخى محمد بن عبدالله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح، ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان فى المال قُلّ، فإنّ المال رزق حائل وظلٌّ زائل، وله فى خديجه رغبه ولها فيه رغبه، وصداق ما سألتموه عاجله من مالى وله والله خطب «عظيم، ونبأ شائع».

وبعد مناقشات مع عمّها عمرو بن أسد، قبل العرض وزوج ابنه أخيه إلى محمد (صلى الله عليه وآله)، ويعانق قلب محمد (صلى الله عليه وآله) قلب خديجه وتنسجم روحاهما فى وقت كان محمد (صلى الله عليه وآله) يبلغ الخامسه والعشرين سنه من عمره، ويبلغ عمر خديجه الأربعين سنه.

وتمر الأيام سريعه يعيش فيها محمد وخديجه عيشه هانئه ندّيه، يقضى فيها محمد أكثر أوقاته بعيداً عن غوغاء الجاهليه وضجيجها فى «غار حراء» خارج مكه متأملاً ـ فى أوضاع قومه المترديه، متفكراً فى ملكوت الله سبحانه، وخديجه تشاركه أحاسيسه ومشاعره بقلب يفيض بالحبّ والوفاء، وهى فى داخل بيتها، ويبلغ محمد (صلى الله عليه وآله) الأربعين من عمره، ويطالعه الوحى ليكلّفه مسؤوليه حمل رساله الإسلام رساله السّماء وتبليغها للمجموعه البشريّه، فيستمع إلى أول بيان إلهى ليتحمّل أعباء الرساله:

[صفحه ۲۰]

«إقرأ باسم ربّک الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربُّک الأکرم الذى علّم بالقلم علّم الإنسان ما لَم يعلم....».

ويعود محمد وهو يحمل نبأ تکليفه بحمل الهدايه إلى الإنسانيّه، يعود من «حراء» إلى بيته فتستقبله خديجه الوفيه، فيبشرها بما رأى، فتصدّقه وتؤمن به، ويصدّقه على (عليه السلام) حيث

كان يافعاً وقد ربّاه محمد فى بيته بعد أن أملق عمّه أبو طالب، وتنشأ أول نواه فى الأرض لخلق «خير أَمّه أَخرجت للنّاس...».

ويحس محمد (صلى الله عليه وآله) بدوّار وتعب فيطلب لخديجه أن تدثّره لينام قليلاً ولكنّه فوجىء ببيان السّماء للنُّهوض بأعباء الدعوه وأن يضم إلى جانب حمل الرساله حمل الدعوه لها:

«يا أيها المُدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهّر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر؛ ولربّك فاصبر»...

ونهض لينفذ نداء السّماء، فيتّصل بأصدقائه وممن يثقون بصدقه وأمانته سابقاً، فصدّقه بعضهم. واستمر الرّسول (صلى الله عليه وآله) يدعو بصوره فرديّه لأنّ الظروف يومئذ لا تسمح إلاّ بسريه الدعوه، واستمر يعمل طبقاً لهذا المنهاج ثلاث سنين لتثقيف أتباعه فى دار الأرقم المخزومى، ولكنّ هذه الفتره من عمر الدّعوه لم يكسب فيها غير زهاء الأربعين شخصاً، أكثرهم من الفتيان والفقراء، وفى أحد الأيّام تلقّى محمد (صلى الله عليه وآله) بياناً كلّفه بالإنتقال إلى مرحلةٍ جديدةٍ من مراحل الدعوه المباركه: «وأنذر عشيرتك الاقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين».

وبهذا النّداء الإلهى القويم يدخل الرسول (صلى الله عليه وآله) مرحله جديده: مرحله إنذار عشيرته وكان ذلك بسبب الحياه القبليّه التى يعتمد عليها المجتمع المكّى بل الحجازى يومذاك.

ويدعو محمد (صلى الله عليه وآله) عمومته وأبناء عشيرته من بنى هاشم ليتناولوا وليمه أقامها لهم فى بيته، ويعلن لهم: أنّه مرسل من الله، وأنهم مطالبون بتصديقه واتّباعه، لكنّه فوجىء باستهزاء عمّه عبد العزى ابن عبد المطلب المعروف بأبى لهب، فعرقل مسيرته بكلمته الهوجاء مخاطباً بنى هاشم: «خذوا على يدى صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإن منعتموه قتلتم وإن تركتموه ذللتم».

[صفحه

ولكنّ أبا طالب الرّجل المؤمن الفذ ردّ أبا لهب ردّاً عنيفاً بقوله:

«يا عوره، والله لننصرنّه ثم لنعيننّه. يا ابن أخى، إذا أردت، أن تدعو إلى ربّك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح..».

وتتحدث أنديه مكه بخبر محمد (صلى الله عليه وآله) ويؤلف أبو لهب حزباً لمقاومه الرسول (صلى الله عليه وآله) فكان يخرج إلى أحياء مكه واسواقها بحثاً عن محمد (صلى الله عليه وآله)، وكلّما وجده مع قوم أفسد عليه أمره ومنعه من تبليغ رسالته ووقفت قريش فى وجه محمد وأصحابه آخذه بمبدأ أبى لهب العدوّ اللدود الطليعى لله ورسالته ورسوله، وكان أوّل ما فكرت به قريش هو اتباع الطريقه السلميّه فى مواجهه الدعوه عن طريق مفاوضات تطفح بالمساومات والإغراء بالمال والجاه والسلطان.

وكان يمثل محمداً فى هذه المفاوضات عمّه الوفىّ أبو طالب، وكانت قريش تأمل أن يتنازل محمد عن دعوته تحت مطارق إغرائه بالمال وغيره، ولكنّه صرّح بكلمه عنيفه وضح فيها تصميمه الثابت على دعوته لأنّها دعوه الله، فلا ـ تخضع للمساومات والإغراء:

«يا عمُّ، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى شمالى: على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه....».

وبهذه الكلمه الصّريحه الخالده قطع محمد (صلى الله عليه وآله) هذه المفاوضات فارتدت قريش على أدبارها مهزومه، وكان لا بدّ لها من تبرير لهزيمتها الفظيعه، ففكرت باتّباع سياسه التنكيل والتشريد لأتباع محمد (صلى الله عليه وآله) حتى ينفضوا فتموت الدّعوه فى مهدها، ونفذ هذا المخطط بحذافيره، فكانت أسواق مكّه تضج بهتاف الدّعاه الأبرار وهم يهتفون: أحد، أحد وكان ضحيه هذه الخطه الهوجاء ياسر وسميه حتى فارقا الحياه.

ويمر محمد على مسرح التّعذيب فيثير

حماس الصّابرين بقوله: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنّه».

فيزداد هتافهم لله حتّى تصعد أرواحهم إليه راضيه مرضيّه، ولم يقف التنكيل على أشخاص الصّحابه الأبرار وإنّما تعدّى إلى شخص الرّسول القائد نفسه حيث

[صفحه ۲۲]

كان أبو لهب وزبانيته يلقون عليه الأحجار ويضعون الشّوك فى طريقه ليلاً، فكم كانت الدّماء تسيل من أعضائه الطاهره ولكنّه يستقبلها بكلمته الهادئه: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

[صفحه ۲۵]

يوم سعيد

وفى مثل هذا الظّرف الدّقيق الّذى تمرُّ به الدعوه الإسلاميه حيث يلتحم معسكر الإيمان وهو ما زال غضّاً مع معسكر الوثنيه بقوّته وجبروته. وفى مثل هذه المعركه الضاربه بين رساله السماء وفوضى الجاهليه، وفى أقسى الظروف التى تمرُ بها الرساله الإسلاميه المباركه، يعلن البيت النبوى بيت الرساله نبأ ميلاد فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

ولدت فاطمه المباركه فى وقت كانت أُمها قد قوطعت نهائياً من جميع النساء القرشيات، أُسوه برجالهن الّذين قاطعوا محمداً المنقذ (صلى الله عليه وآله). وحين يكون بيت الرساله قد قوطع من قريش هذه المقاطعه العنيفه، وحين يحاصر هذا الحصار الشاق، فلا بد للسماء أن تحطم هذه الأغلال وتقهرها أمام عمل غيبى مشهود، فما دام أهل الأرض وأهل الدنيا وهم منغمسون فى جاهليه جهلاء قد تعاهدوا على محاصره محمد وأهل بيته (عليهم السلام) فالسماء مستعده لنصرته ونصره من يحذو حذوهم..

أنّى كان لون ذلك النصر والعون، ماديّاً كان أم معنويّاً، وليس ذلك بعسير على الله سبحانه، وليس من المستحيل عليه، وإن تشككت به بعض العقول المعاصره، لأنّ هذا الشك المرير الذى تحياه بعض النفوس اليوم ما هو إلاّ

نتيجه لجذب النّفوس من الإيمان بالله سبحانه، فلو امنت النُّفوس بالله وقدّر الناس ربهم حقّ قدره، لعلموا مدى قدرته وأبعاد حكمته وإطار علمه، ولكن الجدب الروحى والفكرى هو الذى يملى الظنون وإنكار كلّ شيء لا يخضع للحس.

أجل امتدّت يد السّماء الكريمه لتشارك خديجه فى مراسيم ولادتها لفاطمه، وفعلاً دخلت على خديجه نساءٌ سمر طوال كأنّهن من نساء قريش ولسن منهنَ، وإنما جئن من خارج هذا العالم المحسوس، جئن من العالم الذى حجبت أبصارنا عن رؤيته، جئن من عالم الآخره ليلين من بنت خويلد كما تلى النساء من النساء أثناء الولاده.

وتتحفنا روايات التأريخ الإسلامى: أنّ النساء اللائى زرن خديجه هنّ: حوّاء وآسيا بنت مزاحم وكلثم أُخت موسى ومريم بنت عمران [١] .

[صفحه ٢۶]

وتضع خديجه ابنتها الزّهراء، فيذاع النّبأ، وتردّد أصداؤه فى كل أُفق ليبلغ كلّ مجاهدٍ من أتباع محمد (صلى الله عليه وآله)....

ولدت فاطمه المباركه فى وقت كانت أُمُّها تنتظر مولودتها بفارغ صبر ولهفه شوق لتميط عنها الوحشه التى فرضتها عليها قريش.

وكان لهذا النّبأ صداه العميق فى النفوس المجاهده الصّابره فى المعترك وفى جميع الجبهات التى تملكها دعوه الله فى مكه، وسرى النّبأ إلى القائد محمد (صلى الله عليه وآله) فأشرق وجهه بالبشر وتهلل فرحاً وسروراً، وأسرع إلى خديجه ليبارك لها فى مولودتها المباركه، وكان أول بادره فاه بها (صلى الله عليه وآله): أن دعاها بفاطمه ولقّبها بالزّهراء...

وراحت تتغذّى بلبن أُمها السيّده خديجه مشوباً بالهدايه، فراحت تنمو روحياً وفكرياً كما تنمو جسميّاً وفسيولوجيّاً، وكان اهتمام محمد بها منقطع النّظير، ولكنّ هذا الإهتمام لم يكن مجرد اهتمام عاطفىّ تفرضه عاطفه الابوه فحسب بل كان هذا الإهتمام

مقصوداً وهادفاً، حیث رأی الرسول (صلی الله علیه وآله) فی ولاده فاطمه ولاده الإمداد الرّسالی لأنّ فاطمه ستکون وعلیّ (علیه السلام) مدرسه یتخرّج فی أحضانها قاده الأمه المخلصین المتمثلین بأئمه أهل بیت الرساله المعصومین الأئمه الإثنی عشر

وهنا تتجلّی حقیقه أُخری: هی أنّ الید التی صنعت من فاطمه أُمّاً للقاده المعصومین هی نفسها الید التی صنعت من علیّ بن أبی طالب (علیه السلام) أباً وزعیماً لهم حیث کان الرسول (صلی الله علیه وآله) قد ربّی علیّاً فی بیته یوم أملق عمّه، فلم یکن اختیاره لعلیّ قد صدر کما تصدر الأعمال العفویه وإنما کان ذلک وفق تصمیم غیبیٍّ رصینٍ لکی تکون بیئه علیٍّ هی نفسها بیئه فاطمه... ولکی یکون التوجه واحداً والتربیه واحده، ولکی ینشیء علیّ وفاطمه بعد زمن مدرسه الإمامه لتکون الإمداد الرسالی لرساله محمد (صلی الله علیه وآله) وفقاً للإراده الإلهیه المرسومه.

ونحن لا نثق مطلقاً بالأباطیل التی تدّعی أنّ محمداً قد ربّی علیّاً لمجرد صدفه غیر مقصوده، بل إنّنا نری فی هذه الأقوال حطاً من شخصیه الرسول المعصوم (صلی الله علیه وآله) لأنّ أهل المذاهب الإجتماعیه الهابطه إنّما یتصرفون فی حیاتهم تصرّفاً هادفاً فی شتی مجالات نشاطهم، ففی سلوکهم وفی علاقاتهم مع الآخرین، کلّ ذلک بغیه إنجاح مذاهبهم وتثبیت دعائمها، فکیف بمن اختاره الله سبحانه لحمل الرساله

الخاتمه للعالمین: «وما ارسلناک إلاّ رحمه للعالمین». فهل یسیر فی حیاته طبقاً للصّدف والظروف؟ نحن لا نرتضی ذلک أبداً، بل إنّ عقیدتنا لا تسمح لنا بتردید هذه النغمات علی الإطلاق، فضلاً عن الاعتقاد بها.

وقد أثبتت الأدله التاریخیه القاطعه: أنّ محمداً القائد (صلی الله

عليه وآله) كان يخطط لإنجاح دعوته ما لم يستطع عباقره القرن العشرين من الإهتداء لبعضهما، فهل يعجز يا ترى عن التّفكير فى تبنّى ابن عمه علىّ بن أبى طالب وإنشائه، إنشاءً روحيّاً وفكرّياً بعيداً عن المصادفات والظروف، وطبقاً لمصلحه إلهيه محتومه؟.

وترعرعت فاطمه فى بيت الرساله المقدسه حتّى نبت لحمها على الهدى وجرى مع دمها شعاع الإيمان لكى تشعّ على الدنيا أنوار الهدايه بعد أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن طريق القاده الذين يتخرجون فى مدرستها مدرسه الوحى والإيمان .

وهكذا آن لفاطمه أن تتلقّى تعاليم الوحى تلقى تنفيذٍ وتمثيلٍ على فكرها وسلوكها وكلّ ألوان نشاطاتها.

وهنا يأتى دور المؤرّخين لسيره الصدّيقه الزّهراء (عليها السلام) فتتضارب رواياتهم فى تأريخ ميلادها الميمون، فقد ذهب أكثر مؤرخى الشّيعه الإماميه إلى أنّها وُلدت بعد بعثه أبيها بخمس سنين وهو المشهور ويذهب البعض أنّها ولدت قبل البعثه بخمس سنين وقريش تبنى البيت، وأنا أُرجح ما يذهب إليه القائلون بالرأى الأول، وعلى هذا الأساس جرى حديثى عن حياتها (عليها السلام).

[صفحه ۳۱]

فى معسكر الإيمان

ويدلهم الخطب ويحمى الوطيس بين معسكر الإيمان الفتىّ ومعسكر الضلال بجبروته وكبريائه، وقد فشل المعسكر الوثنى فى تنفيذ شعار الإباده الذى حمل لواءه أبو جهل وأبو لهب ومن يدور فى فلكهما بغيه خنق الدّعوه فى مهدها، فالرّسول (صلى الله عليه وآله) وفقاً لتسديده من السّماء فوّت عليهم الفرصه بمخّطط جديد نفّذه بسرّيه وفوريه، حيث أرسل حمله من أصحابه بقياده جعفر بن أبى طالب إلى بلاد الحبشه التى يمتاز زعيمها (النجاشى) بحسن اخلاقه، فضلًا عن اعتناقه دين النصرانيه، وقد بلغ المهاجرون إلى الحبشه نيفاً وثمانين مهاجراً، وقد عاملهم

النجاشی معامله طیبه مما جعل قریشاً تهتم لهذا الأمر الذی أقضّ مضجعها، فأرسلت عمرو بن العاص وعماره بن الولید المخزومی یحملان الهدایا إلی النّجاشی، وفور وصولهما أعلنا للنجاشی عمّا قدما علیه فقالا:

«سفهاء من قومنا خرجوا عن دیننا، وظلّلوا أمواتنا، وعابوا آلهتنا، وإن ترکناهم ورأیهم لم نأمن أن یفسدوا دینک».

وبعث النجاشی وراء جعفر لیطّلع علی حقیقه ما سمعه بل وفوجیء، به فکان ردّ جعفر حاسماً، ردّ کیدهم إلی نحورهم حیث صرّح بقوله:

«إنّ هؤلاء علی شردین: یعبدون الحجاره، ویصلُّون للأصنام، ویقطعون الأرحام، ویستعملون الظلم، ویستحلون المحارم، وإن الله قد بعث فینا نبیاً من أعظمنا قدراً وأشرفنا سرراً وأصدقنا لهجه وأعزّنا بیتاً فأمر عن الله بترک عباده الأوثان، واجتناب المظالم، والمحارم، والعمل بالحق؛ والعباده له وحده».

وبهذا الإعلان الصریح الذی کشف فیه جعفر عن سوءه قریش، اهتزّت مشاعر النجاشی فردّ علیهم هدیّتهم وعنّفهم بقوله:

«أأدفع إلیکم قوماً فی جواری علی دین الحق، وأنتم علی دین الباطل؟».

ولکن النجاشی لم یکتف بما سمعه من جعفر بن أبی طالب (علیه السلام) عن الدین الجدید، فسأله أن یقرأ علیه شیئاً مما أُنزل علی محمد (صلی الله علیه وآله). وهنا تبرز الحکمه بکل ملامحها فی شخصیه الدّاعیه جعفر حیث یتلو علیهم سوره مریم. نظراً لنصرانیه النجاشی، وما أن انتهی من تلاوه السوره حتی أبکی النجاشی ومن حضر عنده. ولما أحسّ عمرو وعماره مبعوثا قریش بإفلات الزّمام من أیدیهما حاولا

إغراء النجاشی بالمسلمین المهاجرین فقالا: «إن هؤلاء یزعمون: أن المسیح عبد مملوک» مما جعل النجاشی یشمئز لذلک، فاتصل بجعفر المخلص لله ورسوله لیعلن له ما ادعاه وفد قریش، فطمأنه جعفر بقوله: «إنّ

المسيح عندنا روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم». فيطمئنّ النجاشي بعدها وتنتهي المؤامره التي دبّرها قاده المعسكر الوثني للفتك بالمسلمين وكانت عاقبه أمرهم خسراً.

واجتمع زعماء الشرك وأقرّوا مشروعاً جديداً ليتركز على صاحب الرساله ذاته، ولكنّه مشروع دعائي حيث كرّست قوى الشرك كلّ ما في جعبتها من وسائل وإمكانيات ماديّه ومعنويه للحط من قيمه الرساله بتوهين صاحب الرساله نفسه عن طريق حمله دعائيه عمّت أكثر الأحياء في الجزيره العربيه، وكانت هذه الحمله تحمل نغماتٍ شتى، فقد ادّعى مروّجوها: أنّ محمداً كذاب، فشاعر، فمجنون وساحر.

ولكن هذه النغمات مع ما صحبها من رصيد دعائي ضخم لم تؤد فاعليتها بل لم تحقق أيّ غرض على الإطلاق مما جعل دار الندوه تفتتح أبوابها لتتلقى اجتماعاً لأقطاب الشرك قرّروا بعد مداولات ومشاورات: أن يقتلوا محمداً ذاته، ولكنهم فوجئوا بعقبه كأداء تحول دون تحقيقهم لهدفهم الدنيء، إذ وقف المؤمن الوفيّ أبو طالب موقفه الصُّلب فأعلن أنهم غير قادرين على ذلك إطلاقاً

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتّى أوسّد في التراب دفينا

ولمّا بلغ قريش ردُّ الفعل الذي أصاب سيد العرب أبا طالب، تنازلت عن رأيها، وأقرّت مشروعاً جديداً يقضي بمقاطعه قريش لمحمد وبني هاشم ومن يدور في فلكهم، وقد دوّنوا بنود المقاطعه التي تقضي بعدم مبايعه أو مناكحه أو معامله بني هاشم على الإطلاق، وختموا القرار بثمانين خاتماً وعلّقوها في الكعبه المشرفه وحوصر بنو هاشم في شعب أبي طالب، وذاقوا لذلك كل عسر ومشقه وهوان.

وهنا يتجلّى دور خديجه التي أوقفت كلّ طاقاتها في سبيل الدعوه، فأنفقت كلّ ثروتها في تلك الأيّام العصيبه التي مرّ بها محمد والإسلام، واستمرت المقاطعه ثلاث سنين حيث

أبطل مفعولها يوم أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله): أنّ الأرضه قد أكلت صحيفتهم، وبعد أن أخبرهم أبو طالب بما نبّأ به ابن أخيه وقعت فتنه بين قوى الشرك كانت نتيجتها فى صالح الرساله المقدسه، حيث أسلم عدد كبير من الناس،

[صفحه ۳۳]

فضلاً عن أنّ المقاطعه أدت إلى تصلُّب عقيده بنى هاشم وأتباعهم من المؤمنين.

وفى هذه اللحظات العصيبه من حياه الإسلام ورسوله أعلن بيت الرساله نبأ افتقاد المجاهده أُمّ المؤمنين خديجه بنت خويلد حيث اختطفها ريب المنون، فتكدرت حياه محمد لموتها، وبعد مضى ثلاثه أيّام على فقدها فوجىء الإسلام بفقد المحامى والمدافع الأول عنه فى أقسى ظروفه أبى طالب الرجل المؤمن الصلب الذى وقف المواقف البطوليه فى وجه الشرك وأقطابه، وبفقد أبى طالب استولى الحزن على رسول الله (صلى الله عليه وآله). ووقف على عمّه ليلقى نظره الفراق وهو يقول بقلب مزقه الألم:

«يا عم ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّى خيراً».

ويستولى الحزن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفقد أبى طالب وخديجه مما جعله يقول:

«اجتمعت على هذه الأُمه فى هذه الأيّام مصيبتان لا أدرى بأيّهما أنا أشدُّ جزعاً؟».

وهذه الكلمه ترينا أنّ وراءها قلباً قد هده الأسى وأخذ مأخذه فيه، وقد تنجلى هذه الحقيقه إذا قلنا: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أطلق على العام الذى فقد فيه أبا طالب وخديجه، «عام الحزن».

ويزداد ألم محمد (صلى الله عليه وآله) ويتأصّل فى نفسه عندما تتعلّق بضعته فاطمه بثيابه إذ استولى الأسى على مشاعرها فتتعلّق بأبيها باكيه وهى تقول: «أبى أبى، أين أُمّى، أين أُمّى؟».

فيبكى الرسول الكريم لبكائها

وینغص عیشه، فتشترک السماء معه فی المأساه وینزل جبریل (علیه السلام) فیقول: «یا محمّد، قل لفاطمه: إن الله تعالی بنی لأمّک بیتاً فی الجنّه من قصب لا نصب فیه ولا صخب». تلطیفاً لمشاعرها وتخفیفاً لعنفوان حزنها وآلامها.

ویشمت الأعداء، بمحمد وتشتدُّ مؤامراتهم للنّیل منه بعد ما وثقوا من قلّه ناصره بعد أبی طالب، الدرع الواقی للرساله، وأحسس بالخطر به وبرسالته، فخرج من مکه یلتمس الأنصار لإیوائه وحمایته من القتل، وراح یتصل بالقبائل خارج مکه یفاوض أهلها وأشرافها بغیه منعه من القتل قائلًا: «لا أکره أحداً

[صفحه ۳۴]

منکم، إنّما أُرید أن تمنعونی مما یراد بی من القتل حتی أُبلِّغ رسالات ربی».

ولکنّ أحداً من قومه لم یجره، ففکر فی الخروج إلی الطائف حیث تقیم قبیله ثقیف الکبیره علّه یجد مجالاً ـ لبث دعوته، وقابل زعماء القبیله، ولکنهم ردّوه ردّاً قاسیاً یتّسم بطابع السُخریه والجفاء، ولم یکتف هؤلاء بالأسلوب السلمی الجاف، بل عمدو إلی استعمال طریقه العنف لصاحب الدّعوه حیث هاجم صبیانهم محمداً (صلی الله علیه وآله) بالحجاره حتی أدموه فعجز حتی عن مواصله سیره فاستند إلی جدار بستانٍ فی خارج مدینه الطائف، وقد وصف حالته بقوله: «ما کنت أرفع قدماً ولا أضعها إلّا علی حجر...» ویعود محمد (صلی الله علیه وآله) إلی مکه فی وقت کانت قریش قد اجتمعت فی دار الندوه، وهی تستعرض الظّرف الذی تعیشه الدّعوه بعد وفاه أبی طالب...

وبعد مشاورات ومحاولات ومفاوضات وجدت قریش أنّ الظّرف ملائم لتنفیذ مشروع یقضی بقتل محمد (صلی الله علیه وآله) بعد أن خلا لهم الجو من معارض صُلب کأبی طالب، ولکنّهم اختلفوا فی الصّیغه التی سیتم بها مشروع القتل الدنیء.

وبعد

مناقشه آراء عدیده طرحها المؤتمرون كان فی طلیعتها رأی یقضی باعتقال محمد (صلی الله علیه وآله) فی بیته ویلقی إلیه طعامه حتی یتفرّق عنه أتباعه بعد حین ثم یعجّل بقتله، وقد نوقش هذا الرأی ولم یقرّه المؤتمرون فی دار الندوه.

وأخیراً عرض أبو جهل رأس الشرك یومذاك رأیاً یقضی بقتل محمد ولكن عن طریق فوریه فی التنفیذ أولاً، وأن یجتمع علی قتله من كل قبیله شاب قوی، لكی لا تقوی بنو هاشم ثمّ علی مقاومه القبائل العربیه جمیعاً، فینهالوا علیه بضربه رجل واحد مما یجعل دمه یذهب هدراً...

وصفق المؤتمرون لرأی قطب الشرك والظّلال أبی جهل وأقروه بالإجماع وأنبأت السماء محمداً (صلی الله علیه وآله) بمقرّرات دار الندوه، وصدرت الإراده الإلهیه بهجره محمد إلی یثرب، شریطه أن یدع علیّاً (علیه السلام) علی فراشه لیؤدی عنه أماناته ویلحق به بعد زمن، حاملاً معه بضعه الرسول فاطمه الزهراء (علیها السلام) وغیرها من النساء الهاشمیّات. وخرج محمد (صلی الله علیه وآله) تحت جنح الظّلام وأسرع المتآمرون لإلقاء القبض علیه فی بیته ولكنهم فوجئوا بعلیّ بن أبی طالب (علیه السلام) یخرج إلیهم وینبئهم أنّ محمداً (صلی الله علیه وآله) قد خرج عن مكه بعد أن رغبوا هم بخروجه عنها.

[صفحه ۳۵]

وما أن نبأهم علیّ بخروج محمد عن مكه إلا وقد خیم علیهم الوجوم والدّهشه فطلبوه فی الجبال والودیان ولكنّهم لم یقعوا علی خبره، حتی بلغوا جبل ثور وقد أعیاهم الطلب فوقفوا علی باب غار فیه یتلاومون، وظنّ بعضهم أن محمداً قد اختفی فی الغار ذاته. وبعد قلیل بحث وجدوا أن حمامةً قد باضت فی عشها عند باب الغار، فضلاً عن أن عنكبوتاً

قد بنى بيته على باب الغار نفسه مما جعلهم يستسلمون لليأس، فعادوا بعدها خائبين.

واختفى محمد (صلى الله عليه وآله) فتره فى داخل الغار، هاجر بعدها إلى يثرب وكانت هجرته (صلى الله عليه وآله) بعد مضى ثلاث عشره سنه من مبعثه المبارك.

دخل محمد يثرب، فاستقبلته عن بكره أبيها، تهتف بحياته وترتّل الأناشيد الترحيبيه النديّه :

طلع البدرُ علينا

من ثنيّات الوداع

وجبَ الشكرُ علينا

ما دعا لله داع

أيُها المبعوث فينا

جئت بالأمر المُطاع

واحتضنت يثرب الدعوه، لتكون مسرحاً ومنطلقاً لها لتشعّ على العالم نور الهدايه والفضيله، وبهجره الرسول القائد إلى يثرب دخلت الدعوه مرحله جديده من عمرها حيث أقام الرسول دولته الكريمه التى راحت تحمل القرآن فى يد والسيف فى بيد أخرى، ذوداً عن الرّساله ونشراً لتعليماتها المنقذه، وقد آن للرساله أن تمرّغ قوى الضّلال فى الوحل، وقد آن لهذا الدين أن يظهره الله ولو كره المشركون.

[صفحه ۳۹]

فى الطريق الى يثرب

مركز القياده الإسلاميه المتمثّله بالقائد محمد (صلى الله عليه وآله) قد حلّ فى أرض جديده هى يثرب، وهى بدورها قد احتضنت محمداً (صلى الله عليه وآله)، وهو كذلك قد وجد فيها المنطلق الحيوىّ لبثّ تعاليم السّماء إلى الآفاق شرقاً وغرباً، ومكّه الآن قد اختفى فيها صوت محمد (صلى الله عليه وآله)، فهو لم ير فى شارع يدعو، ولا فى وادٍ يعدو يبشر، ولا فى سوق يندّد بالأوثان، ولا فى نادٍ يوجّه أتباعه ويدلّهم على معالم رسالته المباركه، ولا يرى محمد (صلى الله عليه وآله) حتى فى بيته، وقريش تأكدت من هجرته إلى يثرب بعد أن فشل المأجورون فى قتله والوحى هو

الآخر قد انتقل إلى يثرب ليواصل حلقات الرّساله الإلهيه المتسلسله، وقريش امتلأت حقداً يصحبه طابع من الخوف بعد أن رأت أن أحياء مكه قد اختفت عنها نشاطات الصّفوه المؤمنه، وأنّها قد هاجرت إلى أرض جديده أكثر قدره على احتضان الدّعوه المباركه، بعيده عن ضغط قريش ومكائدها وسلطانها ولم يبق فى مكّه إلا علىٌّ بن أبى طالب (عليه السلام) ونفر من النساء فى طليعتهنّ فاطمه الزهراء بنت محمد (صلى الله عليه وآله) وبعض من عجزه المؤمنين وشيوخهم، وعلىٌّ هو الآخر عازم على الرّحيل ليحمل بقايا الدعاه الصابرين إلى مركز قيادتهم، ولكنّه غير فاعل ذلك ما لم يؤدّ أمانات أخيه محمد (صلى الله عليه وآله) الذى اعتاد الناس أن يودعوا حاجاتهم لديه، وسمّوه بالأمين.

ويسرع علىٌّ (عليه السلام) بتنفيذ هذه المهمه، وبعد مضى ثلاثه أيّام على هجره القائد محمد (صلى الله عليه وآله) يعلن علىٌّ (عليه السلام) نبأ رحيله إلى يثرب، ويهيىء هوادج لحمل النساء الهاشميات.

ويحمل: فاطمه الزّهراء (عليها السلام) وأُمه فاطمه بنت أسد، وفاطمه بنت الزبير بن عبد المطلب وفاطمه بنت حمزه، وغيرهنَّ، ويودع مكّه المكرمه، ونفسه ممتلئه عزّه وكبرياء على طواغيت وأوضار الجاهليه، وهو غير آبهٍ بما وراءه من عصاه الخالق مهما دبّروا ومهما خطّطوا لإيقاف الزّحف المقدس والمسدد بقوه السماء.

ولكن قريشاً فزعت لهذا الحدث الجديد، وحملها حنقها الشديد على مواجهه الموقف بعمليه عسكريه لتدرك ثأرها من محمّد وأتباعه بقتلها عليّاً (عليه السلام) لأنّها رأت فى خروج علىٌّ (عليه السلام) والتحاقه بابن عمه فى يثرب على مسمع ومرأى منها تأكيداً لاهانتها، وهى بالأمس قد ذاقت مراره فشل ذريع بعد أن فشت المؤامره الأثيمه التى صمّم أدوارها صناديدها وكبراؤها، فلا بد والحاله هذه

أن تقوم

[صفحه ۴۰]

بعمليه صارمه لغسل العار الذى لحقها على يد محمد (صلى الله عليه وآله)، ولكن ما هو السبيل الناجع الذى تسلكه قريش لتدرك ثأرها من محمد...؟

ها هى قافله علىّ والزهراء (عليهما السلام) ومن معهم تبدو من بعيد، وهى تحت السير قاصده يثرب...

وما هى إلاّ ساعاتٍ سوف تختفى القافله المهاجره، تاركه خلفها عاراً وشناراً جديداً يلحق صناديد قريش وأسياد العرب يومذاك

كلُّ هذه الأوهام راحت تدور فى ذهنيه الزعماء من قريش، فحملتهم على وضع حلّ حاسم للحادث الجديد قبل أن يفلت الزّمام من أيديهم كليّاً

واجتمعت الكلمه بعد مناقشات واجتماعات عاجله فرضتها الحادثه الجديده، وانفضّ الجمع بإعلان قرار يقضى بإلقاء القبض على علىّ (عليه السلام) وقافلته ومنعها من الهجره.

ويسرع ثمانيه فرسان يقودهم مولى لأبى جهل، وتسرع خيولهم لقافله المجاهدين، وبعد أن أدركوها واجه قائدهم عليّاً (عليه السلام) بكلمات نابيه نابعه من صميم الحضاره الجاهليه العفنه، ويسرع إلى ضرب علىٍّ (عليه السلام) ولكنّ عليّاً يميل عن ضربته ويصدُّه بضربه لن يفلت منها فيفارق الحياه بعدها. وما أن يرى الغزاه المتآمرون هذا الحدث إلاّ ويعمهم الجزع والخوف، فيلوذون بالفرار من الموقف الحاسم يجرّون خلفهم أذيال الهزيمه لقريش لتضيفها إلى سجلّ مخازيها وعارها كما اعتادت.

ويستولى على قريش الذُّهول وتعود إلى أصنامها الواهيه تسألها النّصر على محمد، ويقينى أنّ قريشاً فضلاً عن حقدها على محمد وأتباعه أرادت من محاولتها لصدّ علىٍّ (عليه السلام) عن الهجره: إخضاع محمد وإجباره على العوده بعد أن يحاط علماً بعمليّه إلقاء القبض على أعزّ الناس لديه (علىٍّ وفاطمه) ولكن مساعيها أُحبطت بتسديد من الله على يد علىّ

(عليه السلام) المعروف برباطه الجأش وصلابه اليقين...

وتستمر القافله يحدوها النّصر، ويهزُّها الشوق إلى قائدها محمد (صلى الله عليه وآله) وتتغنى بآيات الله الكريمه.

وما هي إلا أيام حتى يستقبل محمد (صلى الله عليه وآله) ومعسكره الفتى الوفد المهاجر بابتساماتٍ ملؤها الإكبار والإجلال، والموده.

[صفحه ۴۱]

ولم تكن الهجره هجره عليٍّ وفاطمه والوفد المرافق لهما مجرّد هجره، وإنّما صحبتها عواطف كريمه ومواقف نبيله كان في طليعتها اهتمام عليّ (عليه السلام) بالنّسوه اللائي رافقنه، فكان يسير بهنّ سيراً وئيداً خشيه تعريضهنّ لنوع من المشقه، ويتفقدهنّ بين آونه وأُخرى للإطلاع على حاجاتهنّ ومتطلباتهنّ، وإن شئن سبيلاً للرّاحه بذل لهن من وسائل الراحه من إيقاف للمسير أو تهيئه لطعام أو شراب.

وإن دلّت هذه المساعي الحميده التي يزاولها أمير المؤمنين (عليه السلام) مع وفده المهاجر من النّسوه على شيء، فإنّما تدلُّ على مدى اهتمام الإسلام الحنيف بالعنصر النسائي من المجموعه البشريه، وكيف يسهر الرجل على راحتهنّ وتوفير السعاده لهنّ، وعليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام) أولى من غيره بتطبيق معالم الرّساله الإسلاميه المقدسه، سيّما وهو قد نبت لحمه وشحمه على أساس منهج الله سبحانه، بل إنّه بمثابه الصوره التجسيديه لكلّ معالم التشريع الإسلامي الرصين، ولذا فقد دعاه الرّسول (صلى الله عليه وآله) بالقرآن الناطق لأنّه لعمر الحق صوره حيّه متحرّكه للقرآن الكريم.

وتصل قافله المجاهدين، وهي آخر موكب من مواكب النُّور المتّجهه صوب يثرب لتُطلّ على العالم فيما بعد دوله وحضاره تمد يدها لانتشال هذا الكوكب من ظلامات الجاهليّه وأدناسها.

[صفحه ۴۵]

بيت جديد

التحقت مواكب المهاجرين بمقرّ القياده الجديده، واطمأنت بها الدّار الجديده، ولكن لا

ليميلوا إلى الدعه والخمول، ولكن ليواجهوا مسؤوليات جدّ جسيمه، مسؤوليه بناء الدّوله ونشر المبدأ وتركيز العقيده والدّفاع عن الرّساله و.. و.،

وكانت فاطمه (عليها السلام) قد عاشت هذه الأحداث العظيمه من تأريخ الدّعوه في مراحلها، وخاصّه هذه المرحله الجديده وهي على عتبه شبابها، وقد نضجت جسميّاً وروحيّاً وفكريّاً.

وأحسّ صحابه الرّسول (صلى الله عليه وآله) بقيمه فاطمه لدى أبيها وعلموا أنّها بلغت مرحله النُضج بكلّ أبعادها فتباروا لخطبتها من أبيها طلباً للشرّف ورغبه في الكرامه، وحرصاً على التقرُّب إلى الرّسول (صلى الله عليه وآله)، وكان لا بد لكبّار الصحابه أن يتقدّموا لطلبها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي طليعتهم أبو بكر وعمر وغيرهما وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يُعرض في كلّ مرّه بوجهه عنهم بعد أن يتّصل بفاطمه (عليها السلام) نفسها، فتظهر عدم رغبتها ورفضها لعرض الخطبه، والرسول (صلى الله عليه وآله) حين يتّصل بالزهراء في هذه القضايا، لا لأنّه لا يعلم من يستحق أن يكون لها كفؤاً، ولكنّ روح الشريعه الإسلاميه هي التي تفرض على الآباء أن لا يبتّوا في موضوع زواج بناتهم وأبنائهم دون الإطلاع على مدى رغبتهم أو رفضهم للفتيات إن كانوا رجالاً، أو رغبتهنّ أو رفضهنّ فيما لو كنّ نساءً.

والرسول (صلى الله عليه وآله) إنّما يعكس لنا واقع الشريعه المقدسه ومعين الرّساله الإلهيه القويمه الذي يفرض ذلك ويرسمه للمجموعه الإنسانيه لخلق الأسره الصالحه المتحابه المتعانقه القلوب والعواطف لكي يخلق المجتمع الصّالح المتين المتكاتف كالبنيان المرصوص دون أن تلعب به الأهواء والمصالح المقطوعه الصّله بالعلائق الوشيجه، تتخلّله علائق الرّحمه والإلفه والوفاء..

أجل يدخل محمد على بضعته فيحدثها عن الخاطب لكي يؤدي واجبه نحوها ولكي ينقل رأيها

بأمانه لخاطبها ولكى يعلّمنا دروساً لبناء الأسره الكريمه المتحابه.

واستمرّ الرسول (صلى الله عليه وآله) يُعرض بوجه عمّن يخطب ابنته الزّهراء (عليها السلام) ويردّه بقول: «أنتظرُ فيها أمر القضاء» [۹] مما جعل اليأس يستبد بأصحاب

[صفحه ۴۶]

محمد (صلى الله عليه وآله). فاجتمع بعضهم يوماً فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) يتذاكرون فى شأن الزهراء (عليها السلام) ورفض محمد (صلى الله عليه وآله) تزويجهم بها.

وكان فى طليعه المؤتمرين أبو بكر وعمر وسعد بن معاذ الأنصارى، وبعد مداولات عديده قرّ رأيهم على الإتصال بعلىّ بن أبى طالب (عليه السلام) فيذكرون له أمر فاطمه.

وبحث هؤلاء النّفر من المسلمين عن على (عليه السلام) وأخيراً وجوده ينضح ماءً لسقى نخيل لرجل من الأنصار لقاء أُجره يتقاضاها، وأحسّ على (عليه السلام) أنّ مع القوم نبأ جديداً يحملونه إليه حيث يتساءل عمّا وراءهم.

وبعد أن حيوه يتقدم أبو بكر (رضى الله عنه) فيفضى بما عندهم من نبأ جديد حيث يقول: إنّ أهل الشرف والقدم فى الإسلام قد قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليخطبوا بضعته فاطمه (عليها السلام)، ولكنّه قد ردّهم جميعاً وأعرض عنهم، وقد رأينا أن نلفت نظرك إلى ذلك، فحبذا لو عرضت نفسك على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشأن خطبتها منه [۹] .

ويجد على (عليه السلام) هوىً فى نفسه لهذا الحديث، ويفرغ من عمله فيتجه إلى بيته لكى يرتدى ملابس أُخرى، وفى هذه اللحظات المباركه يكون الوحى قد زار محمداً (صلى الله عليه وآله) قبل زياره على (عليه السلام) له يأمره بتزويج الزهراء من علىّ بقوله:

«يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك

إنّی قد زوجت فاطمه ابنتک من علیّ بن أبی طالب فی الملأ الأعلی، فزوّجها منه فی الأرض» [۹] .

ویزور علی محمداً فی بیته إذ کان (صلی الله علیه وآله) فی حجره أمّ سلمه الإمرأه الصالحه ویطرق علیّ الباب علی الرسول (صلی الله علیه وآله) فیخفق قلب محمد (صلی الله علیه وآله) لذلک ویتهلّل فرحاً، فیقول لأُم سلمه: «هذا رجل یحبُّه الله ورسوله، ویحبهما».

ولکن أُم سلمه تطلب من محمد (صلی الله علیه وآله) أن یعلّمها باسمه لا بصفاته فیقول لها: «هذا أخی وابن عمی، وأحبُّ الخلق إلیّ»

[صفحه ۴۷]

وتعلم أُمُّ سلمه: أنه علی (علیه السلام) حبیب محمد (صلی الله علیه وآله) وموضع سرّه وأکرم الناس لدیه، وتبادر إلی فتح الباب، فتفتحه وتعود لکی تختفی فی خدرها، وعلی (علیه السلام) ینتظر قلیلاً ـ حتی یتأکد من دخولها فی خدرها، فیدخل بیت أخیه محمد (صلی الله علیه وآله) فیحیّیه بتحیّه الإسلام ویردُّ الرسول علیه بأحسن منها ویوسع محمد (صلی الله علیه وآله) لزائره العزیز فیجلس بجنبه، ولکنّ تقاسیم وجهه تحمل نبأ جدیداً لمحمد (صلی الله علیه وآله) حیث أنّ جلوسه غیر معتاد، فالصمت یستولی علیه هذه المره، ویأخذ الحیاء مأخذه منه، وقد أطرق برأسه إلی الأرض فأحسّ محمد (صلی الله علیه وآله) أنّ وراء سلوک علیّ هذا حاجه لا ـ یقوی علی الإفضاء بها. ویخاطب محمد (صلی الله علیه وآله) علیّاً (علیه السلام) بقوله: «إنی أری أنّک أتیت لحاجه، فقل حاجتک، وأبدِ ما فی نفسک، وکلّ حاجه لک عندی مقضیّه» [۹] .

وحین یستمع علی (علیه السلام) لهذا الحدیث، حدیث الأمل یدخل السرور قلبه ویرفع رأسه لکی یطرح عنه

رداء الصمت، فيخطب من محمد (صلى الله عليه وآله) ابنته مفتتحاً حديثه عن أيّام طفولته وفتوّته التى قضاها مع محمد (صلى الله عليه وآله) حيث أوضح له أنّه قد عاش فى كنفه وتربى فى بيته يوم أملق أبوه أبو طالب وقد ذاق طعم الحنان والعاطفه الفيّاضه بالمودّه والإخلاص، وأنّه قد تربّى منذ نعومه أظفاره فى كنفه وتحت ظلاله الوارفه، وأخيراً هداه الله به إلى الإسلام فحمل لواءه ودافع عن بيضته، وصارع قوى الضّلال بغيه نصره وإعزازه.

واستطرد علىٌ (عليه السلام) فأفضى لمحمد (صلى الله عليه وآله) أنّه يرغب أن يكون له بيت وزوجه يسكن إليهما كما يرغب أن يخطب فاطمه منه، ويسمع محمد (صلى الله عليه وآله) حديث ابن عمّه على (عليه السلام) فيتهلّل وجهه فرحاً وتمتلىء نفسه سروراً، ولكنّه لا بد أن يتّصل بفاطمه (عليها السلام) فيحدّثها عن خطيبها الجديد كما أمر الشّرع المقدّس .

فيدخل على بضعته الطاهره (عليها السلام) ويقول لها: «إن علىّ بن أبى طالب ممّن قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه» واستطرد حديثه قائلًا: «وقد ذكر من أمركِ شيئاً، فما ترين؟».

وهنا يستولى الحياء على الصّدّيقه فاطمه (عليها السلام) فلم تستطع أن تنطق بكلمه

[صفحه ۴۸]

واحده، ويطيل محمد (صلى الله عليه وآله) النّظر فى وجهها فلم ير كراهه قد بدت فيه، ولمّا طال سكوتها هتف الرّسول (صلى الله عليه وآله) من أعماق قلبه الطاهر متجهاً نحو على (عليه السلام) وهو يقول: «الله أكبر، سكوتها إقرارها».

وقبل أن أُواصل هذا الحديث العذب عن خطبه علىّ (عليه السلام) للصديقه الزهراء (عليها السلام) أودُّ أن أُشير إلى نقطهٍ حساسه احتوى عليها حديث رسول الله (صلى الله

عليه وآله) إلى الزهراء (عليها السـلام): «إنّ عليّ بن أبى طالب ممن قد عرفت قرابته وفضـله وإسلامه» فإنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) حين يسـتعرض صـفات عليّ للزهراء (عليها السـلام) ويتوج صـفاته بالإسـلام فيقول: «وإسـلامه» وهـذا القول إنّما صـرّح به الرسول (صـلى الله عليه وآله)، لأنّ من شـروط تزويـج المرء إسـلامه، وهـذا مـا نصّت عليه الرّسـاله الإسـلاميه فى قـانون الأُسـره وملابساتهـا كمـا فى قـول الرسول (صـلى الله عليه وآله): «إذا جـاءكم من ترضون خُلُقه ودينه، فزوّجوه، إلاّ تفعلوه تكن فتنه فى الأرض وفساد كبير» [٩] .

والرسول (صلى الله عليه وآله) حين يشرح لفاطمه (عليها السلام) صفات على (عليه السلام) فليس ذلک لأنّ فاطمه تجهل صفات عليّ، وإنّما استهدف أن يلقّن هذه الأُمّه بشكل عملى وواقعيٍّ صوره الزّواج الطبيعى الذى رسم الإسلام حدوده ووتّد أركانه.

وعـاد محمـد (صـلى الله عليه وآله) من فـاطمه (عليهـا السـلام) لينقـل لعليّ نبـأ قبولهـا بزواجه حيث تبسم فى وجهه، وقال: «يا أبا الحسن، فهـل معـک شـىء أُزوّجک به». والرسول (صـلى الله عليه وآله) حين يطلب إلى على (عليه السـلام) إحضار مهر لزواجه إنّما أراد بذلک أن يقرّر حكماً عامّاً هو الإهتمام بشؤون المرأه وتأكيد حقّها فى الحياه الزوجيه.

يعرض الرسـول (صـلى الله عليـه وآله) على عليّ (عليه السـلام) إحضـار مهر لزواجه وسـرعان مـا يسـتجيب عليٌّ لعرض ابن عمّه، ويكشف النقاب عمّا يمتلكه، فقد كان فى حيازته: سيفٌ ودرع وناضح، وراح الرسول يحدّثه بشأن ملكيّته، فقال: «أمّا سيفک فلا غنىً بک عنه، تجاهد به فى سبيل الله وتقاتل به أعداء الله».

وهذا يعنى أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) منعه عن بيعه لما له من قيمه لا مثيل لها

فی إقامه صرح الإسلام الشّامخ، ثم تداولا فی شأن الناضح، ولکنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) أکّد قیمته بقوله: «وناضحک تنضح به علی نخلک وأهلک وتحمل علیه رحلک فی سفرک».

[صفحه ۴۹]

فالناضح تتصل أهمّیته برزق الأُسره وحمل الأثقال سیّما وأنّ النّاضح بعیر، والبعیر فضلاً عن أهمیته فی نقل الماء لسقی الزّرع فإنه یستعمل لحمل الأثقال أیّام الظّعن، واتّجهت النیّهُ لبیع الدرع لأنّه شیء ثانوی، بل لأنّه لا یبلغ درجه من الضروره کما یبلغها السیف والناضح، وکان الدّرع قد منحه الرسول (صلی الله علیه وآله) لعلیّ (علیه السلام) من غنائم بدر الکبری.

وأسرع علیّ (علیه السلام) لبیع درعه، فباعه بأربعمائه درهم، وعاد بالدّراهم لمحمد (صلی الله علیه وآله) فقبض الرّسول قبضته منها وناولها لبلال لکی یتولّی دور اشتراء بعض الّلوازم البسیطه من عطور ونحوه، ویتناول الرّسول مبلغاً من المال إلی أُمّ سلمه وسلمان (وأبی بکر) (علی قول) لیشتروا أثاث العروسین، ویسرع هؤلاء. وما هی إلا فتره تنقضی حتی یعودوا وهم یحملون الأثاث والجهاز الذی یعتبر أروع أثاث عرفه التاریخ الإنسانی، ولیس عجیباً ولا بدعاً من الأمر أن نقول بروعته لأنّ العروسین قد واسیا فی زواجهما وأثاثهما أقل الناس مالاً، وأعلنا للبشریّه بامتدادها التّاریخی : إنّه لیس المهم أن یجمع الزّوجان الأثاث الفاخر والمتاع الجدید وما لذّ وطاب من الطّعام والشّراب، وإنّما المهم أن تتعانق القلوب وتتآلف النفوس وتلتقی الأرواح وتسود المحبّه والإلفه والحنان والرّحمه وتتحقّق وحده المصیر والهدف، فینعکس فکراً واحداً وسلوکاً واحداً وعاطفه واحده، وأُحضر الأثاث وکان أهم ما فیه: [۹] .

۱ فراش من خیش مصر محشوّاً بالصوف.

۲ وساده من أدم حشوها من لیف النخیل.

۳ عباءه

خيبريه.

۴ قربه للماء.

۵ كيزان خزف.

۶ جرّتان من خزف.

۷ مطهّره للماء.

۸ ستر صوف رقيق.

۹ سرير مشروط.

[صفحه ۵۰]

۱۰ حصير هجرى.

۱۱ مخضب من نحاس.

۱۲ قعب للّبن.

۱۳ قميص.

۱۴ شنٌّ للماء.

۱۵ منخل.

۱۶ منشفه.

۱۷ رحى.

۱۸ قدر من نحاس.

ورجع القوم يحملون هذا المتاع البسيط، وقد اشترك أعاظم الصحابه فى حمل هذا المتاع من السّوق كبلال وعمّار بن ياسر وأبى بكر وسلمان الفارسى وغيرهم، ويقينى: أنّ الروايات حين تختلف فى ذكر من قام بشراء المتاع إنّما جاء الاختلاف نتيجه لكثره المشتركين فى جلبه من السّوق، وأنا واثق من أنّ أُمّ سلمه هى التى تولّت مهمه ابتياعه من السّوق، وأمّا الباقون فقد تولّوا مهمّه حمله من السّوق، وقيام أُمّ سلمه بهذه المهمه أمر طبيعى لأنّها أعلم بحاجه الزوجه فى البيت.

ولابد للرسول بعد كلّ هذا أن ينبىء المسـلمين بخبر تزويج فاطمه من عليٍّ (عليه السلام). ويقينى فى ذلك أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) حين يقوم بمهمه تبليغ المسلمين بهذا النبأ إنّما كان يستهدف أمرين لا ثالث لهما:

١ أراد أن يشرك جميع المسلمين بسرور أهل البيت (عليهم السلام) بمناسبه زواج عليٍّ (عليه السلام) من فاطمه.

٢ أراد أن يقطع خـطّ الرّجعـه على المنـافقين الـذين ينشـطون فى مثـل هـذه المناسـبات، إذ أنّ لـديهم خير فرصه لبثّ البلبله فى صفوف المسـلمين، لا سيّما وأنّ فاطمه قـد خطبها جلُّ الصـحابه ولكنّه أعرض عنهم، وقـد زوّجها من عليّ (عليه السـلام)، فلابد للمنـافقين أن يكرّسـوا جهودهم لإثـاره البلبله علّهم يجـدون ثغره للتخريب فى داخـل المعسـكر الإسـلامى الفـتّى، ولكنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) سدّ فى

وجوههم كلّ ثغره فأبلغ المسلمين جميعاً نبأ الزواج وعلّله بأنّه من أمر الله تعالى، وقبل قيامه بهذه

[صفحه ۵۱]

المهمه كلّف (بلالًا) ليوجّه نداءً مستعجلًا من المسجد النبوى الذى كان بمثابه الإذاعه التى يسمع الناس منها بيانات الله ورسوله، ويذيع بلال النبأ فيجتمع المسلمون فى المسجد الشريف فيلقى الرّسول (صلى الله عليه وآله) بيانه بقوله:

«معاشر المسلمين إنّ جبريل أتانى آنفاً، فأخبرنى عن ربّى عزّ وجلّ أنّه جمع الملائكه عند البيت المعمور، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمه من عبده على بن أبى طالب، وأمرنى أن أزوّجه فى الأرض وأُشهدكم على ذلك...» [۹] .

وبإلقاء هذا البيان أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله): أنّ زواج على (عليه السلام) من فاطمه لم يكن بمثابه تحيّز من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى (عليه السلام) وإنّما جرى ذلك بإعلان من الله سبحانه وبأمره، وهكذا اشترك المسلمون جميعاً بهذا النبأ السّار الذى أذاعه البشير محمد.

وبعد أن أعلن الرّسول (صلى الله عليه وآله) نبأ قبوله زواج علىّ من فاطمه (عليها السلام) جمع نفراً من صحابته وبضمنهم علىٌّ (عليه السلام) بغيه تلاوه مراسيم العقد حيث قال:

«الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره فى سمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد، وإن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهره سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وأنتج بها الأرحام، وانتظم بها الأنام، وقال عزّ من قائل: «وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربُك قديراً» فأمر الله تعالى يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكلّ

قـدر أجـل، ولكـلّ أجـل كتـاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت ويحكم ما يريـد وعنـده أَمّ الكتاب». ثم اردف قائلًا: «إن الله أمرنی أن أزوج فاطمه بعلی بن أبی طالب ابن عمی، فاشـهدوا أنی قد زوجته بها» ثم خصّ عليّاً بقوله: «يا علی إن الله تبارک وتعالی أمرنی أن أزوجـک فـاطمه، وإنّی قـد زوجتکهـا علی اربع مـائه مثقال فضه» [۹] فأجـاب علیٌّ (عليه السـلام): «قـد رضـيتها يا رسول الله، ورضيت بذلک عن الله الکريم ورسوله الکريم». ثم إن عليّاً (عليه السلام) سجد لله شکراً.

وبعـد أن اسـتمع الحاضـرون لهـذه المراسـيم مراسـيم العقد المبارکه عقّب الرسول (صـلی الله عليه وآله) بقوله مخاطباً عليّاً (عليه السلام):

«جمع الله شـملکما، وأعزّ جدّکما، وأطاب نسلکما، وجعل نسلکما مفاتيح الرّحمه ومعادن الحکمه وأمن الأُمّه، وبارک الله لکما، وبارک فيکما، واسعدکما، وأخرج منکما الکثير الطيب».

ثم راح يؤکد قيمتهما عنده أمام الحاضرين من صحابته فقال:

«ألهم إنّهما منی وأنا منهما، اللهم کما أذهبت عنّی الرّجس وطهرتنی. فاذهب عنهما الرجس وطهرهما وطهر نسلهما...».

وبإلقاء هذه الکلمات العذبه فی هذه المناسبه الجليله انفضّ المجتمعون والسرور يعمُّهم والفرحه تملأ نفوسهم وقلوبهم.

مراسيم الزواج

وبعـد إعلان مراسـيم العقـد واصل الرسول (صـلی الله عليه وآله) جهوده فی بناء دولته المبارکه لکی تواجه شتّی المؤامرات التی تحيطهـا من الـداخل ومن الخـارج، فأخطـار الـداخل متمثّله بحرکه النفاق النشـيطه التی تعمل داخل صـفوف المعسـکر القرآنی، وأخطار الخارج متمثّله بمکائد الوثنيين واليهود وحلفائهم.

واسـتمر علیٌّ (عليه السـلام) هو الآـخر يواجه مسؤوليـاته کقائـد نشـيط وعضو فعّـال من أعضـاء کتله الإيمـان الفتيه، وراح يجتمع برسول الله (صلی الله عليه وآله)

دون أن يجرأ على محادثته بشأن فاطمه (عليها السـلام) نظراً لما يمتاز به من حياء يمنعه من التحـدُّث أمام أخيه محمد (صـلى الله عليه وآله) فى مثل هذه القضيّه حتى مضى على مراسيم العقد قرابه شهر واحد [١٠] .

واتّصـل عقيـل بن أبى طـالب بـأخيه على (عليه السـلام) فحـدّثه بهـذا الشأن وقـد طالب بتعجيل زواجه بقوله: «فما بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يدخلها عليك فتقرّ أعيننا باجتماع شملكها...».

وحين يسأل عقيل عليّاً: هـذا السؤال، إنّما يسأله اعتقاداً منه بأنّ عليّاً (عليه السـلام) هو الذى كان سـبباً فى تأخير الزّواج عن قصـد ولكنّ عليّاً (عليه السـلام) أوضح لأخيه عقيل أنّه يرغب رغبه ملحه فى الزواج إلاّ أن حياءه من محمد (صلى الله عليه وآله) يمنعه من التّعجيل فى الزواج.

وحين اسـتمع عقيل لهـذا الحديث حديث عليٍّ (عليه السـلام) الذى علّل فيه سـبب تأخير زواجه، اتّفق هو وعليٌّ أن يزورا الرسول (صـلى الله عليه وآله) فى بيته ليحدّثاه بما عندهما، ويسـرع عقيل وعليٌّ إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وبيناهما فى طريقهما إذ يلتقيان بأُمّ أيمن بركه بنت ثعلبه الإمرأه الصالحه، وتسألهما عمّا وراءهما فيطلعانها على ما جاء بهما، وتقترح عليهما أن يعودا إلى دارهما وهى بـدورها سـتتولّى هـذه المهمّه حيث سـتعرض هذا على أُمهات المؤمنين فيحدّثن بدورهن رسول الله (صـلى الله عليه وآله).

وفعلاًـ اتصـلت أُمّ أيمن بـأُمّ سـلمه وبقيه أزواج الرسول (صـلى الله عليه وآله) فعقـدن اجتماعاً فى بيت عائشه، حيث كان الرسول (صـلى الله عليه وآله) عندها، وتكلّمت أمُّ سلمه بلسان أُمهات المؤمنين بهذا الصدد حيث أوضحت للرّسول (صلى الله عليه وآله) أنّ عليّاً يرغب بالدخول

[صفحه ۵۶]

زوجته فـاطمه، ولكنّ حياءه منعه من مصارحتك بـذلك فتعجب محمـد (صـلى الله عليه وآله) مما سـمع وأمر أُمّ أيمن أن تنطلق إلى على (عليه السلام) فتحضره.

وتسـرع أُمُّ أيمن لتحضـر عليّاً (عليه السلام) ويطرق الباب فتغادر اُمّهات المؤمنين حجره عائشه لينفرد محمد (صلى الله عليه وآله) بعلى (عليه السـلام) ودخل على (عليه السـلام) الحجره والحياء يأخـذ مأخذه من نفسه ويسـلّم على الرسول (صـلى الله عليه وآله) ويجلس إلى جنبـه مطرقـاً برأسـه إلى الأـرض، وافتتـح الرسـول (صـلى الله عليه وآله) الحـديث بقـوله: «أتحب أن تـدخل عليك زوجتك؟».

ويجيب على (عليه السلام) بالإيجاب والقبول فيردّ محمد (صلى الله عليه وآله) عليه: «حباً وكرامه يا أبا الحسن».

ويأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) أن يتهيّأ للمهنّئين ويقيم مأدبه يدعو المسلمين لحضورها..

وأسـرع عليٌّ (عليه السـلام) إلى بيته، وفرشه رملاًـ من البطحـاء، ثم عمـد إلى السُّوق فابتـاع سـمناً وتمراً واقطاً؛ وسـلّمه لرسول الله (صـلى الله عليه وآله) الـذى أحضـر بـدوره سـفره من أدم كى يصـنع بيديه الشـريفتين حيساً، وأمر الرسول (صـلى الله عليه وآله) بكبش فذبحت، وهيّأت [۱۱] نساؤه خبزاً كثيراً، ثم أمر عليّاً (عليه السلام) أن يدعو من يرغب من المسلمين لحضور وليمته.

وهبّ عليٌّ (عليه السـلام) إلى المسجد النبوى الشريف، فرأى جمعاً غفيراً من المسلمين قد اجتمعوا فيه فاستحيى أن تكون دعوته وقفـاً على قوم دون قوم، فـدعا عامّه الحاضـرين لحضور وليمته، وتوالت جموع المـدعوين إلى بيت الرساله فكانوا يـدخلون على رسول الله (صلى الله عليه وآله): عشره عشره ليتناولوا الطعام حتى شبع جميع الحاضرين من وليمه على (عليه السلام).

ثم دعا الرسول (صلى الله

عليه وآله) بصحاف، فملئت وأرسلت إلى الهاشميات وخصّص صفحه لعلى والزهراء (عليهما السلام).

ومالت الشمس إلى الغروب فدعا محمد (صلى الله عليه وآله) أُمّ سلمه وأُمّهات المؤمنين وغيرهن من النساء المؤمنات ليزففن فاطمه (صلى الله عليه وآله) إلى بيتها الجديد، وزفّت فاطمه الزهراء إلى

[صفحه ۵۷]

بيتها وسط عاصفه من التكبير والتّهليل، وتظاهرت جماعه من المسلمين يقدمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) خلف فاطمه الزهراء (عليها السلام) يرفعون أصواتهم تهليلاً وتكبيراً، وكان لابد لمثل هذه المناسبه الكريمه مناسبه الزّفاف من مراسيم خاصه إلى جانب التّهليل والتّكبير وفعلاً استمعت النساء إلى تلك المراسيم التى كان جلُّها رجز وأناشيد ألقتها أُمّهات المؤمنين، حيث تقدّمت أُمّ سلمه فألقت أُرجوزه بهذه المناسبه:

سرن بعون الله جاراتى

واشكرنه فى كلّ حالات

واذكرن ما أنعم ربُّ العُلى

من كشف مكروه وآفات

فقد هدانا بعد كفر وقد

أنعشنا ربُّ السّماوات

وسرن مع خير نساء الورى

تفدى بعمّات وخالات

يا بنت من فضّله ذو العلى

بالوحى منه والرّسالات

ثم ألقت أُرجوزتها عائشه فقالت:

يا نسوه أشرن بالمعاجر

واذكرن ما يحسن بالمحاضر

واذكرن ربّ النّاس إذ يخصُّنا

بدينه مع كلّ عبد شاكر

والحمد لله على إفضاله

والشُّكر لله العزيز القادر

سرن بها فالله أعلى ذكرها

وخصّها منه بطهر طاهر

ثم جاء دور حفصه وارتجزت تقول:

يا نسوه أشرن بالمعاجز

واذكرن ما يحسن بالمحاضر

فاطمه خير نساء البشر

ومن لها وجه كوجه القمر

فضّلك الله على كلّ الورى

بفضل من خص

بآى الزمر

زوّجک الله فتىً فاضلاً

أعنى عليّاً خير من فى الحضر

فسرن جاراتى بها فإنّها

كريمه بنت عظيم الخطر

وقـد ألقت بعض المؤمنات منظومات أُخرى ابتهاجاً بهذه المناسبه الكريمه، وكنّ يردّدن فى هذه المنظومات والأراجيز بعيداً عن الفوضى والإنحلال الذى

[صفحه ۵۸]

اعتاد عليه عصرنا الحاضر، فخرج عن مثله وضوابطه وعقائده.

وبعد زفاف فاطمه (عليها السلام) إلى بعلها على (عليه السلام) جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) مهنئاً علياً (عليه السلام) بقوله: «بارک الله لک فى ابنه رسول الله».

ثم إنّ الرسول (صـلى الله عليه وآله) أخـذ إنـاء مـاءٍ، وتلاـ عليه شـيئاً من آيات الله الكريمه تبرُّكاً بها، وأمر علياً (عليه السـلام) أن يشرب منه قليلاً، وفعل مثل ذلک مع فاطمه (عليها السلام)، ثم نضح منه شيئاً على رأسيهما ووجهيهما.

ثم إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) دعا لهما بقوله:

«اللهم إنّهمـا أحبُّ الخلق إلىّ، أحبّهمـا، فبـارک فى ذريتهمـا، واجعـل عليهمـا منـک حافظاً، وإنّى أُعيـذهما بـک وذرّيتهمـا من الشّيطان الرجيم».

ثم ودّعهما وعاد إلى بيته.

وكـانت تلـک الليله التى تم فيهـا زواج علىّ من فاطمه (عليهما السـلام) نقطه انطلاق فى حياه البيت الهاشـمى المقـدس، ومرحله جديده من مراحل حياته، لأنّ فى زواجهما أُنشـئت المدرسه المباركه مدرسه الوحى والإيمان التى ستخرج إمامه الأرض وخلفاء الأـمّه بعـد محمـد (صـلى الله عليه وآله) وقـد آن لفـاطمه أن تتولّى مسؤولياتها الجسـيمه كزوجه وفيّه وأُمّ رؤوم ومـدرسه للتّربيه التربيه الإسـلاميه بكلّ معالمها وأُطرها التى رسـمها خالق الوجود سـبحانه وتعالى فى كتابه الذى نزل على عبده محمد (صـلى الله عليه وآله).

وتتحدّث أنديه المسلمين عن زواج علىّ (عليه السلام)

بفاطمه فتصفه هذه الأنديه أنّه أروع زواج عرفه المسلمون حيث شارك المسلمون جميعهم بيت الرّساله أفراحه وسروره.

فصرّحت عائشه وأُمُّ سلمه بهذا الشأن وهما تصفان هذه المناسبه الجليله وقد جاء فى حديثهما: «فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمه».

كما أنّ الصحابى الكبير جابر بن عبدالله الانصارى صرّح مرّه ذاكراً زواج على (عليه السلام) من فاطمه قائلًا فى مطلع حديثه: «حضرنا عرس علىٍّ (عليه السلام) فما رأيت عرساً كان أحسن منه» [١٢] وهكذا كان زواج علىٍّ (عليه السلام) قدوه اقتدى بها

[صفحه ۵۹]

المسلمون حتى صارت أكثر مراسيمه سنناً تتّبع ودروباً تسلك.

وقد تم هذا الزواج المبارك وفاطمه قد أدركت التاسعه أو الثانيه عشره من عمرها على قول وفى حدود السنه الثانيه للهجره.

[صفحه ۶۳]

الغرس المبارک

وبعد أن تم زواج على من الصديقه الزهراء (عليهما السلام) أصبح الإسلام والأُمّه الإسلاميّه ينتظران بفارغ من الصبر غرساً مباركاً جديداً يشكل الإمداد الرّسالى بعد محمد (صلى الله عليه وآله).

وتمضى الأيام سريعه، والأُمه والإسلام يسجّلان ملحمه من الإنتصارات على قوى المعسكر الجاهلى المهزوم، والرّسول القائد (صلى الله عليه وآله) يتلقّى البنود التشريعيه من لدن حكيم خبير، ليقيم دولته على أُسس رصينه قادره على تحمُّل أعباء حمل الرّساله الإسلاميه إلى آفاق هذا الكوكب الأرضىّ بشتّى وسائل التبليغ دعوتيّه كانت أم جهاديه .

فى مثل هذا الظرف الدّقيق الذى تمرُّ به الدّعوه، وفى مثل هذا الظرف من حياه الطلائع الأُولى من معسكر الإيمان، وفى اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارک سنه ثلاث من الهجره، أذاع بيت الرّساله نبأولاده الزهراء (عليها السلام) ذكراً، وقد كان صدى هذا النبأ

السّار شديد الوقع فی نفس محمد (صلی الله علیه وآله) حیث امتلأت نفسه الطاهره حبوراً بهذا الولید المبارک.

وأسرع إلی بیت فاطمه الزهراء (علیها السلام) لیحمل لها تهانیه ویفضی لها بمسرّاته، ثم یأمر أن یقدّم إلیه الولید الکریم فتحمله إلیه أمُّ سلمه أو أسماء بنت عمیس علی قول وقد لُفّ فی خرقه صفراء، فرمی بها الرسول (صلی الله علیه وآله) وهو یقول: «ألم أنهکم أن تلفّوا المولود فی خرقه صفراء» [۱۳] .

ثم أمر بلفّه فی خرقه بیضاء ثم سره وألباه بریقه، وتضرّع إلی الله سبحانه بقوله: «اللهم إنّی أُعیذه بک وولده من الشیطان الرجیم».

ثم أذّن فی أُذنه الیمنی وأقام فی الیسری لیکون ولیده المبارک قد طرق سمعه فی لحظات حیاته الأُولی منهج الله سبحانه المتمثّل بالخضوع التشریعی لله سبحانه فی کلّ شأن من شؤون الحیاه الإنسانیه، ثم أعلن الرسول (صلی الله علیه وآله) أنّ هذه المراسیم أسمی ما یقابل به المولود فی هذه الأمّه حیث قال: «لا یفعل ذلک بمثله إلّا عصم من الشیطان الرجیم».

[صفحه ۶۴]

وبعد أن أتّم الرسول (صلی الله علیه وآله) هذه المراسیم الإسلامیه التفت إلی علیّ (علیه السلام) وقال: هل سمّیته؟.

علیٌّ: ما کنت لأسبقک باسمه.

الرسول: وما کنت لأسبق باسمه ربّی.

وتتصل السماء بالأرض لتجیب علی سؤال بیت الرّساله فی شأن تسمیه الولید المبارک علی لسان سفیرها المقدس جبرئیل. فیعلن: أنّ اسم الولید حسن.

ویحلُّ الیوم السابع لتحلّ معه حلقه جدیده من حلقات المراسیم الاسلامیه التی یقابل بها المولود المبارک، فیحل الرسول (صلی الله علیه وآله) بیت ابنته الزهراء (علیها السلام)، فتحمل ولیدها إلیه فیأمر بکبش فیعقّ عنه،

ثم يرفع يديه بالتضرُّع إلى الله قائلًا:

«اللهم عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاءً لمحمد وآله» [۱۴] .

ثم منح القابله فخذاً وديناراً، إكراماً لها وتقديراً لمجهودها، ثم يحلق رأسه ويتصدّق بزنه: شعره فضّه، ويأمر فاطمه بإطلاء رأسه بالخلوق، وهو مخلوط من عطور نباتی کالزعفران وغیره . ويمنع (صلی الله علیه وآله) من طلیه بالدّم لأنّه من أخلاق الجاهليه.

وبعد أن تلد الزهراء (عليها السلام) الحسن السبط (عليه السلام) بأيّام قلائل، وفی الوقت الذی يعيش فيه بيت الرّساله فی غمره من الأفراح والمسرات، تحمل الزهراء (عليها السلام) مرّه أُخرى فينتظر البيت العلوی الطاهر ولادتها بفارغ من الصبر. وتمضی الايام سريعه فيعلن بيت الرساله المقدس نبأ بزوغ نجم الوليد الجديد فی اليوم الثالث من شعبان وفی السنه الرابعه للهجره النبويّه.

وتردّد آفاق (يثرب) صدى هذا النبأ المفرح ويتلقاه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالبشر والحبور، وتعلوه الفرحه، وتبدو على تقاسيم وجهه الطاهر، ويهبُّ إلى بيت ابنته الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) ليحمل لها مسرّاته وتهانيه الخالصه،وتقدّم إليه الطفل المبارك ليؤذّن فی أُذنه اليمنى ويقيم فی اليسرى، ثم يعلن تسميته حسينا.

[صفحه ۶۵]

وفی اليوم السابع من ميلاده المبارک يعق الرسول (صلى الله عليه وآله) عنه كبشاً، ويأمر الصدّيقه الزّهراء (عليها السلام) بحلق رأسه والتّصدُّق بزنه شعره فضه.

وتُجرى الزهراء (عليها السلام) المراسيم الإسلاميه التی أجراها الرسول (صلى الله عليه وآله) مع الحسن السّبط (عليه السلام) حين ولادته.

وحينما تلد الزهراء (عليها السلام) وليدها الجديد المبارک فإنّما وهبت الإسلام والأُمّه، القياده الرّساليه الدّائمه بعد أبيها وبعلها والمتمثّله بالحسن والحسين والأئمه المعصومين من أولاد الحسين (عليهم السلام).

وحين

تلد الزهراء الحسين (عليه السلام) تحمل بعد أيام، فينتظر بيت الرّساله ليستقبل غرساً جديداً من زرع الإيمان المقدس، وتمرُّ الأيام سريعه، وإذا ببيت الوحى يزف بشراه بميلاد زينب الكبرى والصدّيقه الصغرى التى ستتولى دور أُمّها الرسالى فى الحياه كمدرسه إسلاميه تواجه كل إعصار جاهلىٍّ يواجه رساله السماء.

وكان ميلاد الصديقه الصغرى يوم الرابع عشر من رجب على المشهور فى السنه الخامسه من الهجره النبويه، فهبّ البيت النبوى المبارك يزف بشائره لجماهير الأُمه الإسلاميه ابتهاجاً بهذه المناسبه الجليله، ويهبُّ الرسول (صلى الله عليه وآله) كعادته ليرفع تهانيه لبضعته الزهراء (عليها السلام) ويعلن تسميه هذه المولوده المباركه ب زينب.

ويتولّى بيت الرساله جميع المراسيم التى ندب إليها الإسلام الحنيف على لسان القائد محمد (صلى الله عليه وآله). ويعيش بيت الرّساله مناخاً دافئاً من الأفراح والمسرّات، فهو ما أن ينتهى من مناسبه إلاّ ويدخل فى مناسبه أُخرى كأختها حامله نفس الطابع من الإبتهاج.

وبعد مضى أيام قليله تحمل الزهراء (عليها السلام) حملاً جديداً، وما أن تمضى الفتره الطبيعيّه على حملها إلا ويزف بيت الرّساله نبأ ولاده مباركه جديده تحمل معها موجاً من الأفراح يشترك فيه جميع أهل بيت الرساله.

ويأتى الرسول (صلى الله عليه وآله) لتمثيل دوره الطبيعى فى تهنئه ابنته الطاهره فاطمه

[صفحه ۶۶]

الزهراء (عليها السلام) فى ابنتها الجديده، فأعلن على تسميتها زينب الصغرى ولقبها (أُمّ كلثوم)، وتجرى كافه المراسيم لها والتى أُجريت لإخوتها من قبل.

ولدت أُمُّ كلثوم (عليها السلام) لتكّون مع أُختها الكبرى المدرسه الإسلاميه التى وضعت الصّدّيقه الزّهراء (عليها السلام) لبناتها ومقوّماتها الاساسيه.

وحين تولد أُمُّ كلثوم (عليها السلام) فإنّما قد تمّ بناء مسرح الإمداد الرسالى

المبارک الذی یمثل مدرسه الوحی التی أقام خالق الوجود سبحانه صرحها الشامخ فی الارض.

وتمضی الأیام سریعه علی أهل البیت (علیهم السلام)، ویترعرع الحسنان ویبدآن بالنموّ جسمیّاً وفکریّاً وروحیّاً، وهما یتنقّلان بین أحضان جدّهما وأبیهما وأُمّهما (علیهم السلام) حتی أصبح کیانهم الروحی والمادی بمثابه صفحه حیّه للرساله الإسلامیه، بل أصبحا بمثابه التجسید الحیّ للرساله الإسلامیه برمّتها، فأصبح فکرهما وسلوکهما وکافه ألوان نشاطهما إسلاماً یسیر علی الکوکب الأرضی. وهذه الحقیقه الکبری انعکست علی أقوال الرسول (صلی الله علیه وآله) فراح یثیر عزمه الأُمّه الإسلامیه علی احتضانهما والتمسّک بهما بعد جدّهما وأبیهما. وراح یُعلن هذه الحقیقه أمام الجموع الإسلامیه وبصوره دائمیه وبالحاح مستمر، فها هو یعلن لأُمته:

«ابنای إمامان قاما أو قعدا...»

«من أحبّنی فلیحبّ هذین...»

«هما ریحانتای من الدُّنیا...» [۱۵] .

وتنطوی صفحه الأیام وتغیب شمس الرساله حین یغیب شخص محمد (صلی الله علیه وآله) ویفاجأ الاسلام بتیاراتٍ عنیفه کان ضحیّتها أهل البیت (علیهم السلام) جمیعاً، فیقصی علیٌّ (علیه السلام) من مرکزه القیادی فی الأُمه، وتحرم الزهراء (علیها السلام) من نحلتها وتسام الخسف بعد أبیها حتی تلتحق بدار الخلود کئیبه، وهکذا یفارق علیٌّ (علیه السلام) الحیاه علی أیدی عملیه اغتیالیه هوجاء.

أما الحسن (علیه السلام) وهو سبط رسول الله (صلی الله علیه وآله) الأول، فقد تولّی الحکم والقیاده بعد أبیه، ولکنّه فوجیء بإعصار خبیث من المحن السیاسیّه التی حملته علی اعتزال القیاده الشرعیه، وکانت هذه المحن السیّاسیّه متمثله:

۱ بمعاویه بن أبی سفیان، الذی استبدّ فی بلاد الشام، وأقام جرحاً لا یندمل فی کیان الامه الإسلامیه.

۲ بالخوارج الذی استفحل نشاطهم فی هذه الأیّام، سیّما بعد قتلهم لعلی بن أبی

طالب (عليه السلام).

۳ تكالب المنافقين والمصلحيين على القياده، سيّما فى العراق.

۴ الخيانه والإنحلال الذى تعرّض له جيش الحسن (عليه السلام) نفسه بعد الخيانه العظمى التى اتسمت بها شخصيه قائده عبيد الله بن عباس الذى تواطأ مع معاويه على الغدر بالإمام الحسن (عليه السلام).

وتحت ضغط هذه المطارق الفتيّه اضطر الإمام الحسن (عليه السلام) على مصالحه معاويه، شريطه أن يتولّى الحكم بعد معاويه الإمام الحسن (عليه السلام) فإن مضى قبل تولّيه الحكم تولى هذه المهمّه أخوه الحسين (عليه السلام). وشروط أُخر كلُّها فى صالح الأمّه الإسلاميه مدرجه فى عامه كتب التأريخ.

وحين يعقد الحسن (عليه السلام) بنود الصُلح مع معاويه فإنّما كان ذلك بدافع الحرص على كيان الأمّه وحراستها من التصدُّع والإنهيار، وبالتالى حفظ كيان الرساله نفسها من التلاعب والتحريف حيث رأى من الأرجح أن يتولى مهمه حفظ الرساله التى كان يمثّل هو مدرستها الوحيده، وأما أن يبقى فى مواقفه العسكريه والتنفيذيه فإنّه سيقتل حتماً ما دامت الظروف كلّها ليست بصالحه، ففضل القعود عن المهام التنفيذيه تحت وطأه من الضغوط الإجتماعيه والسياسيه والعسكريه.

ويقينى أنّ الذين يصفون الحسن (عليه السلام) بقلّه التدبير وضعف الحنكه السيّاسيه، لو عادوا إلى الظروف التى عاشتها الأمّه الإسلاميه يومذاك ودرسوها دراسه مستوعبه لتوصّلوا بطريقهٍ منطقيّه واستقرائيه إلى أنّ صلح الحسن (عليه السلام) كان منطقيّاً وواقعيّاً.

ولكن معاويه الذى صفا له الجوّ السياسى بعد مقتل أمير المؤمنين على (عليه السلام) نقض بنود الصلح بكاملها، ولكنّه لا يستطيع أن يعلن صراحه

نقضها، وإنّما اهتدى إلى طريقه يتخلّص بها من الطرف المصالح والمقابل له

شخصياً.

وفعلاً تمت المأساه، حيث دسّ السُمّ إلى الحسن (عليه السلام) على يد زوجته بنت الأشعث، فكان الحسن (عليه السلام) ضحيّه تلك الاحداث المريره من حياه الأُمه الإسلاميه.

ويهلك معاويه فى حدود سنه ستين من الهجره، وسرعان ما تفاجأ الأمه بامتطاء ابنه يزيد لدست الحكم، دون سابق معرفه بشؤون التشريع ودون درايه بحاجه الأمّه ومصالحها، وكان مجيىء يزيد الى الحكم بمثابه:

١ الإلغاء الرسمى لبنود الصلح المعقوده بين الحسن (عليه السلام) ومعاويه.

٢ التمادى فى التضليل والإنحراف بالامه الإسلاميه عن معين الرساله الإسلاميه المقدّسه، والأمر الأخير هذا قد استفزّ الحسين (عليه السلام) وحفّزه على إعلان بيانه الأول الذى أعلن فيه عدم اعترافه بحكومه ضالّه عن منهج الله تعالى، وأنّه عامل على إسقاطها بأى ثمن كان، أو يفارق الحياه بعد ادائه لمهامّه كقائد شرعيٍّ للأُمّه الإسلاميه ومسؤول عن حمايه مبدئها القويم.

وجدّ الجدُّ، وتحمل سبط محمد (صلى الله عليه وآله) كلّ التبعات، وواجه الموت بصلابه شكيمه، ورباطه جأش.

واجتمعت القوى المغروره تحت رايه الجاهليه الجديده وبرز لها الإيمان متمثّلاً بشخصيّه الحسين (عليه السلام)، وكانت محصّله الأحداث: أن صافح التراب جبين الحسين (عليه السلام) وهو يرسم للأُمه الإسلاميه طريقها اللاحب فى دروس، ملؤها تضحيه وإقدام وإباء، وهو يعلّم الأجيال ألاّ تستكين لظالم أو طاغوت أنّى كان لونه وشعاره .

وتقف زينب الكبرى وشقيقتها الصغرى أُمّ كلثوم موقفهما البطولى فى مأساه الرساله الإسلاميه الأخيره، لتسجّلا فى التأريخ أسطراً من نور، حيث يعيشان المصيبه والمحنه بكلّ أبعادها، سيما بعد أن هدأ صليل السيوف، فخرجتا يتفقدان القتلى، فلا يجدان من حماتهما غير مقدود رأس، ومصافح خده للتراب. ثم تلتفتان، فلا تجدان غير طفل يصخب، وأُمّ تندب، وفتاه تضطرب من

ثقل المأساه. وهناك

[صفحه ۶۹]

خيام تضطرم وقناع يسلب، وعليل يئن، فكان لابد لهما وهما بقيه الصفوه أن يجمعا الأطفال والنّساء فى خيمه واحده، ويقوما بمهام الرّعايه والحراسه بديلًا عن الفقيد وصحبه الابرار، ثم يتبع ذلك اسر وتشريد ومذلّه على أيدى أشرّ خلق الله، يزيد وحفنه من أذنابه.

وهكذا تنتهى فصول هذه المسرحيه، مسرحيّه المأساه التى عاشها الغرس المبارك، غرس الزهراء فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

[صفحه ۷۲]

الزهراء فى منطق الرساله الإسلاميه

فى نظر القرآن الكريم

وحين تشكل الزهراء (عليها السلام) المدرسه الإسلاميه الكبرى فى حياه الرّساله والأُمّه بصفتها غرس النبوه الوحيده الذى تولّى إنجاب خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) الشرعيين المتمثّلين بأئمه أهل البيت (عليهم السلام). وحين تكون الزّهراء (عليها السلام) النافذه الوحيده التى يطلُّ منها القاده الحقيقيون على الإنسانيه، فلابد للإسلام أن يولى مدرسته هذه كثيراً من الأهتمام والعنايه ليجعل أُمته أكثر قدره على سلوك السبيل الألحب المتمثل باتّباع أهل بيت الرساله (عليهم السلام).

والقرآن الكريم وهو دستور الأُمّه الخالد قد أولى فاطمه الزّهراء (عليها السلام) عنايته وأبرز قيمتها ومعالم شخصيّتها فى كثير من آياته. وإذا شاء الباحثون أن يستوعبوا هذه الآيات دراسه واستقراءً لأصطروا إلى تأليف كتابٍ ضخم لتحقيق هذا الهدف، ولذا فإنّنا حين نتعرّض للحديث عن مقام الزهراء (عليها السلام) فى نظر القرآن، فلابد لنا أن نلتزم جانباً من الإيجاز ما دام الأمر يحاج إلى كثير جهد وبذل وقت طويل. ولنكتف بسرد الآيات الآتيه:

۱ «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» [۱۶] .

اجمع المؤرّخون وأهل التفسير من الصّحابه والتابعين على أن هذه الآيه

]

نزلت فی محمد وعلی وفاطمه والحسن والحسین (علیهم السلام) [۱۷] فقد ورد عن أُمّ سلمه (رض): أنها قالت: إنّ هذه الآیه نزلت فی بیتی، إذ أن النبیّ (صلی الله علیه وآله) دعا علیّاً وفاطمه والحسن والحسین (علیهم السلام) وجلّلهم بعباءٍ خیبریه، ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهیراً»، فنزل قوله تعالی: «إنّما یرید الله لیذهب عنکم الرّجس أهل البیت ویطهرکم تطهیراً».

وقد هزّ أُمّ سلمه الشوق علی أن تکون معهم، فقالت لرسول الله (صلی الله علیه وآله) «هل أنا من أهل بیتک؟». قال: «لا ولکنّک علی خیر».

وحین یلقی المتتبع نظره فاحصه علی هذا الحدیث الذی ترویه أُمّ المؤمنین أُمّ سلمه، وحین یطّلع علی مکانه أُمّ سلمه نفسها فی الإسلام ومکانتها الرفیعه عند الرسول (صلی الله علیه وآله) یتّضح له السّر الذی دفع الرّسول (صلی الله علیه وآله) إلی عدم حشرها فی أهل بیته (علیهم السلام).

فأُمّ سلمه هی التی یکلّفها الرسول (صلی الله علیه وآله) بأُمور خاصّه دون غیرها من نسائه لتتولاها، فهو یکلّفها بتربیه فاطمه الزهراء (علیها السلام) بعد وفاه أُمّها، وهی التی تتولی مهمّه زفافها ورعایتها، کما أنّ کثیراً من الحوادث التی عاشها بیت الرّساله أفراحاً کانت أم أتراحاً کان لأُمّ سلمه حظٌ وافر فیها. والتأریخ یمتلیء بشواهد جمّه، کلُّها تسبغ علی هذه الإمرأه الجلیله إطاراً من القدسیه والقدم فی الإسلام والإخلاص للرسول (صلی الله علیه وآله). ولکنّ هذه المکانه الرّفیعه التی تتمتّع بها أُمّ المؤمنین أم سلمه لم ترفعها إلی الدّرجه التی وصلها أهل البیت (علیهم السلام) لأنّ أهل البیت لهم درجتهم الخاصّه ونصیبهم الخاص من الکرامه الإلهیه مما

جعل القرآن الكريم يفرد لهم صفه إذهاب الرّجس عنهم، فهم بعيدون عن كلّ خلق ونشاط وتحرُك وسكون لا ـ يمتُ إلى رساله السّـماء بصله، فقد انطبع فكرهم وإدراكاتهم وكافّه ألوان نشاطاتهم وعواطفهم بلون الرّساله الإلهيه المقدّسه، حتى عادوا إسلاماً يسير على الأرض. ولهذا أعطى الرّسول (صلى الله عليه وآله) أُمّ سلمه مقامها الذى يختلف فى علوّ منزلته عن مقام أهل البيت (عليهم السلام)، فهى على خير، ولكنّها لا تبلغ ذلك المقام السّامى، مع أنّها

[صفحه ۷۴]

مّمن أنعم الله عليها بدرجه عاليه من الإيمان ولم يعرف عنها: أنّها خالفت الرسول (صلى الله عليه وآله) فى حياته، أو مماته، أو خالفت معالم التشريع فى جانب من سلوكها.

والروايه على هذا الأساس تتحفنا نتيجه منطقيه: أنّ آيه التطهير ما نزلت إلاّ فى الزهراء وأهل بيتها، وليس لأزواج الرسول (صلى الله عليه وآله) نصيب فيها كما يدّعى البعض لأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) رفض حشر أكثر ازواجه تقى، وأعلاهنّ مقاماً فى الإسلام فى أهل بيته، والإنخراط فى سلكهم، فكيف تكون الآيه قد خصّت الأُخريات من نسائه؟

وهكذا ترسم لنا الآيه الكريمه أنّها تعيش فى إطار بيت الزهراء (عليها السلام) دون أن تخرج إلى مدار أوسع، وفقاً لما قرّره الرسول (صلى الله عليه وآله) فى محاورته لأُمّ سلمه، وإجابته على طلبها بالنفى مع كونها على خير.

۲: «فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبته فنجعل لعنه الله على الكاذبين» [۱۸] .

وهذه الآيه المباركه نزلت فى واقعه تأريخيه حسّاسه جرت بين معسكر الإيمان الفتىّ فى يثرب، ومعسكر الضّالين

عن درب الهدایه المتمثّل بنصاری نجران وغیرهم.

والتأریخ الإسلامی یعرض فی هذه الواقعه کیف تنهزم قوی الضّلال أمام قوی الإیمان المسدّده من الله جبّار السماوات والأرض.

وتتلخّص الحادثه فی: أنّ وفداً من نصاری نجران قدموا علی رسول الله (صلی الله علیه وآله) وکان فیهم السید والعاقب والقس والحارث، وأسقفهم عبد المسیح بن یونان، وقد جرت بین ممثّلی المعسکرین محاوره قصیره: [۱۹].

الأسقف: «یا أبا القاسم، موسی من أبوه؟».

الرّسول (صلی الله علیه وآله): «عمران».

[صفحه ۷۵]

الأسقف: فیوسف، من أبوه؟

الرّسول (صلی الله علیه وآله): یعقوب.

الأسقف: فأنت من أبوک؟

الرّسول (صلی الله علیه وآله): أبی عبدالله بن عبد المطلب.

الأسقف: فعیسی من أبوه؟

وحین یسأل الأسقف هذا السؤال فکأنّما أراد أن یقول للرسول (صلی الله علیه وآله): فما دام لکلّ نبی أو لکلّ رجل من الذین ذکرت أب، فلماذا تنکرون علینا قولنا نحن النّصاری ؟ وانطلاقا من هذه الحقیقه: أنّ لعیسی أباً هو الله تعالی .

الرسول (صلی الله علیه وآله): یطرق قلیلاً ـ لیوکل الرأی الی السماء لتعطی الرأی الحاسم فی المسأله، فتعلن حقیقه خلق عیسی کخلق آدم من قبل وهو مّما أتفق الطرفان علی شکل خلقه: «إنّ مثل عیسی عند الله کمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له کن فیکون» [۲۰].

الأسقف: والذهول یستولی علی کلّ جانحه فیه :

أتزعم أنّ الله اوحی إلیک أنّ عیسی خلق من تراب لا نجد هذا فیما أُوحی إلینا ولا یجده الیهود فیما أُوحی إلیهم.

الرسول (صلی الله علیه وآله) یتلقی بلاغاً جدیداً من السّماء، فیتلوه علیهم:

«فمن حاجّک فیه من بعد ما جاءک من

العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين».

الأسقف: لقد أنصفتنا يا أبا القاسم فمتى نباهلك؟

الرسول (صلى الله عليه وآله) بالغداه إن شاء الله.

وينصرف وفد النصارى، وهو على موعد للعوده من جديد لكى يباهل الرّسول (صلى الله عليه وآله) فيظهر الحق ويزهق الباطل.

[صفحه ٧۶]

ينصرف الوفد ولكنّ أمواجاً من الهواجس والأحاسيس تترک فى نفوس أكثر أعضائه، ولعلّ بعضهم وثق من صحّه دعوى محمد (صلى الله عليه وآله) بالنبوّه، ولكنّه لا يستطيع أن يعلن ذلک خشيه الضغط الإجتماعى الذى يعيشه، فلا بد من الإنتظار ولكن محادثه أملتها المخاوف التى تجرُّها المباهله، إن وقعت جرت بين طليعه الوفد:

السيد للحارث: ما تصنعون بمباهلته؟

الحارث: إن كان كاذباً ما تصنع مباهلته شيئاً، وإن كان صادقاً لنهلكنّ.

الأسقف: إن غدا، فجاء بولده وأهل بيته، فاحذروا مباهلته، وان غدا بأصحابه فليس بشىء.

واشرأبّت الأعناق تنتظر صباح الغد لترى الحاله التى يأتى عليها محمد (صلى الله عليه وآله) للمباهله، فجاء وهو يحتضن الحسن والحسين (عليهما السلام) وفاطمه وعلياً (عليهما السلام) يمشيان خلفه وجثا على ركبتيه جاعلاً عليّاً (عليه السلام) أمامه وفاطمه (عليها السلام) خلفه والحسن (عليه السلام) عن يمينه والحسين (عليه السلام) عن شماله وخاطبهم: إن دعوت فأمّنوا.

وحين يأتى محمد (صلى الله عليه وآله) بهذه الهيئه التى خشيها الأسقف سابقاً على أصحابه امتلأت نفوس النّصارى رعباً وهلعاً من ضراعه محمد (صلى الله عليه وآله) إلى ربه، وخافوا أن تلّم بهم قارعه. أو يحلّ عليهم عذاب الله سبحانه، حيث أعلن أسقفهم: جثا والله محمد كما يجثو الأنبياء للمباهله.

ويعقّب الأسقف

مخاطباً قومه: «إنّی لأری وجوهاً لو سألوا الله أن یزیل جبلا من مکانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلکوا».

ویتدارک النّصاری الأمر فقالوا: «یا أبا القاسم، أقلنا اقال الله عثرتک».

الرسول: «قد أقلتکم».

ولکنّ النّصاری أعلنوا لمحمد (صلی الله علیه وآله) أن یبقی کلٌّ علی دینه، ولکنّه أصرّ علی أن یسلموا أو الحرب.

النّصاری: «لا طاقه لنا بحربک».

[صفحه ۷۷]

وقرروا مصالحته شریطه أن یعطوه ضریبه الجزیه کاعتراف منهم بسلطان دولته السیاسی علی أرضهم وأبنائهم، ویحفظ الرّسول (صلی الله علیه وآله) عهدهم ما داموا علیه.

وتنتهی المسرحیّه وتنتصر قوی الإیمان، فیعلن محمد (صلی الله علیه وآله) بعد ذلک بقوله: «والذی نفسی بیده إنّ العذاب تدلّی علی أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قرده وخنازیر ولاضطرم علیهم الوادی ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتی الطَّیر علی الشّجر، ولما حال الحول علی النَّصاری کلَّهم حتّی هلکوا» [۲۱] .

وهذه الواقعه التاریخیه، وهذه الآیه المبارکه التی نزلت لتبیان معالمها تجلّی لنا بوضوح مقام الزَّهراء (علیها السلام) عند الله سبحانه ورسوله (صلی الله علیه وآله) حیث وصفتها الآیه ب «نساءنا» وهی علی هذا الأساس نموذج العنصر النسائی فی المعسکر الإسلامی الکریم، ولا مثیل لها فی النساء علی الإطلاق، ولذا باهل بها رسول الله بأمر السماء، ولو وجد خیراً منها تقیً أو ورعاً أو کرامه عند الله سبحانه لقدّمها لهذا المقام الرفیع، ولکنّها فاطمه الزهراء (علیها السلام) التی طهّرها الله سبحانه من الرّجس فارتفعت إلی المستوی الذی جعل منها ممثله لجماهیر النّساء فی معسکر الإیمان لکی یقتدین بها، سیّما بعد أن سبقتهن بهذه الدرجه الرفیعه.

ولیست الزهراء (علیها السلام) وحدها قد ربحت قصب السبق فی هذا المضمار،

ولکنّ بعلها علیّاً (علیه السـلام) هو الآخر قد جعله الله ومحمداً (صـلی الله علیه وآله) نفساً واحدهً «وأنفسـنا» دون استثناء، فالرسول (صـلی الله علیه وآله) وعلیٌّ (علیه السـلام) الممثّلان الوحیـدان لعنصـر الرّجال فی معسـکر الوحی لکی تقتـدی الأجیال بهما بعد نیلهم لهذه الدرجه العالیه فی مضمار التّقی والإیمان التی لم یبلغهما غیرهما من الواقفین تحت رایه التّوحید.

والحسـنان (علیهما السـلام) هما الآخران اللذان کسـبا الربح فهما علی حدّ تعبیر الآیه الکریمه ولدا محمد وعلی (علیهما السـلام) فی آن واحـد «أبناءنا» وهما علی هـذا الأساس ساده الأبناء وقـدوتهم فی دنیا المسـلمین، وهما وحدهما اللذان یملکان حقّ تمثیل شباب الأُمه فی مباهله النّصاری لأنّ استجابه الله سبحانه تکون مضمونه ومکفوله وحتمیّه الوقوع.

[صفحه ۷۸]

۳ «قل لا أسألکم علیه أجراً إلاّ الموده فی القربی».

عن ابن عباس وسعید بن جبیر (رض): لما نزلت هذه الآیه. قیل: یا رسول الله من قرابتک هؤلاء الذین وجبت علینا مودّتهم؟.

قال: علیٌ وفاطمه وولداهما [۲۲] .

وعن جابر، قال: «جاء أعرابی إلی النبی (صـلی الله علیه وآله) فقال: یا محمد، اعرض علیّ الإسـلام، فقال: تشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، وان محمداً عبده ورسوله.

قال: تسألنی علیه أجراً؟

قال (صلی الله علیه وآله) لا، إلاّ المودّه فی القربی.

قال: قربای أم قرباک؟

قال (صلی الله علیه وآله): «قربای».

قال: هات أُبایعک.، فعلی من لا یحبُّک ولا یحبُّ قرباک لعنه الله.

قال (صلی الله علیه وآله): آمین.

وعن علیّ بن الحسین (علیهما السلام) وسعید بن جبیر وعمرو بن شعیب وعن أبی جعفر وعن أبی عبدالله (علیه السلام) مرفوعاً

إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنّه قال حين سئل عن مفاد هذه الآيه: «أن تودوا قرابتى» [۲۳].

وحين ترتفع هـذه الآيه الكريمه إلى هـذا المستوى فى تأكيد محبّه أهل البيت فاطمه وبعلها وبنيها ، فإنّما توضح للأُمه الإسلاميه واجيالهـا المتعـاقبه الـدرجه العاليه التى بلغها أهل البيت (عليهم السـلام) فى مضـمار التقرُّب إلى الله سبحانه والسير وفقاً لمنهجه السوىّ، فالرسول (صلى الله عليه وآله) حين يسأله بعض المسلمين ما الأ ـجر قبال جهوده المفنيه فى بث الدعوه وتثبيت كيانها ونشر معالمها فى الأرض؟

حين يسأله هؤلاء عمّا يبتغيه من أجر إزاء متاعبه فى بثّ منهج الله يرفض كلّ أجر قبال ذلك لسببين:

[صفحه ۷۹]

۱ لعلمه أنّ الله سبحانه سيوفيه أجره كاملًا لا نقص فيه حين يفد إليه فى الدّار الاخرى حيث النّعيم الدّائم.

۲ إنّ البشر مهما أُوتوا من حول وطول غير قادرين على منحه من أجر غير الأ ـجر المادى المتمثّل بالمال أو الزّوجه أو الأ ـجر المعنوى المتمثّل بالثناء أو المنصب وما يشبههما، وكلا الأجرين مقطوعان بانقطاع المرء عن الدُنيا. وإذا كان محمد (صلى الله عليه وآله) غير محتاج إلى أجر أُمته المنقطع لذاته، فقد سألهم أجراً، ولكنّهم هم الذين يستوفونه، ذلك الأجر هو مودّه أهل بيته (عليهم السلام) والسير على هداهم لأنّهم وحدهم منار الشّريعه ومهبط الوحى والتنزيل.

لقد سأل أجراً لكنّهم يجنون ثماره، فبمودّتهم لأهل البيت (عليهم السلام) وسلوكهم سبيلهم يدركون العزّه وينأون عن الفرقه التى تحصل باتّباع سواهم، فالأُمّه حين تلتزم جانب أهل البيت قربى محمد (عليهم السلام) فإنّما التزمت جانب المنهج الإلهى الكريم باصالته وجوهره السماويين بعيداً عن

كلّ تحريف وشائبه.

ومن أجل هذه الحقيقه خاطبت السماء محمداً (صلى الله عليه وآله) ليسأل أُمته أن تحدب على أهل بيته الأماجد (عليهم السلام)، لأنّ ذلك يمثّل الأجر الذى تدفعه الأُمه لرسولها (عليه السلام)، بل يمثل الضريبه الثابته التى تدفعها الأجيال لمحمد (صلى الله عليه وآله) دون سواها، لكنّ هذه الضريبه وهذا الثمن تدفعه الأُمّه ذاتها لذاتها لأنّ كرامتها وسؤددها أُنيطت بعطفها وحنانها ورعايتها واتباعها لأهل البيت (عليهم السلام) الذين يمثّلون الإمداد الرسالى لمحمد (صلى الله عليه وآله) وحين يسأل محمد (صلى الله عليه وآله) هذا الأجر دون سواه فإنّما أراد أن يوضح للأُمه الشوط البعيد الذى قطعه أهل بيته من الكرامه عند الله، وهذا الأجر بعد ذلك قد اقترحته السماء على محمد (صلى الله عليه وآله) ليناله من أُمته فردّدت الآفاق صدى بيان الوحى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّه فى القربى» [۲۴] وهكذا تبرز آيه المودّه قيمه الزهراء (عليها السلام) وبيتها الطاهر، ملزمه الأُمّه بحبها واحتضان نسلها المبارک لتكون الأمّه بعد ذلك قد دفعت الأجر الذى كلفت بدفعه لقائدها المنقذ محمد (صلى الله عليه وآله).

۳ «... يوفون بالنّذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا إنا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنّه وحريراً متّكئين فيها على الأرائک لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً...» [۲۵] .

أجمع المؤرخون وأهل التفسير على أنّ هذه الآيات الكريمه من سوره الدّهر نزلت فى: الزّهراء فاطمه بنت

محمد (صلى الله عليه وآله) وبعلها وابنيها: الحسن والحسين (عليهم السلام) .

والقارىء لهذه الآيات يستطيع لأول وهله من قراءتها أن يستلهم من ظلالها الوارفه قصّه تأريخيّه جليله، وإن لم يستطع أن يلمس أسماء القائمين بتجسيدها على واقع الحياه. هذا ما يلمسه القارىء العادى لهذه الآيات. أما حين يبحث فى أسباب ووقت نزولها، فإنّه سيعيش قصّه جليله عاشت فى بيت الرّساله الطاهر فقد أتحفتنا الروايات التاريخيّه للصدر الأول من حياه الأمّه الإسلاميه الكريمه [۲۶] أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) قد مرضا، فعادهما جدهما الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) مع وفد من أصحابه الأماجد، وحين يرى الرسول (صلى الله عليه وآله) حاله ولديه الحبيبين هذه، يطلب إلى علىّ وفاطمه أن ينذرا لله صوماً إن عافاهما مما هما فيه من سقم.

ويشفى الحسنان (عليهما السلام) من علّتهما، ويحلُّ وقت أداء النذر، فيصوم علىٌّ وفاطمه والحسنان وفضه. وحين يحل وقت الغروب تحضر فاطمه وفضه جاريتها طعام الفطور الّذى كان قوامه خبز الشعير. وحين يتناول علىٌّ (عليه السلام) أول لقمه من هذا الطعام يطرق الباب فتهبّ فضّه لتعرف من فيه، فإذا الطارق مسكين قد استبدّ به الجوع، وتعود فضّه لتطلع بيت الرساله على خبره. وتجتمع الكلمه على رفع الطعام برمته إلى المسكين، ويستمرّ أهل البيت (عليهم السلام) لا يتناولون شيئاً غير الماء الخالص.

وعند الصباح الثانى يبدأ اليوم الثّانى من الصوم، ويحلُّ وقت الغروب وتعد

فاطمه وفضّه طعام الافطار، وما أن يتهيّأ اهل البيت (عليهم السلام) لتناول طعامهم إلا ويطرق باب الدار عليهم، فتسرع فضّه لتعرف من فيه، وسرعان ما تعود حامله نبأ وجود يتيم فى

الباب، وقد أخذ الجوع مأخذه من نفسه. وعلى الفور يرفع الطعام إلى اليتيم ليستمر أهل البيت (عليهم السلام) وهم لا يتناولون غير الماء.

ويجيء اليوم الثالث ليواصل أهل البيت صيامهم، حتى إذا حلّ الغروب هيّيء الطّعام. وما أن حان أوان تناوله حتى يطرق الباب، فتسرع فضه لمعرفه من فيه، فإذا بأسير قد آلمه الجوع، فتعود فضّه لتنبيء أهل البيت (عليهم السلام) بخبره فيرفع الطعام إليه، ويستمر أهل البيت (عليهم السلام) وهو يتضورون من الجوع ولا يتناولون غير الماء وحده، مع شدّه حاجتهم إلى الطعام.

وتشارك السماء بيت الرساله مشاركه فعليّه، فأرسلت مكافاتها له ببيان مستطرد، نزل به الوحى على محمد (صلى الله عليه وآله) شارحاً القصّه، ثم يصور المقام الكريم الذى سيؤول إليه أهل البيت (عليهم السلام) فى الآخره، محدّداً ابعاده وإطاره:

«ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ... اذا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً».

هذه هى الابعاد الحقيقيه للحادثه التى تجسدت فى ظلال بيت الرساله، حيّه نابضه بالحركه.

يصوّرها القرآن ثم يطلعنا على صوره حيّه لسلوك أهل البيت (عليهم السلام) فهم يطعمون الفقراء والمساكين ولكنّهم لا يسألون أجراً ولا يبتغون منهم شكراً، إنّما يفعلون ذلك تقرّباً إلى الله، وهو حسبهم ومرضاته غايتهم.

وحين يكشف القرآن الكريم هذه الحقيقه فإنّما يكشف لنا عن حقيقه المقياس العمليّ الذى يلوّن حياه أهل البيت (عليهم السلام) ويطبع كافه ألوان نشاطهم بطابع الخضوع لله سبحانه فى كلّ فعّاليّاتهم ونشاطاتهم الفرديه والإجتماعيه.

ثم تأتى المكافأه التى يندر نظيرها:

«فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقاهم نظرةً وسروراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً

ودانيةً عليهم ظلالها وذُلّت قطوفها تذليلاً...».

[صفحه ۸۲]

وبسبب هذا السلوك الملوّن بسلوك الرساله والمصطبغ بصبغه المنهج الإلهى، استحق أهل البيت (عليهم السلام) هذا المقام الأخرويّ الكريم، الذى لحمته جمال وجلال وسداه بهجه وسرور.

وحين يكسب أهل البيت (عليهم السلام) هذه الكرامه القصوى عند الله سبحانه وفى طليعتهم الصِّدّيقه الزهراء (عليها السلام) فإنّما يتوجب علينا نحن أبناء الأمّه الإسلاميه أن نحذو حذوهم ونقتدى بمنهجهم فى الحياه.

وبعد استعراض هذه الآيات الجليله التى اتّسمت بطابع الحديث عن فاطمه وبيتها الطاهر، أصبحنا وبين أيدينا بنود ضخمه وأُطر ثابته تكشف لنا عن الدّرجه العظيمه التى بلغتها الزّهراء (عليها السلام) فى مضمار التقرُّب إلى الخالق الجليل سبحانه، فاستحقت بذلك هذه الكرامه التى لا يوازيها فيها غيرها من سائر الناس.

فى ظلال السنه الشريفه

اشاره

فى السنه النبويه عدد ضخم من الأحاديث التى لا تخضع للحصر، نطق بها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ليبرز قيمه الزّهراء وبعلها أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) وولديها الحسنين (عليهم السلام) وقد أجمع أهل السير والتأريخ على أكثرها، ولكنّ هذا العدد الضخم من الأحاديث النبويّه التى طفحت بها كتب السيره النبويّه وكتب الحديث قد ولّدت لدى بعض المرجفين وأعداء الحق نوعاً من رد الفعل مما جعلهم يفسّرون هذه الظاهره ظاهره غزاره الأحاديث النبويه فى فضل الزهراء (عليها السلام) على أنّها تمثّل موجاً عاطفياً، دفع الرسول (صلى الله عليه وآله) لمدح فاطمه (عليها السلام) كما مدح عليّاً (عليه السلام) بدافع عاطفى كذلك، فهو (صلى الله عليه وآله) يبرز قيمه الزهراء (عليها السلام) وأبعاد فضلها على نساء العالمين لأنّها ابنه خديجه التى كان يحبُّها حبّاً مطلقاً، سيّما وهى التى وقفت معه أيّام عسرته،

وبذلت كلّ ثروتها فى سبيل دعوته. وهذا ما جعله يعطف على فاطمه (عليها السلام) لأنّها وديعه زوجته المخلصه خديجه، فضلاً عن أنها ابنته، مما جعل عاطفه الأُبوّه هى الأُخرى تلعب دورها فى أحاديثه على حدّ تعبير المرجفين .

ويفسّر هؤلاء الأحاديث التى أطلقها الرّسول (صلى الله عليه وآله) فى إبراز شخصيه علىٍّ بن أبى طالب (عليه السلام) وكثره الثناء عليه فى أنّها أحاديث أملتها العاطفه على محمد (صلى الله عليه وآله)، فالإنتصارات المستمره التى أحرزها علىٌ (عليه السلام) والبطولات التى حقّقها فى جهاد الرسول (صلى الله عليه وآله) وحروبه مع أعداء الإسلام، هى التى دعت الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يذكر

[صفحه ۸۵]

عليّاً (عليه السلام) فى مناسبات كثيره يضمنها مدحه وثناءه المنقطع النظير لعلىٍّ (عليه السلام) ما دام هو القائد لانتصاراته والماحق لصرح أعدائه [۲۷] .

هذه التفسيرات أطلقها بعض الكتاب المحدثون عند استعراضهم لبعض معالم السنه النبويه، لا سيما فى الجانب الذى يتناول أهل البيت (عليهم السلام).

ولكن هذا التفسير الجائر لهذه الأحاديث النبويّه يمثّل حمله عنيفه على شخصيه الرسول (صلى الله عليه وآله) بصفته حامل رساله سماويّه.

ونحن بدورنا نستطيع أن ندحض هذه الشُّبهات الوضيعه إذا رسمنا نقطتين فى هذا المجال لتبيان بطلان هذه التفاسير التى لا يسندها منطق ولا يدعمها واقع:

۱ إنّ ادعاء كون الرسول (صلى الله عليه وآله) يتأثر تأثراً عاطفياً فى أحاديثه يجعل القائلين به يخرجون الرسول (صلى الله عليه وآله) عن حدود العصمه، مع أنّ الأدله العقليه والنقليه مستفيضه فى إثبات عصمه الرسول (صلى الله عليه وآله) فى كافه ألوان نشاطه، وفيما يصدر من أحكام وآراء، فكيف يتأثر

يا ترى بالعاطفه مع العلم أنّ العاطفه يتسرب الوهن والخطأ إلى أحكامها؟. والقرآن الكريم كتاب الله العزيز قد أمرنا بالإلتزام بكلّ تعليم يصدر عن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّى كان لونه كقوله تعالى: «... وما آتاكم الرسول، فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا» [٢٨] .

وقوله: «قل إن كنتم تحبُّون الله فاتبعونى يحببكم الله» [٢٩] .

فلو لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله) بعيداً عن العاطفه فى أقواله الشريفه ونشاطاته المتعدّده، لما ألزمنا الله تعالى باتباعه، علماً بأنّ الآيات صريحه لم تستثن فى أقوال الرسول أو افعاله شيئاً، بل إنّنا ملزمون بأتّباع كلّ ما ألزمنا الرسول (صلى الله عليه وآله) باتّباعه، وقد قرّر القرآن الكريم حقيقه عصمته قبل إلزامنا بالسير طبقاً لتعليماته قوليّه كانت أم فعليّه لقوله تعالى: «... وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى، علّمه شديد القوى، ذو مرّه فاستوى» [٣٠] .

[صفحه ٨٦]

لأنّ العصمه تمثل بدورها المناعه الطبيعيه التى تضفى على صاحبها لوناً خاصّاً من السلوك، تبعده عن كلّ ما من شأنه أن يوقعه فى سهو أو خطأ يخرجه فى سلوكه أنّى كان لونه عن إطار المنهج الإلهى.

٢ إنّ أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) التى أطلقها فى مواقفه الكثار فى التحدُّث عن أهل بيته وفى طليعتهم علىّ وفاطمه مهما بلغت من مستوى عاطفىٍّ كما يدّعى المرجفون فإنّها لم ترتفع فى مستواها عن مستوى الآيات الكريمه التى نزلت لتبيان سمو منزلتهما العظيمه، بل إنّ أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) التى وصفت عليّاً وفاطمه، أو أثنت عليهما كانت شرحاً

لتلک الآیات أو عیشاً فی ظلالها الوارفه دون خروج عن إطارها العام علی الإطلاق.

لنعش قلیلاً ـ فی ظلال بعض الأحادیث النبویّه التی نطق بها الرسول (صلی الله علیه وآله) للثّناء علی أهل البیت أو تبیان فضائلهم، لیتّضح لنا بجلاء المستوی العاطفی المزعوم فی أحادیث الرسول (صلی الله علیه وآله) بعد أن نقرنها بالآیات الکریمه التی نزلت فی أهل البیت (علیهم السلام).

۱ ورد فی (صحیح البخاری) عن أعور بن محزمه: أنّ رسول الله قال: «فاطمه منی، فمن أغضبها أغضبنی».

۲ (مستدرک الصحیحین) عن علیٍّ (علیه السلام) قال رسول الله لفاطمه: «إنّ الله یغضب لغضبکِ، ویرضی لرضاکِ».

۳ فی (مسند أحمد بن حنبل): أنّ رسول الله أخذ بید حسن وحسین، وقال: «من أحبّنی وأحبّ هذین وأباهما وأُمهما، کان معی فی درجتی فی الجنه یوم القیامه».

۴ عن أبی هریره، قال: نظر النبی (صلی الله علیه وآله) إلی علیٍّ وفاطمه والحسن والحسین، فقال: «أنا حرب لمن حاربکم وسلم لمن سالمکم».

۵ روی أبو سعید الخدری قال: سمعت رسول الله (صلی الله علیه وآله) یقول: «إنّما مثل أهل بیتی فیکم کسفینه نوح، من رکبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».

۶ روی زید بن أرقم، قال: قال رسول الله (صلی الله علیه وآله): «إنّی تارک فیکم ما إن

تمسکتم بهما لن تضلّوا بعدی: کتاب الله وعترتی أهل بیتی، ولن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض، فانظروا کیف تخلفونی فیهما».

وبإیراد هذه الجمله من أحادیث الرسول (صلی الله علیه وآله) التی تتّسم بطابع الثناء علی أهل البیت (علیهم السلام) یجدر بنا أن نکشف المدی الذی بلغته هذه الأحادیث الکریمه التی تمثّل

مجموعه ضخمه من السنّه النبويّه الشريفه فی تبيان فضائل اهل البيت (عليهم السلام):

فالحديث الأول، لم يرسل لنا إلا ما أكدته آيه المودّه: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّه فی القربی».

حيث أنّ الآيه ألزمت الأُمّه إلزاما شرعّياً بمحبّه أهل البيت والسير وفقاً لمنهجهم القويم.

وعلی هـذا الأساس الّذی تقرّره الآيه الكريمه، فإنّ اغضاب أهل البيت وإيذاءهم جريمه، لأنّه يجرُّ إلی إغضاب الله تعالی ورسوله الكريم اللذين قرّرا وجوب محبّه أهل البيت والإلتزام بحبلهم.

والحديث الثانی، يلتزم هو الآخر بنفس القيود، بل يؤكّد نفس المعالم التی رسمتها آيه المودّه، لأنّ الله سبحانه قد قرر محبّه الزهراء وإرضاءها، إذ لا تتحقق أبعاد المحبّه إلا بإرضائها.

ولما كان الله تعالی هو الّذی ألزم الأُمه بمحبه الزهراء (عليها السلام) وسائر أهل البيت (عليهم السلام)، فقد أصبح إرضاؤها إرضاءً لله الذی أوجبه، كما أنّ إسخاطها سيجلب سخط الله تعالی الذی ألزم بالحنوّ عليها وسلوك منهجها.

والحديث الثالث، يبرز الحقيقه عينها فحين تتّم طاعه المرء للرسول (صلی الله عليه وآله)، التی تؤلف الرُّكن الثانی من أركان الإيمان فی الرساله الإسلاميه، وحيت تجتمع مع هذه الطاعه، طاعه أهل البيت ومودّتهم، فإنّما قد تتحقق بذلك السعاده ويتجسّد الإيمان فی نفسيه المرء وألوان سلوكه ممّا يحتّم بلوغ هذا الإنسان درجه رفيعه من التُّقی تقوده إلی الجنّه.

وهذا الحديث الذی يطلقه الرسول (صلی الله عليه وآله) فإنّما يعيش فيه تحت ظلال الآيات الكريمه، فالله سبحانه هو الذی ألزمنا بإتّباع الرسول وطاعه أهل بيته، وحين نجسّد هذه الطاعه علی سلوكنا، فإنّما قد مثلنا مفهوماً ألزمنا الله بإتّباعه وحين

[صفحه ٨٨]

نلتزم بهذا المفهوم الحیّ، نكون قد

حقّقنا الطاعه المطلقه لله سبحانه التی تقودنا إلی رضوانه ودخول جنّته.

والحدیث الرابع، یعطینا نفس الإیحاء ویضرب علی نفس الوتر فی وجوب الاعتصام بأهل البیت (علیهم السلام)، لأنّ عدوّهم معادٍ للرسول الذی سأل مودّتهم کأجرٍ تدفعه الأُمّه إلی رسولها (صلی الله علیه وآله)، وهذا ما تقرره آیه المودّه عینها .

وأمّا الحدیث الخامس، فإنّه یعطی نفس التلقینات التی رسمتها آیه التطهیر من کلّ رجس.

إذن فالأُمّه مکلّفه باتّباعهم، لأنّهم علی هذا الأساس: سبیل النجاه، والطریق المستقیم الموصل إلی الله تعالی.

وفی الحدیث السادس، یوضح الرسول (صلی الله علیه وآله): أن أهل بیته: ترجمان الکتاب، والصوره الحیّه المتحرکه لمنهج السماء. ولو لم یکن أمرهم هذا شأنه، لما وصفهم الله تعالی بالمطهّرین من الرجس، ولما أوجب مودتهم واقتفاء اثرهم.

ونحن حین نستعرض أبعاد الأحادیث التی نطق بها الرسول (صلی الله علیه وآله) مشیداً فیها بأهل بیته فإنّنا لا نشمُّ أیّه رائحهٍ للعاطفه التی یدّعیها المرجفون، فهو مرّه یلزم بحبّهم، ومرّه ینهی عن إسخاطهم، وأُخری یأمر بإرضائهم وثالثه یصفهم بسفینه نوح، ورابعه یصفهم بترجمان القرآن والحی. وهذه النعوت التی یطلقها الرسول لم تکن لتخرج علی الإطلاق عن إیحاء الآیات الکریمه التی ألزمت بحبهم، وأعلنت طهارتهم من کلّ دنس جاهلی، فما دام الله سبحانه قد جعل طاعه أهل البیت (علیهم السلام) کسائر الفرائض والأحکام الشرعیه، فإنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) قد التزم بهذا التلقین السماوی، لذا کانت أحادیثه غزیره فی هذا المضمار، ولعلّه (صلی الله علیه وآله) ما اهتم بأهل بیته هذا الإهتمام ولم یولهم هذه العنایه المنقطعه النظیر إلا لأنّه واثق من

أنّ كرامه الأمه وسؤددها منوطتان باحتضان أهل البيت (عليهم السلام) والسير وفقاً لمعالم منهجهم الإسلامى الرصين، فأراد أن تردد الآفاق صدى أقواله لتوقد الأُمه إلى طاعه أهل البيت (عليهم السلام) الذين يمثلون القاده المبدئيين الحقيقيين بعد محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلى أيديهم تتحقّق أصاله هذا المنهج الإلهى وكرامه هذه الأمّه ومجدها التالد.

[صفحه ۹۲]

نقاط مضيئه

فى حياه بعض الناس ومضات يحار العقل البشريُّ عند استذكارها والتفكير بها، وحين يقف المرء عندها تخشع جوانحه حيره وإكباراً لصانعيها. والأجيال السالفه أو المستقبله لا تستطيع أن تنهض بأعباء حياتها ما لم يوجد فى صفوفها نفر يحملون هذه المميّزات العظيمه ليكونوا جديرين بحمل الرّساله أو ليكونوا قدوهً يحتذى بها فى السلوك الفرديّ أو الاجتماعى. وكثيراً ما ينهض بهذه الأعباء نفر من الرجال ممن توفّرت فيهم بعض المؤهلات التى رفعتهم إلى مستوى المسؤوليّه مسؤوليه إنقاذ مجتمعاتهم أو الإنسانيه بكاملها أحياناً كما هو عليه الرُّسل (عليهم السلام) وإلى جانب هذه الشُّموع التى أضاءت للبشريه طريقها عبر التاريخ برزت بعض النّساء ليؤلفن مناخاً دافئاً لخلق أجيال مهذّبه؛ ولكنّ تأريخ البشريه لم يحض إلا بقليل من هذه الشموع الجديده. ولهذه الحقيقه أشار القائد محمد (صلى الله عليه وآله) بقوله:

«كمل من الرّجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاـ مريم ابنه عمران، وآسيه بنت مزاحم امرأه فرعون، وخديجه بنت خويلد، وفاطمه بنت محمد».

فهؤلاء النُّسوه قد تربين فى أحضان الوحى حتى بلغن مرحله النُّضوج للشخصيه لا تبلغها غيرهنّ من العنصر النسائى فى المجموعه البشريّه، فضلاً عن الرّجال سوى الأنبياء والأوصياء منهم.

ونحن فى هذه الصّفحات الوجيزه بودّنا أن نمارس حديثاً عن صفات طفحت بها شخصيه

فـاطمه بنت محمـد (عليهـا السـلام) لتبقى نبراساً تهتـدى بها الأُمم والشُّعوب التى تتطلع إلى المجـد والعزه. وها نحن أَولاء نرسـم بعض النقاط المضيئه النابضه بالحياه التى اتّسمت بها حياه الزهراء (عليها السلام):

فى أشدّ الأيّام التى مرّت بها دوله النبى محمد (صـلى الله عليه وآله) فى يثرب الفتيه عسـره، حيث الضّائقه الماليّه وانحطاط الحاله الإقتصـاديه التى ولّدتها كثره الحروب التى دارت رحاهـا بين دوله المنهـج الإلهى والـدُّول القائمه على أُسـس جاهليه، حيث أنّ طبيعه الحروب تفرض بطبيعتها سـياسه تقشُّف تفرضـها الظروف العسكريّه سيّما لدى الدوله التى تبتلى بغزو أعدائها الكثار الذين يعملون على انتهاز كلّ فرصه للإطاحه بهذه الدّوله.

[صفحه ۹۳]

أجـل الضّـائقه المـاليّه تلعب دورهـا فى حيـاه المجتمع الفـتىّ فى يـثرب، والموارد المـاليه لاـ تتعـدّى بعض الغنـائم التى يكسـبها المحـاربون من الأعـداء أو بعض الزّكوات التى يـدفعها أغنيـاء الأُـمّه الى دولتهم، أمّـا سوى ذلك فلا وجود له، فلا زراعه يعتمد عليهـا حيث تمتـاز أرض الحجاز إلا ما نـدر بجـدبها وصـحراويتها وجفافها ولا صـناعه تـذكر غير حياكه يـدويّه لبعض الملابس وحداده لبعض الآت الحرب من سـيوف ودروع ورماح ونحوها، كما لم تهتد البشريه يومذاك لمعرفه استخراج النفط ونحوه من خيرات الأرض، كلّ ذلك غير متوفّر بهـذه الدّوله الفتيّه فلابد أن تكون محصّـله هذه الأحاديث ضائقه ماليّه وعسـراً اقتصادياً يعمُّ جميع طبقـات الأُـمّه. وفضـلاً عن كـلّ ذلـک فالفتوحـات مـا زالت مقصوره على أرض الجزيره العربيه التى تمتاز بنـدره مواردها الماليّه حيث لم تصل جيوش محمـد (صـلى الله عليه وآله) بعـد إلى أرض السّواد أو أرض الكنانه أو الهلال الخصـيب لكى تدرّ هذه البقاع بعضاً من مواردها على

مركز الدّوله فی (یثرب).

فی مثل هذه الأیّام القاسیه اقتصادیّاً یدخل علی رسول الله (صلی الله علیه وآله) شیخ کبیر تبدو الفاقه علی ملامح شخصیّته کلها فالثیاب رثّه مهلهله، والظهر محدودب، والوهر بارز علی تقاسیم وجهه، وقد جاء یحمل مطالیبه لرسول الله محطّ أنظار المعوزین وأبی الفقراء والمحتاجین فقال [٣١] : «یا رسول الله أنا جائع الکبد فأطعمنی، وعاری الجسد فاکسنی، وفقیر فآثرنی» ولکنّ الضائقه المالیّه التی تحیاها دوله محمد (صلی الله علیه وآله) بسبب التعبئه العسکریه وقله الموارد المالیّه فی الحجاز جعلته یعتذر، فیقول له: «ما أجد لک شیئاً، ولکنّ الدّالّ علی الخیر کفاعله، إنطلق إلی ابنتی فاطمه».

وأمر بلالاًـ أن یدلّه علی بیت الزهراء (علیها السلام)، ویبلغ الشیخ بیت الزهراء، وعلی الباب یرفع صوته: «السلام علیکم یا أهل بیت النبوه، ومختلف الملائکه، یا بنت محمد أقبلت علی أبیک سیّد البشر مهاجراً من شقه، عاری الجسد، جائع الکبد، فارحمینی یرحمک الله».

وتسرع الزهراء (علیها السلام) إلی جلد کبش مدبوغ کانت بمثابه فراش ینام علیه

[صفحه ٩۴]

الحسنان (علیهما السلام) فتمنحه إلی الشیخ المحتاج وهی تقول له: «عسی الله أن یتیح لک ما هو خیر منه».

ولکنّ الشیخ لم یقبل منها أُعطیتها هذه فقال: «أنا شکوت إلیک الجوع فناولتنی جلد کبش، فما أنا صانع به مع ما أجد من السّغب؟».

وتعمد فاطمه الزهراء (علیها السلام) إلی عقدٍ فی عنقها أهدته إلیها فاطمه بنت حمزه، فتدفعه إلی الشیخ، وهی تقول: «خذ وبعه فعسی الله أن یعوّضک بما هو خیر لک منه».

ویعود الشیخ إلی مسجد الرّسول (صلّی الله علیه وآله) ویبیع العقد یبتاعه منه عمّار بن

ياسر بمبلغ عشرين ديناراً ومائتى درهم وبرده يمانيه وراحله يبلغ الشيخ عليها أهله، وينطلق عمّار بالشيخ إلى بيته ليفى له بثمن العقد، ويعود الشيخ إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) فيقول له: «أشبعت واكتسيت؟».

قال الشيخ: «نعم واستغنيت بأبى أنت وأُمّى».

الرسول معلقاً على قوله : «فأجز فاطمه فى صنعها معك خيراً».

الشيخ: «اللهم أنت إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا فأعط فاطمه ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت».

فيؤمّن محمد (صلى الله عليه وآله) على دعائه ويلف عمّار عقد الزهراء ببرده يمانيّه، ويطيّبه بالمسك ويبعثه وعبده هديه لرسول الله. وما أن يصل العبد وبصحبته العقد للرسول حتى يبعثه لفاطمه، فتأخذ فاطمه العقد، وهى تقول للعبد: «إذهب، فأنت حرٌّ لوجه الله». لتضيف مكرمه جديده إلى مكارمها العظيمه، ويبتسم العبد، وهو يقول: «ما أكثر بركه هذا العقد: أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق مملوكاً، وعاد إلى أهله...».

هذه ومضه حيّه من حياه الزهراء (عليها السلام) تتجلّى فيها روعه التكافل الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى، فضلاً عن طابع المحبّه والتوادُد الذى يلوّن حياه أبناء الأُمّه الإسلاميه فى الصدر الأول يوم عرفوا الإسلام منهج حياه يرتفعون على أساسه إلى مستوى خلافه الارض..

[صفحه ۹۵]

ومما تنقله لنا كتب السيره الشريفه: أنّ الزهراء سألها القائد محمد عن أىّ شىء تودُّ أن تكون عليه المرأه المسلمه؟ فإذا هى تقول: «أن لا ترى الرجل المحرم ولا الرّجل المحرم يراها» [۳۲] .

فيعلو البشر محمداً (صلى الله عليه وآله)، فيضمّها إلى صدره وهو يقول: «ذريّه بعضها من بعض...».

وهذا التّصريح من الزهراء (عليها السلام) ليس قولاً تطبعه الهوايه أو الصفه النظريّه، وإنّما يمثل

حقيقه يقرُّها الواقع الإنسانى الفسيولوجى والإجتماعى.

ربّما يجد المرء سيّما ممن يعيش فى هذا القرن أنّ فى هذا القول مبالغه فى الحجاب بالنسبه للمرأه، وحصرها فى إطار البيت.

يقول المرء هذا إذا لم يكن قد عرف السّر الذى دفع الزهراء (عليها السلام) أن تعلن هذا المفهوم الإسلامى الأصيل، وقد يتّفق المعترض مع الزّهراء إذا عرف أنّ الإنسان يملك فيما يملك غريزه أصيله تعرف بالغريزه الجنسيه ومما يميّز هذه الغريزه وبعض الغرائز الأخرى لدى الكائن الانسانى: أنّها تثار من الخارج ومن محيط الإنسان عينه، فتثيرها الأحاديث الجنسيّه والقصص المغريه والأفلام الخليعه والمجلاّت الدّاعره والأغانى وغيرها، فتجعل من الإنسان أكثر اندفاعاً لإشباع هذه الغريزه [۳۳]، وحين تكون هذه الغريزه أكثر على الإثاره حين تتوفّر لها الأجواء الجنسيه، فقد حاول الإسلام وهو دين العفّه والفطره أن ينزّه مجتمعه الكريم من كلّ الآثار الّتى تؤدى بدورها إلى إثاره هذه الغريزه الجنسيه، وكان فى طليعه مشاريعه التى أقامها بغيه حفظ التوازن فى المجتمع : أن منع التبرج والإتصال غير المشروع بين الرجال والنساء، لأنّ هذا الإتصال إن وقع سيكون مدعاه لإثاره الغريزه لدى الأفراد، مما يهيّيء لحدوث جرائم خلقيه فى المجتمع الإسلامى.

ولكن الإسلام التزم جانب الوقايه لمنع حدوث الداء. ولهذه العلّه عينها

[صفحه ۹۶]

تنطلق الزهراء (عليها السلام) لتوضيح مفهوم الإسلام عن العلاقات الجنسيّه فى المجتمع الإسلامى الرشيد، فهى علاقات لا تقوم إلا على اساس الكرامه وحفظ الموازين الأخلاقيّه، فإذا هى تقول عن المرأه «ألاّ ترى الرجل المحرم، ولا الرجل المحرم يراها».

فللرّجل والمرأه الحق فقط أن يرى بعضهما

الآخر ويمارس نشاطه معه فی إطار شرعیٍّ نظیف، بعید عن منطق الشهوات الهابطه.

والرجل المحرم فی نظر الإسـلام من لم یکن للمرأه والداً أو مولوداً أو شقیقاً أو ابن أخٍ أو ابن أُخت أو من لم یبلغ الحلم أو زوج [۳۴] ، أمّا ما عـدا ذلک الصـنف من الناس، فهو فی نظر الإسـلام یحمل طابع الحرمه، منعاً لتلاعب المتلاعبین وصـدّاً لمکائـدهم العابثه.

ومما ورد عن سیرتها (علیها السلام): ما جاء عن أسماء بنت عمیس: أنّها کانت عند فاطمه الزهراء، إذ دخل علیها النبی (صلی الله علیه وآله) وفی عنقها قلاده من ذهب أتی بها علیٌّ بن أبی طالب (علیه السـلام) من سهم صار إلیه، فقال: «یا بنیه، لا تغتری بقول الناس: فاطمه بنت محمد، وعلیک لباس الجبابره».

فقطعتهـا لساعتهـا وباعتهـا لیومهـا، واشترت بـالثّمن رقبه مؤمنه، فأعتقتهـا، فبلغ ذلک رسول الله (صـلی الله علیه وآله) فسـرّ بعتقها، وعلاه البشر.

وعن عائشه تقول حین ذکرت الزهراء : «ما رأیت أصدق منها لهجه إلاّ أباها».

روی الشیخ الصدوق فی أمالیه: أنّ فاطمه الزهراء (علیها السلام) قد صنعت مسکتین من فضه وقلاده، وقرطین وستراً للباب، وکان رسول الله (صـلی الله علیه وآله) فی سـفرٍ، فلمّـا عـاد من سـفره دخل علیها ولم یمکث عنـدها طویلاً کما کانت عادته فخرج إلی المسجد، ففسّرت فاطمه (علیها السلام) هذا الموقف علی أنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) إنّما تعجّل فی مغادره بیتها کان بسبب ما رآه من المسکتین والقلاده والقرطین والستر،

[صفحه ۹۷]

فنزعتها جمیعاً وبعثتها إلی رسول الله، وقالت لرسولها: قل له: «تقرأ علیک ابنتک السلام، وتقول: إجعل هذا فی

سبیل الله...».

فلما أتاه بها وحدّثه بما تبأت به الزّهراء هتف محمد بقوله: «فعلت، فداها أبوها، فداها أبوها». ثم عاد لزیارتها مستبشراً.

وعن علیٍّ (علیه السلام) قال: «إنّ الزهراء استقت بالقربه حتی أثّرت فی صدرها، وطحنت بالرّحی حتی مجلت یداها، وکسحت البیت حتی اغبّرت ثیابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّی دکنت ثیابها،فأصابها من أجل ذلک ضرر شدید» فقال لها علیّ (علیه السلام) یوماً: «لو أتیت أباک، فسألته خادماً»؟ فجاءت فوجدت عنده قوماً فاستحیت وعادت فعلم النبی (صلی الله علیه وآله) أنها جاءت لحاجه، فغدا علینا ونحن فی لحافنا فأردنا أن نقوم فقال: مکانکما فجلس عند رؤوسنا، فقال: یا فاطمه ما کانت حاجتک أمس؟ فأخبره علیٌّ (علیه السلام) بحاجتها. فأجاب رسول الله (صلی الله علیه وآله) أفلا أُعلمکما ما هو خیر لکما من الخادم، إذا أخذتما منامکما،فسبّحاً ثلاثاً وثلاثین، واحمدا ثلاثاً وثلاثین، وکبرا، اربعاً وثلاثین، فأخرجت فاطمه رأسها وقالت: «رضیت عن الله ورسوله».

ورد عن أُمّ سلمه: أنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) حین تزوّجها أمرها بتربیه الزهراء (علیها السلام) ورعایه شؤونها لسدّ الفراغ الذی حدث فی حیاتها بعد أُمها، ولکنّ أُمّ سلمه (رض) لم تستطع تحقیق مهمّتها، فصرّحت أنّها وجدت الزهراء (علیها السلام) أأدب وأدری بشؤونها منها [۳۵] .

[صفحه ۱۰۰]

من بوادر المأساه

الخطب الجلل

وعاشت یثرب أکثر من عشر سنین فی أسعد أیّام وأجلّها وأطهرها، فقد احتضنتها یدُ الوحی طیله هذه الأیام التی احتضنت هی فیها رساله السماء، ودافعت عنها ودفعت فی سبیلها أبهظ الأثمان لکی تعیش الرّساله وتسود وتخلد، وانضمّت مکّه هی الأُخری إلی أُختها یثرب فی احتضان الرّساله الخاتمه، وبانضمام مکّه إلی اختها یثرب فی احتضان الرّساله، سقط

آخر وثنٍ وطاغوت فی الجزیره العربیه کلّها، وجلی آخر شیطان من أرض الجزیره لتنمو فیها شجره الإیمان، ترویها ید الوحی المقدس.

ووطّد محمد (صلی الله علیه وآله) الأمن، وثبّت أرکان العقیده، وأوضح معالم الرساله مجملها وتفصیلاتها حیث أعلن المشرّع الأعلی سبحانه: «الیوم أکملت لکم دینکم، وأتممت علیکم نعمتی، ورضیت لکم الإسلام دیناً...».

وبإعلان السماء إکمال التشریع وإتمام النّعمه وارتضاء الإسلام منهجاً خالداً للأرض، باتت محافل الأرض تتوقع نبأ جدیداً یحمل الأسی فی طیّاته، نبأ انتهاء السّفاره سفاره محمد (صلی الله علیه وآله) فی الأرض لأنّ دوره هذا حسب تصریح القرآن الکریم أوشک أن ینتهی لتبقی تعالیمه التی غرسها، ولتبقی مدرسته التی أسّسها تعمل عملها وتؤدّی مهمتها وفاعلیّتها فی خلق الإنسان الرّسالی الکریم.

وقد تأکد هذا من قرائن شتی کان بضمنها خطبه الرسول (صلی الله علیه وآله) الجامعه التی

[صفحه ۱۰۱]

ألقاها بعد عودته من حجّه الوداع حیث جمع الأُلوف من أبناء الأُمّه الإسلامیه وخطبهم خطبه جامعه ضمّنها کلّ ما حوته الرّساله المقدّسه من أسرار ومعالم وقوانین وأحکام، وطالبهم مطالبه أکیده بالإلتزام بها، ثمّ أکّد إمامه علیٍّ (علیه السلام) لیقوم بمهمه التنفیذ لهذه الرساله علی الصعید الإجتماعی والسیّاسی.

وهذه البادره الجدیده من الرّسول (صلی الله علیه وآله) أکّدت لمحافل الأرض أنّ القائد المنقذ لا بدّ مفارق.

وباتت الآذان تتسمع للنّبأ وراحت القلوب تنبض نبضات کلّها رعب ومخاوف، وما أن انصرم أکثر من شهر واحد من السنه الحادیه عشره من الهجره إلا وألمّت بالقائد محمد (صلی الله علیه وآله) حمی شدیده رافقته أربعه وعشرین یوماً.

ولکنّه مع ذلک ما صحبه من أتعاب وانهیار فی صحته لم یترک واجبه کرسول وقائد، فکان

يركّز أقدام العقيده، ويبعث بالجيوش لتوسيع الرقعه الإسلاميه وتحطيم الطّواغيت وإذلالهم ليأخذ الإسلام مجراه وليظهر على الدّين كلّه، حيث قد بعث فى هذه الفتره من حياته أُسامه بن زيد فى أضخم جيش إسلامى لدك صروح الدّوله الرومانيّه التى تمثل معسكر الشّرك الغربىّ يومذاك ولكنّ جيش أُسامه قد أُرجىء بسبب مواقف بعض الصّحابه الّذين احتجُّوا بصغر سنّ أُسامه، وأنّه ليس أهلًا للقياده، ولكنّ الرّسول (صلى الله عليه وآله) ألزمهم بالإلتحاق به، فلم يفعلوا.

وبدأت صحّه الرسول تنهار يوماً بعد يوم، وهنا يستولى الذهول على البيت الرسالى بأسره، وفى طليعته الصديقه الزهراء (عليها السلام) فقد أحاط بها الحزن ولفّها الأسى، وكانت تزور أباها فى مرضه وتسمع أنينه وتوجعه فتبكى وتستولى عليها اللوعه والألم، فيبكى لبكائها ويتألّم لألمها ويخفى توجعه رأفةً بها وحدباً عليها.

وفى يوم من أيام مرضه يضمُّ فاطمه إليه ويسرُّ إليها حديثاً، فترفع رأسها ودموعها تتحدّر على خدّيها، واللوعه تأخذ مأخذها منها.

ويضمُّها أخرى إليه ويسرُّ إليها حديثاً، فتبتسم ابتسامه ملؤها السرور والبشر، ويمثلىء الحاضرون عجباً لهذا الحديث حيث تختلط دموع بابتسامات وجزع بسرور، ويسأل من شهد هذا الحدث من المسلمين عن سبب بكائها ثم

[صفحه ۱۰۲]

فرحها، ولكن بعد حين، فتجيب، أنّ أباها نعى نفسه لها فبكت، ولكنّه أردف فأخبرها بأنّها ستكون أول أهل بيته لحوقاً به فسرت لذلك وامتلأت فرحاً.

ويدعو الرسول (صلى الله عليه وآله) ولديه الحسن والحسين فيحضران أمامه وهما يمتلئان أسىً وكآبه لما ألمّ بجدّهما الحبيب محمد، وهما واثقان أنّ هذه اللحظات ستكون آخر عهد يعيشان فيه حنان محمد وحدبه وشفقته عليهما فهو سينتقل إلى مثواه الأخير وسيلتحق بدار الخلود،

فلابدّ لهما أن تجود عيونهما ما شاء الله من الدموع لأنّهما سيواجهان حياه جديده خاليه من عطف محمد الدافیء الرّقيق.

ومهما يكن من أمر، فانّهما واثقان من أنّهما لن يعيشا وعلى أحسن تقدير عيشه كالعيشه التى عاشاها فى كنف أبيهما محمد.

ويضمهما محمد إلى صدره ويقبّلهما، وعيناه تذرفان دموعاً مشاركه لهما فى بكائهما ولوعتهما.

ويشفق عليٌّ على أخيه رسول الله، فيسرع إليهما لينحيهما عن جدّهما، ولكنّ الرسول يواجه عليّاً بنبأ غيبى: «يا عليُّ، دعنى أشمُّهما ويشمّانى، وأتزوّد منهما ويتزودان منى، أما إنّهما سيُظلمان بعدى ويقتلان ظلماً، فلعنه الله على من يظلمهم» [۳۶] .

وهنا يلتفت إلى زائريه من المسلمين ليؤكد قيمه الحسن والحسين فضلًا عن أهل بيته، فيقول: «أيُّها الناس، يوشک أن أقبض قبضاً سريعاً، وقد قدّمت إليكم القول معذرةً إليكم ألا إنّى مخلّف فيكم: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلُّوا بعدى» [۳۷] .

وحين يعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّ مهمّته فى الأرض قد انتهت، وأنّه يوشک أن يفارق أُمته، يزداد الحاضرون ألما وحسرةً ويضجُّ أهل البيت بالبكاء، ويدعو محمد (صلى الله عليه وآله) أخاه عليّاً ليضع رأسه فى حجره وليفارق الدنيا وآخر عهدٍ به وصيّه عليٍّ (عليه السلام).

[صفحه ۱۰۳]

وما هى إلا لحظات تنصرم حتى تعلن الأرض نبأ وفاه محمد (صلى الله عليه وآله) نبأ انقطاع الوحى عن الأرض، بل افتقاد المنقذ والمحرر للإنسانيه برمّتها .

ويبلغ النبأ بضعته الطاهره الزهراء (عليها السلام) فتهبّ مذهوله من شدّه الصدمه العنيفه التى فوجئت بها، فتضجُّ بالبكاء وهى تردّد: «واأبتاه، إلى جبريل أنعاه، واأبتاه، جنّه الفردوس مأواه واأبتاه، أجاب رباً دعاه...».

وراحت

تردّد هـذه الكلمـات بحرقه وألم شديـدين وتعيش فاطمه المأساه بكل أبعادها، فقـد رحل عنها دفء الموده والحنان، رحل عنها الحبيب محمـد، وها هو مسـجىً بين يـدى المسلمين، وسوف يحمل بعـد مـده إلى مثواه الأخير حيث يغيب شـخصه الكريم عن عينها، يغيب إلى الأبد، وسيكون اللقاء فى دار الخلود والنّعيم.

رسـمت فـاطمه (عليهـا السـلام) هـذه الحقـائق أمـام ناظرهـا وتصوّرته فى ذهنها فانـدفعت تشـفى غليلها ولكن بحسـرات وآهات انعكست لوعه وبكاءً ودموعاً غزيره. ثم اندفعت تنسج من حزنها شعراً تتغنى به فإذا بها تقول:

إغبرّ آفاق السماء وكُوّرت

شمس النّهار وأظلم العصران

والأرض من بعد النبى كئيبه

أسفاً عليه كثيره الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها

وليبكه مضرٌ وكلُّ يمانى

وهـذه الأبيات تصور مدى اللوعه ومدى الحزن الذى يرتسم على شخصيّه الزهراء (عليها السـلام) فهى ترى أنّ الدُنيا كئيبه فاقده للنُّور مظلمه جوانبها تعيش حالةً من الإضطراب والرّجفان.

وحين تتصوّر فـاطمه (عليهـا السـلام) الحيـاه هـذا التّصور بعـد أبيهـا، إنّمـا تتصور حقيقه لا ـ خيالاً ـ أو مبالغه، لأنّ أباها كان لهـذا الكوكب الأرضىّ ومن فيه وما فيه سراجاً وهّاجاً أضاء لها السبيل وخلّصها من التيه والشرور، وعلّمها دروب السعاده والسلام.

فحقيق بفاطمه وحقّ لها أن تقول فيه ما تقول.

ويتولى وصيُّه (علىٌّ) غسـله وتجهيزه، وجاء بعدئـذ وقت الصـلاه عليه حيث يدخل علىٌّ، وجماعه من أهل البيت (عليهم السـلام) ويقفون بازاء

[صفحه ۱۰۴]

الرسول حيث يتلو علىٌّ قوله تعالى: «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبىّ يا أيُّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» ويردد من حضر الآيه نفسها ، ثم يأمر على بقيه

المسلمين بالدُّخول على الرسول جماعةً بعد جماعه يرددون الآيه نفسها، وكانت تلاوه هذه الآيه على الرّسول هى بمثابه الصّلاه عليه.

ثم تولّى عليٌّ وبعض أهل البيت (عليهم السلام) مواراته فى قبره الشّريف وبعد دفنه ازدادت أتراح فاطمه وأخذ الأسى مأخذه من نفسها، فراحت تنشد الأبيات المحزنه لتتعزّى بها:

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى

إن كنت تسمع صرختى وندائيا

صُبت علىّ مصائبٌ لو أنّها

صُبّت على الأيام صرن لياليا

قد كنتُ ذات حمىً بظلّ محمدٍ

لا أختشى ضيماً، وكان جماليا

فاليوم أخشع للذّليل وأتّقى

ضيمى، وأدفع ظالمى بردائيا

فإذا بكت قُمريه فى ليلها

شجناً على غصن بكيت صباحيا

فلأجعلنّ الحزن بعدك مؤنسى

ولأجعلنّ الدّمع فيك وشاحيا

ماذا على من شمّ تربه أحمدٍ

أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا

نعم هكذا عاشت فاطمه مأساتها، فهى قد تجلببت بجلباب من الحزن، وجعلت منه سلوةً لها ومؤنساً ما دام شخص محمد قد غُيّب فى جدثه، وقد تحقّق ما أعلنته فاطمه، وتغنّت به، حيث روى عنها: أنّها ما وُجدت مبتسمةً بعد أبيها على الإطلاق حتّى زارها الموت حيث التحقت بعميدها محمد، ليكفكف دموعها، ويضمّد جراحها.

هبوب العاصفه

ودّعت الأُمّه قائدها الحبیب محمداً (صلی الله علیه وآله)، وانقطع الوحی عن زیارتها، ولم یبق لدیها إلا أن تلتزم بحبل الله الوثیق: کتاب الله العزیز وعتره فقیدها الغالی محمد، لأنّ أهل البیت: هم ترجمان الوحی، والصوره الحیّه للرساله الإسلامیه.

ولکن الأُمّه فوجئت بإعصار من المحن کادت أن تحلّ بها قارعه لولا رحمه الله سبحانه بها.

وقد کان فی طلیعه هذه المحن الکثار

التی هزّت کیان الأمّه : إقصاء وصیّ رسول الله علی بن أبی طالب عن مرکزه القیادی ودوره الطّلیعی فی الأمّه.

ولم یقف الأمر عند هذا الحدّ، وإنّما عوملت بضعه المصطفی هی الأُخری معاملهً قاسیه. فبدلاً من أن تکفکف السُّلطه الجدیده دموع فاطمه وتضمّد جراحها بعدما ألمّ بها من ألم وکآبه بعد فقدها لرکنها الوثیق أبیها محمد (صلی الله علیه وآله)، فبدلاً من ذلک، فإنّ السُّلطه الجدیده وقفت من فاطمه موقفاً مخزیاً ترک فی جبین الأُمّه لطخهً سوداء إلی یوم القیامه، لأنّ فاطمه التی أراد لها الرسول (صلی الله علیه وآله) أن تکون مدرسه ومناراً تشع علی العالم الهدایه والنُّور أصبحت تعیش وطأه من العسف والهوان بعد أبیها.

ونحن انطلاقاً من المصلحه الإسلامیه العلیا لا نرید فی حدیثنا هذا

[صفحه ۱۰۷]

کما یبدو أول وهله أن نثیر قضیّه مذهبیّه أو عصبیه أو غیر ذلک، وإنّما نرید أن نتحرّی الحقیقه ونجلی قضیه تاریخیه احتلّت عدداً ضخماً من صفحات تأریخ الأُمّه الإسلامیه. ونحن حین نجلی هذه الحقیقه إنّما نبسطها بصفتها التأریخیه والفکریّه لأنّ مثل هذه الصّفحات من تأریخنا لا تمنعنا نحن المسلمین أن نجتمع علی صعید واحد بعیداً عن الفرقه والشنآن لأنّها أصبحت قضیّه نظریه تاریخیّه فحسب فی واقعنا المعاصر.

ونحن حین نثیر مثل هذه القضیّه لا نثیرها بصفتها مثار نزاع بین جماعتین إسلامیّتین، وإنّما نوردها لأنّ طبیعه الموضوع تفرض ذلک، فالحدیث عن الزهراء (علیها السلام)، ولیس أحدٌ من المسلمین ینکر تأریخیاً ما أصاب فاطمه بعد أبیها، ولکنّ الإختلاف فقط یتناول تفسیر تلک الأحداث المریره وما

صحبها من ملمّات.

ولقد واجهت الصّديقه الزّهراء (عليها السلام) حادثين بعد فقد أبيها، ولكنّهما متّصلان اتصالاً وثيقاً ببعضهما، وكانا بمثابه العاصفه الهوجاء التى ألمت بالأُمّه الإسلاميه بعد قائدها محمد.

أُولاهما إقصاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) عن مركزه القيادى فى الأُمّه الإسلاميه. إذ كانت السيده الزهراء (عليها السلام) ترى فى هذه الحادثه مأساه كبرى تعيشها الرساله الإسلاميه والأمّه بصوره عامّه، لأنّ إقصاء عليٍّ عن دوره الطليعى لم يكن مجرّد تغيير إنسان، وإنّما كان بمثابه خروج عن الخط الذى رسمته السماء لأهل الأرض، وستجنى الأُمّه ثمارهُ السيئه عاجلاً لأنّ الأمه سيتولاها رجال لا يملكون من المؤهّلات الكافيه التى ترفعهم إلى مستوى القياده والحكم فى الأُمه، وبالتالى سيتحول الحكم إلى مجالاتٍ للوصول إلى أطماع شخصيّه ومصالح آنيّه على حساب الشرع المقدس.

ومن ثم ستجنى الأمّه الفرقه والإختلاف. وفعلاً وقع ذلك بعد فتره وجيزه من تاريخ الأُمّه فى وقت كانت فيه بأمسّ الحاجه إلى من يحاكى الرسول (صلى الله عليه وآله) فى قيادته وحكمه، ولا وجود لمن يناظر علياً فى ذلك إطلاقاً، وفضلاً عن ذلك، فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لو انضوت الأُمّه تحت لوائه لسدّت كلّ ثغره فى وجه الإختلاف

[صفحه ۱۰۸]

والإنحراف الّذى طرأ على الأُمّة فيما بعد لأنّ عليّاً (عليه السلام) خرّيج مدرسه الرّساله والوحى، وهذا ما جعل فاطمه الزهراء (عليها السلام) تقف موقفاً مشرّفاً فى ذلك الظّرف الدّقيق من حياه الأمّه المسلمه فى جانب عليٍّ، لا لأنّه بعلها وإنّما حدا بها إلى أن تقف ذلك الموقف الصُّلب وأن تتحمل المعامله القاسيه من الحاكمين: أنّها وضعت نصب عينيها النقاط التاليه:

۱ إنّها ترى عليّاً أفضل

شخصیه عرفتها الأمه بعد رسول الله (صلی الله علیه وآله) وهو أقدر من سواه علی تطبیق الرساله وحفظها ونشرها فی بقاع الأرض، ولعلّها تستدلُّ علی ذلک یقول الرسول الأکرم: «أنا مدینه العلم وعلیٌّ بابها» وقوله: «من أراد أن یحیا حیاتی، ویموت موتی، ویسکن جنه الخلد التی وعدنی ربی، فلیتولّ علی بن أبی طالب، فإنّه لن یخرجکم من هدیً ولن یدخلکم فی ضلاله...» [۳۸] .

۲ إنّها بنت الرسول الذی عاش من أجل الرّساله، ولذا فقد رأت أنّها ملزمه قبل غیرها بحفظ الشّرع الإسلامی المقدّس من التلاعب، کما أنّها أصبحت ملزمه بحفظ الأُمّه التی صنعها الوحی من الإختلاف والوهن مما جعلها تعمل علی تحرّی الأسباب التی تکسب الأُمه والشرع مناعهً تجاه الملمات، ولکنّها لم تجد غیر علیّ بن أبی طالب أهلًا لذلک، کما اتّضح من سابق صفاته الجلیله.

۳ إنّها تری أنّ الأُمه ما لم تلتزم جانب علیٍّ، فلسوف تخالف معین الرساله الإسلامیه بمخالفتها رسولها القائد محمداً (صلی الله علیه وآله) وهی تری بعد أنّ صدی صوته ما زالت تردّده الآفاق یوم أعلن مراراً وتکراراً: «إنی خلّفت فیکم الثقلین: کتاب الله وعترتی أهل بیتی، ما إن تمسّکتم بهما لن تضلُّوا أبداً...».

وقوله: «من کنت مولاه فهذا علیٌّ مولاه...».

وقوله مخاطباً علیاً: «أنتَ منی بمنزله هارون من موسی إلّا أنه لا نبیذ بعدی...».

وهی تری أنّ هذه الأقوال حجّه فما لم تلتزم الأُمّه بروحها خرجت عن طاعه الله ورسوله وکتاب الله یهتف: «ما آتاکم الرّسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا...»

[صفحه ۱۰۹]

فإن لم تلتزم الأُمّه بهذه الاقوال خرجت عن حصن الطاعه لله ورسوله، بل خرجت عن حکومه الله تعالی فی الأرض، وهذا

ما جعل الصّدّيقه الزّهراء (عليها السلام) تعيش المأساه بكلّ أبعادها البعيده والقريبه يوم رأت عليّاً يقصى مرغماً عن مكانه الذى بواه الله فيه.

وثانيهما: تأميم قريه فدك من قبل الحكومه القائمه؛ وهذه الحادثه جعلت فاطمه (عليها السلام) تجد فيها خير متنفس لها لإلقاء الحجّه على الأُمه وتذكيرها بأيام محمد (صلى الله عليه وآله) وقراراته بهذا الشأن: «شأن القياده وشأن الإلتزام بنقاء الشّريعه».

ونحن لا نريد أن نتعرّض لتصريحات فاطمه الزهراء (عليها السلام) بهذا الشأن قبل أن نبيّن حقيقه فدك، ونحدد أبعاد مشكلتها واحتجاجات الصّديقه الزهراء بشأنها.

وقفه على اطلال فدک

وفدك هذه أرض حجازيّه تقع على مقربه من مدينه الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهى أرض زراعيه غنيه بمائها ونخيلها [۳۹] .

وكانت ملكيه لليهود حتى السّنه السابعه للهجره، حيث أصبحت بعد هذا التاريخ داراً للإسلام، وذلك بعد أن تجلّت مكائد اليهود ودسائسهم ونقضهم للعهود التى أبرمها الرسول (صلى الله عليه وآله) معهم.

وحين ظهر سوء طويّتهم واتصالاتهم المفضوحه مع المعسكر الوثنى واشتراكهم فى حرب المسلمين إلى جانب قوى الضّلال، صمم الرسول (صلى الله عليه وآله) على محاربتهم لأنّهم أصبحوا خطراً فعليّاً على الدّوله الإسلاميه الفتيّه وركيزه من ركائز التآمر على سلامه الكيان الإسلامى.

وحين علم اليهود بتصميم النبى وإعلانه محاربتهم، استحوذ عليهم الذّعر ودبّ الفزع فى نفوسهم قبل أن يسير إليهم الرسول بخيل أو رجال، وقد طلبوا من رسول الله الصُّلح تاركين له قريه «فدك».

ولما كانت الأرض التى يفرُّ عنها أعداء الإسلام دون أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب ينطبق عليها حكم ملكيّه الدّوله [۴۰] فى الإصطلاح الإقتصادى أو الأنفال فى الإصطلاح الفقهى فقد أصبحت أرض فدك ملكاً للرّسول (صلى

الله عليه وآله) بصفته رئيس الدوله الإسلاميه، وحكم مثل هذه الأرض ليس موضوعاً اجتهادياً.

[صفحه ۱۱۱]

وإنما هو موضوع فی إطار مذهبی رصین، رسم القرآن الکریم حدوده وطابعه کما ورد ذلک فی قوله تعالی: «وما أفاء الله علی رسوله منهم فما أوجفتُم علیه من خیلٍ ولا رکابٍ ولکنّ الله یُسلط رُسله علی من یشاء والله علی کلّ شیء قدیر - ما افاء الله علی رسوله من أهل القری فلله وللرّسول ولذی القُربی والیتامی والمساکین وابن السبیل..» [۴۱] .

ولکن «فدک» لم تبق مجرد ملکیه للدّوله الإسلامیه، وإنما أعطت السماء فیها تعلیماً خاصّاً جعل الرسول یهبها لبضعته الزهراء (علیها السلام) وذلک تطبیقاً لقوله تعالی: «وآتِ ذا القربی حقّه...» [۴۲] .

ولأنّ الزهراء تمثل طلیعه قربی محمد (صلی الله علیه وآله) ولذا وهبها قریه فدک تأکیداً لمدلول التشریع الإلهی المبارک.

وما أن ودّعت الأُمّه الإسلامیه قائدها الحبیب محمداً إلا وأعلنت الحکومه الجدیده علی لسان زعیمها (أبی بکر) نبأ تأمیم فدک وإعادتها ملکیه للحکومه، بعد أن کانت لفاطمه فی وقت قد صدر فیها حکم إلهی علی لسان محمد الذی وهبها للزهراء.

ولکن هذا القرار الذی اتخذته الحکومه الجدیده حمل الزهراء (علیها السلام) علی عدم الإعتراف به، فهبّت لنقضه أمام الأُمه الإسلامیه وممثّلی الحکومه لفضح بدایه التلاعب علی حساب التشریع الإلهی المقدّس.

[صفحه ۱۱۲]

الحجج الناصعه

وغادرت فاطمه الزهراء (علیها السلام) بیتها وسط جمع من النّساء الفضلیات لکی تجلب النظر وتثیر الإهتمام للجماهیر المسلمه، فدخلت المسجد مسجد أبیها (صلی الله علیه وآله) وهنا بدأت تلقی حججها بأُسلوب ملؤه حکمه ورویّه حیث قابلت أبا بکر بکلمه تعارف الناس علیها، فخاطبته وکأنّها تستفسر عن

شیء تجهله: «یا أبا بکر من یرثک إذا متّ؟».

قال: أهلی وولدی.

قالت: فمالی لا أرث أبی رسول الله؟

وحین فوجیء أبو بکر بهذه الحجّه النّاصعه راح یبحث عن مبرر لتأمیم إرثها من أبیها.

فقال: یا بنت رسول الله، إنّ النبی لا یوّرت [۴۳] .

وقیل: أجابها: «إن الأنبیاء لا ـ تورّث، ما ترکوه فهو صدقه». واستشهد بحدیث انفرد به عن رسول الله فقال: «سمعت رسول الله یقول: لا نورّث ما ترکناه فهو صدقه»..

وهو حین تشبّث بهذا الحدیث أراد أن یبرّر فشله أمام الحجّه التی وجه بها،

[صفحه ۱۱۳]

وهو یعلم بمکانه الرسول (صلی الله علیه وآله) لدی فاطمه (علیها السلام) فأراد أن یبطل حجّتها بحدیث رواه عن رسول الله (صلی الله علیه وآله) ولکنّ أبا بکر لم ینته من إلقاء کلماته الدّفاعیه حتی فوجیء بحجه آخری أبلغ من سابقتها حیث ردّت علیه ابنه المصطفی (صلی الله علیه وآله) بقولها: «ما شأن سلیمان ورث داود؟». انطلاقاً من قوله تعالی: «وورث سلیمان داود».

ثم استطردت قائله:

«ألم یقل زکریا: «... إنّی وهن العظم منّی واشتعل الرأس شیباً ولم أکن بدعائک ربّ شقیّاً وإنّی خفت الموالی من ورائی وکانت امرأتی عاقراً فهب لی من لدنک ولیّاً یرثنی ویرث من آل یعقوب واجعله ربّ رضیّاً» [۴۴] .

وحین تلت هذه الآیات الکریمه فنّدت قول الخلیفه لأنّها أثبتت له إثباتاً لا یتحمّل أیّ ریب: أنّ سلیمان ورث أباه داود، مع أنّ داود کان نبیاً، وسلیمان حین ورث أباه ورثه بالملک لا بالنبوّه لأن النبوّه لا تورث، فالنبوّه لو ورثت لورثناها من أبینا آدم خلفاً عن سلف.

والآیه الثانیه التی استدلت بها تحمل نفس

المفهوم فزكريّا (عليه السلام) حين طلب إلى ربّه أن يرزقه ولداً لكى يرثه، إنّما أراد بالإرث هنا إرث المال، ولذا طلب من ربّه أن يكون ولده مرضيّاً، وليس من المنطق كما تدل الآيه : أنّ زكريّا أراد من ربّه أن يرزقه ولداً يرثه فى النّبوه بدليل أنّه بعد أن دعاه أن يرزقه هذا الوارث طلب إليه أن يكون مرضيّاً، لأنّه إذا أراد من ربّه أن يرزقه ولداً يرثه فى نبوّته، فهل يكون هذا النبىُّ غير مرضىٍّ حتى يطلب أن يجعله مرضيّاً [۴۵] .

وهكذا فإنّ الآيه تدل دلاله واضحه على أنّ الإرث هنا إرث مادىّ فحسب .

وحين واجه أبو بكر هذه الحجّه البالغه، عرف أنّ الزّمام قد أُفلت من يده، فأصرّ على أنّ النبىّ لا يورّث، ولكنّ إصراره هذا على كون الرّسول لا يورّث إصرار فى غير محلّه بعد أن فوجىء بحجج الزهراء البالغه فلا بدّ له من حجه أُخرى

[صفحه ۱۱۴]

يدعم بها موقفه هذا، فقال: «أنى لأعلم إن شاء الله أنّك لن تقولى إلا حقّاً ولكن هاتى بيّنتك».

فأسرعت (عليها السلام) لتأتى بعلىّ بن أبى طالب (عليه السلام) وأُم أيمن بركه بنت ثعلبه، فشهدا: أنّ «فدكاً» قد أورثها الرّسول لفاطمه، ولكنّ أبا بكر لم يعترف بهذه الشّهاده، مدّعياً أنّ نصابها غير كامل، فطالب بامراه أُخرى أو رجل آخر، ولكنّ فاطمه لم تأت بغير ذين.

وأنا أعجب من أبى بكر كيف لا يتّخذ من شهاده علىٍّ بن أبى طالب (عليه السلام) حجّه على صحّه موقف فاطمه على الأقل فى وقتٍ هو يعلم قيمه علىٍّ عند الله. ورسوله، فهو هارون الأُمّه

والمطهّر من الرّجس، ومدينه علم الرّسول، بغضّ النّظر عن الصّديقه الزهراء أَم أبيها وبضعته والمطهّره من الرّجس. والإمرأه الصّالحه أُمُّ الصّالحه أُمُّ أيمن المبشره بالجنه [۴۶] .

ومن المؤسف حقّاً أنّ أبا بكر حين يعلن: أنّ معاشر الأنبياء لا يورّثون، يأتى بعائشه وحفصه لتشهدا له فى صحّه الحديث، ولكن لا أدرى لماذا لا توازى شهاده علىٍّ (عليه السلام) شهاده إحديهما؟ فضلاً عن شهاده أُمّ أيمن المرأه الصالحه

وإلى جانب هذا كلّه: إنّ مطالبه أبى بكر فاطمه الزهراء بإحضار الشُّهود ليست منطقيّه لأنّها مالكه لفدك فعلاً، وأبو بكر ادّعى ادّعاءً أنّها لا حقّ لها فى تملّكها، ولذا أصدر حكم التأميم بشأنها مع أنّ القاعده المنطقيه الثابته تقول: «البيّنه على من ادعى» فلماذا لم يأت أبو بكر بالبيّنه؟ وقت كان مسؤولاً بإتيانها عقلاً ومنطقاً وعرفاً.

لكنّ الخليفه مع هذا قد أصرّ على عدم اقتناعه بشهاده علىٍّ وأُمّ أيمن.

وللقارىء الكريم أن يحكم على هذه الواقعه المعروضه أمام عينيه وليتحرّ الحقيقه بنفسه.

ويقينى: أنّ الحجج التى أدلت بها الزهراء (عليها السلام) أمام الخليفه أبى بكر

[صفحه ۱۱۵]

كانت كافيهً لإدانته وتغيير موقفه منها. ولكنّه أسفاً تمادى بعدم اعترافه بحقّها فى إرثها من أبيها.

وإلى جانب مواقفها وحججها هذه نورد بعض المؤاخذات الأُخرى على موقف الخليفه أبى بكر، تجليهً للحقيقه وتأكيداً للمنطق فنقول:

ولو فرضنا جدلاً أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يمنح فاطمه الزّهراء فدكاً بصفتها من ذوى القربى حسب مدلول آيه «وآت ذا القرى حقّه». وإنما منحها فدكا بصفته حاكماً للدّوله الإسلاميه، ورئيس الدّوله الإسلاميه له الحقُّ

فی التّصرف فی ملکیّه الدّوله طبقاً لما یراه وفی إطار المصلحه الإسلامیه العلیا، وقد رأی أن یمنح فاطمه الزهراء (علیها السلام) کأن تکون من سائر الناس فدکاً کحق خاص لا ـ ملکیّه خاصّه لأنّ ملکیّه الدّوله الأنفال لا تملک ملکیه خاصه. ولنفرض لأنّ فاطمه الزّهراء (علیها السلام) قد تصرّفت بحقها فی الأرض دون أن تخل بشروط سیطرتها علیها لأنّ من شروط تملُّک الفرد المسلم للأرض: أن یقوم بعمارتها: من زراعه أو إقامه مشروع نافع علیها، أمّا إذا لم یؤدّ حقّ ما حازه بأمر الدّوله الإسلامیه من الأنفال فإنّ للدّوله الحق فی سلبه منه لتمنحه لمن یقوم بدور الإحیاء الفعلی للأرض، وهذا یعنی: أنّ الأرض التی تعود ملکیّتها للدّوله فی المذهب الإقتصادی الإسلامی وحازها بعض الأفراد، فإنّ عقد الحیازه یظلّ قائماً ما دام الفرد المسلم قائماً برعایه الأرض وعمارتها، أمّا إذا لم یؤدّ هذه الوظیفه فإنّ العقد یفسخ بعدها لیستثمر الأرض منتج آخر [۴۷].

وفاطمه الزهراء (علیها السلام) قد أثبتت الأدلّه التاریخیّه: أنّها کانت ملتزمه التزاماً تامّاً بشروط حیازه الأرض، فقد کان لها وکیل لإدارتها وزراعتها والعنایه بها فما هی الاسباب التی دعت أبا بکر أن بسلب هذه الأرض منها، وهی ما زالت قائمه بشروط التملُّک والحیازه لها طبقاً لما رسمه الإسلام من شروط لحیازه الأرض الّتی تصدق علیها صفه ملکیّه الدّوله «الأنفال»؟

ألیس ذلک تلاعباً علی حساب المذهب الإقتصادی الإسلامی، بل علی حساب

[صفحه ۱۱۶]

الشّرع المقدّس؟ الّذی لا یسمح بتأمیم حقوق المواطنین الخاصّه: «النّاس مسلّطون علی أموالهم، لا یحلُّ مال امریءٍ إلاّ عن طیب نفسه». علماً بأنّه قد علّل سلبه لأرضها بقوله: «إنّ الأنبیاء لا یورّثون».

وهذا ما يلفت النظر إلى أنّ ابا بكر لو كان يعلم أنّ المصلحه الإسلاميه العليا تقتضى هذا التأميم والمصادره لصرّح به، ولكنّه لم يجد مبرراً لهذا القرار، فأعلن عدم جواز تورُّث الأنبياء.

وبعد إجلاء هذه الحقيقه فأنا غير واثق مطلقاً من أنّ أبا بكر (رض) كان جاهلاً من أنّ الحق كان بجانب الصّدّيقه فاطمه، لا سيّما وهو يمتاز بحنكته وعبقريّته، فمن المستحيل أن تغيب عنه تلك الحقائق النّاصعه، ولكنّه لا يستطيع أن يدلى بتصريح يصدّق فيه الزّهراء (عليها السلام).

وعقيدتى أنّ ابا بكر كان مقيّدا بقرارات السّقيفه الّتى أوصلته للحكم، وهو إن تخلّى عنها فاعترف لفاطمه بفدك، لنحّاه من جاء به عن المنصب، كما أنّ اعتراف أبى بكر لفاطمه بحقّها فى فدك سيجُره إلى الإعتراف بكلّ مطاليبها المقبله، وفى طليعتها أحقيّه علىٍّ (عليه السلام) فى قياده الأُمّه الإسلاميّه، ولذا فإنّ حنكه الخليفه جعلته يصنع شتّى المبررات لعدم الإعتراف لفاطمه بحقّها فى فدك، لأنّ ذلك سيكون اعترافاً ضمنيّاً بصدق لهجه فاطمه فى كلّ مطالبها المقبله.

وهكذا فإنّ الباحث التأريخى المنصف يجب أن لا يحمّل تبعات المأساه الخليفه أبا بكر بقدر ما يحمّله مؤتمر السقيفه ذاته لأنّه هو المسؤول أولاً وآخراً قبل غيره عن كلّ ما حدث بعد الرّسول (صلى الله عليه وآله).

[صفحه ۱۱۸]

تقديم الموقف

وقد ساد الإعتقاد لدى البعض من المؤرّخين من أنّ أبا بكر (رض) إنّما أصرّ على منع الزهراء (عليها السلام) حقّها فى فدك لأنّه خشى أن يستعمل لأغراض سياسيّه، حيث أنّ عليّاً وفاطمه يستغلّانه فى تقويه حزبهما المعارض لإسقاط حكومه الخليفه أبى بكر، ولذا استعمل الخليفه معهما الحرب الإقتصاديه لإضعاف الحركه المعارضه.

وهذا

الرأى فى عقيدتى قد أخطأ الحقيقه، وهو لعمرى رأى أَريد به تبرير موقف الخليفه والتخفيف من شدّه النّقد التى وجهت سياسته بها، ولإيقاف سيل المؤاخذات الّتى شُنّت على موقفه الصُّلب من الصّديقه فاطمه على ما حملته من حجج ناصعه وأدلّه صائبه، وأنا حين أشكّ فى صحّه هذا الرأى لا أقف فقط عند حدود الشّك وحده وإنّما أُؤكد رأيى بالنقطتين الآتيتين:

١ انّ ممّا لا شكّ فيه أنّ عليّ بن أبى طالب لا يمكن أن يطلب غايه نبيله بسبُل معوجّه وأساليب ملتويه، وهو الذى يحمل شعار: «لا يُطاع الله من حيث يعصى».

فهو لا ـ يمكن أن يطلب الوصول إلى قياده الأُمّه عن طريق ابتياع ضمائر أو دجل، أو ضم أصوات إلى جانبه حتى يستفيد من فدك اقتصاديّاً فى تنشيط حركته، بغيه عزل الحكومه يومذاك.

[صفحه ١١٩]

لكنّه أراد من فدك حين تطلبها فاطمه قوهً لهما ولأولادهما ليس غير، وليس أدلّ على ذلك من سياسه عليٍّ (عليه السلام) أيّام حربه مع معاويه، فقد كان بوسعه أن يشترى الضمائر ويجمع المرتزقه لتعزيز موقفه فى المعترك، ولكنّه لم يفكر بذلك إطلاقاً لأنّه يرى فيه ارتكاباً لعمل يتنافى وشرع الله سبحانه فى وقت كان بيت المال تحت تصرُّفه، فكيف يتّخذ من فدك أُسلوبه لإعزاز حركته؟

٢ أكّدت الأدلّه التأريخيه أنّ الصّدّيقه الزّهراء (عليها السلام) حين رجعت من مناظراتها للخليفه أبى بكر وجدت عليّاً، وهو يتوقّع عودتها بفارغ الصّبر، وحينئذٍ ألقت كلمتها أمام عليٍّ لتوضح له نتيجه جولتها مع الخليفه (رض) حيث أكدت له: أنّ أبا بكر قد ردّها ولم يعبأ بحججها، وقد كانت تتحدّث لعليٍّ بحرقه أظهرت فيها غضبها وسخطها

على الحكم القائم.

ولما اختتمت كلمتها بقولها: « [۴۸] ويلاى فى كلّ شارق، ويلاى فى كلّ غارب. مات العمد ووهن العضد، شكواى إلى أبى، وعدواى إلى ربى اللهم إنّك أشدُّ منهم قوهً وحولاً وأشدُّ تنكيلاً».

وتألّم علىٌ لحديثها فراح يستعمل كلّ ما فى وسعه للتخفيف من غضبها وألمها فخاطبها بقوله: «لا ويل لك بل الويل لشانئك، ثم نهنهى عن وجدك يا أبنه الصّفوه، وبقيّه النبوه، فما ونيت عن دينى ولا ـ أخطأت مقدورى، فإن كنت تريدين البلغه فرزقك مضمون وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لك أفضل ممّا قطع عنك فاحتسبى الله...».

ومخاطبه علىٍّ لفاطمه بقوله: «فإن كنت تريدين البلغه، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون».

دليل على أنّ عليّاً وفاطمه ما ابتغيا وراء فدك إلا قوتاً لهما ولأولادهما، وهذا ما يتّضح من قوله علىٍّ (عليه السلام) لها حيث يؤكّد أنّ رزقها مضمون، وإن حاول الحاكمون منعه وأنّه سيضمن عيشها وعيش أولادها ما دام حيّاً وتصريح علىٍّ هذا يكشف لنا الغايه التى تنشدها فاطمه من المطالبه

[صفحه ۱۲۰]

بفدك، فإنّها لو كانت تبتغى هدفاً سياسيّاً وراء الحصول على فدك لخاطبها علىّ بعد عودتها من مناقشه الخليفه بأُسلوب غير هذا ولجرى بينهما حديث يخالف هذا.

ونستطيع أن نقرّر هذه الحقيقه إذا استعرضنا حديثاً للإمام علىٍّ بشأن فدك وفى أيام خلافته وبعد وفاه الصّدّيقه الزهراء (عليها السلام) حيث يوضح فيه أنّ فدكاً كانت فى حيازته وأهل بيته تدرُّ عليهم الرّزق:

«بلى كانت فى أيدينا فدك من جميع ما أظلّته السّماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك والنّفس مضانُّها فى غدٍ جدث».

ألا تراه

أخی القاریء لا یقیم وزناً لفـدک ولا لغیر فدک، وهمُّه أن یصـلح الدُّنیا بعدله وأن یتهیّأ لحیاته الأخری بخیر زاد لکی یلقی ربّه بنفس راضـیه مرضیّه، فهل تنتظر من شخص هذا مقیاسه فی الحیاه الفوز برضوان الله : أن یشتری الضّمائر ویجمع الأصوات حوله لکی یصل إلی الحکم، وهو القائل (علیه السلام): «ولألفیتم دنیاکم هذه أزهد عندی من عفطه عنز».

وهو القائل أیضاً: «والله ما کانت لی فی الخلافه رغبه ولا فی الولایه أربه» [۴۹] .

[صفحه ۱۲۱]

وهـذه التّصـریحات من علیٍّ (علیه السـلام) تؤکد لنا: أنّه لا یعبأ بالخلافه، بل بالدُّنیا برمّتها فکیف یهتم بالوسائل التی توصل إلیها بل کیف یمکن أن یسخّر ما تدرُّه فدک من أرباح لأغراض سیاسیه؟

وبعد کلّ هذا ربما یعترض البعض علی موقف فاطمه فیقول: لماذا إذن تقف فاطمه هذا الموقف الصُّلب فی مطالبتها بفدک، فلو لم یکن هناک هدف آخر تبتغیه من ورائه، لما طالبت هذه المطالبه الحقیقیه به؟

ولأجل أن نبرز الحقائق التی دفعت الصّدّیقه فاطمه الزهراء (علیها السلام) للمطالبه بفدک، نضع أمامنا النقاط الآتیه:

۱ إنّهـا رأت أنّ تـأمیم (فـدک) قـد هیّأ لهـا فرصه ذهـبیّه فی الإدلاـء برأیهـا حـول الحکومه القـائمه وکـان لاـ بـدّ لهـا أن تُـدلی بتصـریحاتها أمام الجماهیر، وقـد هیّأت لها قضـیّه فدک هذه الملابسات المناسـبه، فحضـرت (دار الحکومه) فی المسـجد النبوی وألقت بتصریحاتها التی لا تنطوی علی أی لبس أو غموض.

۲ تبیـان أحقیّه علیٍّ فی قیـاده الأُمّه بعـد الرسول (صـلی الله علیه وآله) وقـد تجلّی ذلـک فی خطبتها التی ألقتها فی مسـجد أبیها (صلی الله علیه وآله) علی مسمع ومرأیً من

المسلمين وبضمنهم الحكومه الجديده، فكان من بعض أقوالها:

«أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟».

وقولها: «وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض». حيث أوضحت أنّ عليّاً (عليه السلام) أعلم الناس بعد محمد بمعرفه الرّساله وأحكامها وقوانينها، وهو لذلك أحق برعايه شؤون الأُمّه التى صنعها الوحى المقدّس.

۳ كشف ألاعيب الحكومه الجديده على الشّرع المقدّس واجتهاداتهم التى لا

[صفحه ۱۲۲]

علاقه لها بأهداف الرساله وتزمُّتهم وإصرارهم على آرائهم بعد بطلانها، وقد اتّضح ذلك كله فى حججها التى واجهت أبا بكر بها بشأن فدك كما رسمناه سابقاً.

وهذه النقاط الثلاث هى التى استهدفتها فاطمه (عليها السلام) فى مطالبتها الحثيثه بفدك ليس غير، وليس لها وراء ذلك هدف مادىٌّ رخيص كما يعتقد البعض من مؤرّخى حياتها، فهى لعمر الحق قد تصرّفت ما من شأنه أن يحفظ الرّساله من شبح الإنحراف الّذى تنبأت بوقوعه بعد انتخاب الحكومه الجديده فاتخذت من فدك خير فرصه لخدمه المبدأ وإلقاء الحجّه على الأُمّه تأديه للمسؤوليّه ونصراً للرّساله وحفظاً لبيضه الإسلام.

[صفحه ۱۲۶]

فى ذمه الخلود

غاب شخص محمد (صلى الله عليه وآله) عن عينى فاطمه بضعته، ودفنت معه تلك العواطف الفيّاضه الّتى كان يفيضها عليها.

غاب عنها مَن كان يكثر تقبيلها حتى بعد زواجها من علىٍّ (عليه السلام)، وغاب عنها مَن كان يدعوها (أُم أبيها).

لقد ودّعت كلّ ذلك بعد أن ودّعت أباها الحبيب، وادلهمّ الخطب عليها، وتغيّرت الأجواء. وتلبّدت الآفاق آفاق حياتها بمحن كأنّما هى على موعد مع موت الرّسول وغياب شخصه الكريم.

وكان فى طليعه ما فوجئت به فاطمه الزّهراء (عليها السلام) بعد فقدها لأبيها : إقصاء بعلها ووصىّ

أبيها عليّ بن أبى طالب (عليه السلام) عن مركزه القيادىّ فى أَمّه الوحى.

وتجتمع المآسى على قلب فاطمه، فتحرم من ملكيتها التى وهبها أبوها لها حيث تصادر ويجرى عليها حكم التأميم الجائر، وهكذا تتجسّد المأساه على الصّدّيقه الطّاهره، وتعرف أنّ السرّ فى ذلك كان بسبب موت القائد محمد (صلى الله عليه وآله) ولذا لا بدّ لها من أن تعيد شريط حياتها الماضيه مع أبيها لتعطيه حقّه ولكن فى إطار من اللوعه والبكاء والأسى، حيث صار ديدنها أن تبكى على أبيها بعد أن تتذكر أيّامها النديّه التى قضتها تحت ظلاله الوارفه، ويزداد بكاؤها حتى يضرب بها المثل فى حنينها إلى عميدها، ويضيق أهل المدينه ذرعاً بما يجرى فى بيت الرّساله، فيفاوضوا عليّاً (عليه السلام) بأنها ويطلبوا منه أن تبكى فاطمه: إما ليلها أو نهارها، ولكنّها تستمر فى لوعتها حتى طاب لها يوماً أن تسمع مؤذّن أبيها «بلالاً» وهو يرفع صوته بالاذان لكى يذكّرها بأيام حبيبها الرّاحل محمد (صلى الله عليه وآله)، ويستجيب «بلال» لطلبها، ويرفع صوته بالاذان، وما أن يذكر بلال أسم محمد حتى يرتفع صوت فاطمه بالحنين إليه، وتخرّ إلى الأرض مغميً عليها مما اضطر بلالاً إلى قطع أذانه، فيضجُّ المسلمون بالبكاء مواساةً لفاطمه (عليها السلام). وتبدو آثار هذه اللوعه تلوح على شخص الزّهراء حيث خارت قواها ودبّ الوهن فى جسمها، وأصبحت لا تقوى على النُّهوض، فاستسلمت للفراش، واستسلامها للفراش كان إيذاناً بوقوع مأساةٍ جديده لهذه الأُمّه الفتيه.

وخيّم الوجوم على بيت الرّساله من جديد، بل تعمق الوجوم وتأصّلت المأساه حين استفحل المرض على الزّهراء (عليها السلام)، وراح يلتهم صحتها بنهمٍ وقسوه حتى يئس

[صفحه ١٢٧]

بيت الرّساله من

بقائها أكثر من أيام قليله يعلن بعدها وقوع المأساه الجديده مأساه افتقاد فاطمه الزّهراء غرس النبوّه ومدرسه الرّساله .

وتبدأ جموع المسلمين والمسلمات تنهال على بيت عليٍّ لزياره الزّهراء بل لتوديعها وكان فى طليعه الوفود وفد الحكومه الجديده بقياده الخليفه الأول أبى بكر عبدالله ابن أبى قحافه ووزيره عمر بن الخطاب، جاءا ليطمئنا على صحتها ويعتذرا لها فى نفس الوقت بصدد قضيه «فدك» وأحداثها، وما أن يدخل الوفد على فاطمه إلا وتولّى بوجهها إلى الحائط إعلاناً لنصبها على الحكومه القائمه.

وخاطبها أبو بكر طالباً عفوها، ولكنّها ذكّرتهم بقول أبيها رسول الله فيها: «فاطمهُ بضعه منّى، فمن أغضبها أغضبنى».

فاعترف بصدق قوله هذا لها حيث أعلنت بعد ذلك صراحهً: أنّها ساخطه عليهما وأنّها سترفع شكواها إلى ابيها بعد موتها، وحين يواجه أبو بكر هذا الإصرار من الصّدّيقه الزّهراء على غضبتها عليها، يستولى عليه الجزع والأسى، وتجود عيناه بالدموع. ويعودان بعدها إلى دارهما وهما يتلاومان

وتتوالى الوفود على بيت الزهراء، ويستقبل بيتها الكريم وفد نساء الأنصار، وبعد أن يستقرّ المجلس بالوفد الجديد، تبدأ النساء يستفسرن عن صحتها، فترد فاطمه على زائراتها بعبارات مجروحه، تُنّم عن ألمها وحزنها من المواقف المخجله التى وقفها «القوم» منها فى قضيه «فدك»، كما تُنّم أيضا عن سخطها على بعض الأنصار الذين وقفوا منها فى مواقفها مع «الخليفه الأول» موقفاً سلبياً، فضلاً عن سكوتهم إزاء عمليّه إقصاء علىّ بن أبى طالب عليه السلام عن مركزه القيادى فى الأُمه.

وإليك نص كلامها مع الوفد النّسائى كما عن ابن أبى الحديد واحتجاج الطبرسى وغيرهما : حيث

سألها النسوه: کيف أصبحت من علتک يا بنت رسول الله ؟:

«... أصبحت والله عائفهً لدنياکنّ، قاليهً لرجالکنّ، لفظتهم بعد أن

[صفحه ۱۲۸]

عجمتهم [۵۰] وشنأتهم بعد أن سبرتهم [۵۱] ، فقبحاً لفلول الحدّ، واللّعب بعد الجدّ، وَقرعِ الصّفاه، وصدع القناه، وخطَل الآراء، وزَلل الأهواء [۵۲] ، «ولبئسَ ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفی العذاب هُم خالدون» لا جَرم والله لقد قلّدتُهم ربقتَها، وحمّلتهم أوقتها [۵۳] ، وشننتُ عليهم غارَتها، فجدعاً وعقراً وبُعداً للقوم الظّالمين [۵۴] ، ويحهم أنّی زعزعوها عن رواسی الرّساله، وقواعد النبوّه والدّلاله، ومهبط الرُّوح الأمين، والطّبين بأمور الدُّنيا والدّين [۵۵] «ألا ذلک هو الخسرانُ المبينُ». وما الّذی نقموا من أبی الحسن؟ نَقِموا منه والله نکيرَ سفيه، وقلّه مبالاته بحتفه، وشدّهَ وطأته، ونکالَ وقعته، وتنمُّره [۵۶] فی ذات الله عزّ وجلّ . وتالله، لو مالوا عن المحجّه اللائحه، وزالوا عن قَبول الحجه الواضحه، لردّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سُجُحاً [۵۷] لا يُکلَم خشاشهُ [۵۸] ولا يکِلُّ سائرُه، ولا يملُّ راکبُه، ولأورَدهم منهَلًا نميراً، صافياً رويّاً فضفاضاً تطفح ضِفتاه ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بِطاناً [۵۹] ونصَحَ لهم سرّاً وإعلاناً، ولم يکن يَحلیَ من الغنی بطائل [۶۰] ولا يحظی من الدُّنيا بنائل غير ریّ الناهِل [۶۱] وشبعه الکافل. ولَبانَ لهم الزاهدُ من الراغِب، والصّادقُ من الکاذب «ولو أنّ أهل القُری آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم برکاتٍ من السّماء

[صفحه ۱۲۹]

والأرض ولکن کذّبوا فأخذناهم بما کانوا يکسبون، والّذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئاتُ ما کسبوا وما هم بمعجزين».

ألم هلمّ فاستمع، وما عشت أراکَ الدّهرُ عجباً،

وإن تعجب فعجبٌ قولهم. ليت شعرى، إلى أىّ سنادٍ استندوا، وعلى أىّ عمادٍ اعتمدوا، وعلى أيّه ذرّيه أقدموا واحتنكوا [۶۲] «لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً» إستبدلوا والله الذّنابى بالقوادم [۶۳] والعجزَ بالكاهل [۶۴] فرغماً لمعاطس قوم «يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً ألا إنّهم هم المُفسدونَ ولكن لا يشعرون» وَيحهم «افمن يهدى إلى الحقّ أحقُّ أن يُتّبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون» أما لعمرى، لقد لقحت، فَنِظره رَيثَ ما تُنتج، ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً وذُعافاً ممقراً [۶۵] هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأوّلون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمئنُّوا للفتنه جأشا [۶۶] وأبشروا بسيف صارم، وسطوه معتدٍ غاشم وهرج شامل واستبدادٍ من الظّالمين يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرهً لكم، وأنىّ لكم، وقد عُمّيت عليكم «أنلزمكموها، وأنتم لها كارهون».

وبهذه الكلمات الوضّاءه قابلت الزهراء (عليها السلام) وفد نساء الأنصار، وهذه الكلمات بحقٍّ قبس من نور النُّبوه السّاطع، وثمره من ثمار الوحى التى تلقّاها بيت الرّساله ومهبط الوحى، ففاطمه الزّهراء (عليها السلام) وهى فى آخر أيامها والمرض قد استبد بها ما نسيت دروس الجهاد، فهىَ ومن على وسادتها تعلن لوفد الأنصار رأيها الصّريح فى الواقع المرّ الذى آلت إليه الأُمّه بعد افتقاد قائدها محمد (صلى الله عليه وآله).

والباحث المتتبع يستطيع أن يلمس فى حديثها هذا النقاط الآتيه:

۱ إعلانها عن سخطها على الأنصار وغيرهم ممن استسلموا لواقع يجب استنكاره وتغييره.

[صفحه ۱۳۰]

۲ إعلانها: أنّ عليّاً هو الخليفه الشّرعى لأبيها محمد (صلى الله عليه وآله).

۳ تبيان صفات علىٍّ (عليه السلام) التى رشّحته ليكون أهلًا لقياده

الأمّه، سيّما وهو أدرى بشؤون الشّريعه من سواه.

۴ شرح الأسباب التی دعت الجاحدين وذوی المصالح الآنيه إلى إقصاء علیٍّ عن مقامه القيادیّ.

۵ إعلانها عن واقع غيبی تصير إليه الأُمّه قريباً من تفرُّق لجمعها واستبداد الظّالمين بأُمورها.

۶ إعلانها أسفها للحاله التی صار، ويصير إليها النّاس بعد أبيها محمد(صلى الله عليه وآله).

وعاد وفدُ نساء الأنصار ليبلّغ الرجال مبادیء فاطمه التی أعلنتها دون اكتراث أو مواربه.

وتزداد صحه فاطمه سوءاً يوماً بعد يوم، وقد حان الوقت لتعلن وصاياها لأمير المؤمنين علیٍّ (عليه السلام) حيث قالت:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمه بنت محمد، أوصت بحوائطها السّبعه إلى علیّ بن أبی طالب فإن مضى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكابر من بمحمد».

وكتبَ علیٌّ (عليه السلام) هذه الوصيّه وشهّد بها المقداد بن الأسود والزُّبير بن العوام. كما أوصت فاطمه الزهراء (عليها السلام) أن لا يغسّلها بعد موتها غير علیٍّ وأسماء بنت عميس، كما أوصت مؤكده أن لا يشيّعها «القوم» الذين غصبوها حقّها بعد موتها، حيث قالت: لعلیٍّ فی آخر أيامها: «أمنفّذ انت وصيّتی وعهدی أو والله لأعهدنّ إلى غيرك؟»، فقال علیٌّ (عليه السلام) «بلى أُنفّذها». فقالت عليها السلام: «إذا أنا متُّ فادفنی ليلاً ولا توذننّ بی ابا بكر وعمر» [۶۷] كما أنّها أوصته بولديها الحسن والحسين خيراً.

وتحسُّ الزهراء باقتراب أجلها، فتقول لأسماء: «إنّی قد استقبحت ما يصنع بالنّساء: إنّه يداح على المرأه الثّوب فيصفها لمن رأى».

[صفحه ۱۳۱]

وهذه البادره من فاطمه حين تعلن لأسماء من أنّها تكره أن توصف بعد موتها وأثناء حملها إلى قبرها فتودُّ ألّا يعرف الرائی عنها شيئاً أبداً، حين

تعلن الزّهراء (عليها السـلام) هـذه الحقيقه، فإنّه ليس عجيباً ولا مسـتغرباً منها، فهى قـد أعلنت بالأمس وفى عهـد ابيها الزاهر حين سُئلت عن أحبّ شىء تراه للمرأه فأعلنت قائله: «أن لا ترى الرّجل المحرم ولا الرجل المحرم يراها».

بهذا المبدأ المشرق من التّقوى تعيش الزّهراء (عليها السلام) وتوصى أن تعيشه بعد وفاتها حتى يضم رفاتها الطّاهر تراب الأرض.

وحين ترى أسـماء بنت عميس تبرُّم الزهراء (عليها السـلام) من عمليه حمل المرأه إلى قبرها بالشكل المعتاد يومذاك مع شرعيته تصف لهـا صوره نعش رأته فى الحبشه أيـام هجرتهـا يُصـنع من جريـد النخـل، وقـد قامت أسـماء بتصويره عمليا أمامها، فسرّت الزهراء لذلك وابتسمت، ولأول مره حيث اختفت عن ثغرها الإبتسامات منذ فقدت أباها الكريم محمداً (صلى الله عليه وآله).

وفى آخر يوم من أيامهـا تصـبح الزهراء (عليها السـلام) وقـد بـدا بعض التحسُّن على صـحتها فيطمئنّ علىٌّ (عليه السـلام) ويغادر البيت إلى المسـجد ليؤدّى مهمّته فى حفظ الرّساله وشرعها القويم، وتتوضّأ الزّهراء (عليها السلام) للصلاه فتطلب إلى أسماء بنت عميس أن تأتيهـا بشـىء من طيبهـا الـذى تتطيّب به وملابسـها التى تصـلّى فيهـا، وتضع رأسـها على وسادتها وهى تقول لأسـماء: «اجلسى عند رأسى، فإذا جاء وقت الصّلاه فأقيمينى، فإن قمت، وإلاّ فأرسلى إلى علىٍّ».

ويحلُّ وقت الصّلاه وتخاطب أسماء الصّدّيقه الزّهراء بقولها: «الصلاه يا بنت رسول الله».

ويخيّم الفزع على أسـماء لأنّ الزّهراء لم تجبها بشىء وتبادر إليها فتكشف عن وجهها وهى تصيح: «يا بنت محمد المصطفى... يا بنت أكرم من حملته النّساء.. يا بنت خير من وطأ الحصى...».

فتراها وقد فارقت الحياه، ويدخل الحسنان فى هذه اللحظات الحاسمه من حياه بيت الرّساله ويسألان عن

أَمّهما، فتفاجئهما أسماء: أنّها قد فارقت الدُّنيا، وما اشد الصّدمه عليهما حينذاک لقد وقع الحسن على أَمّه ليقبّلها القبله

الأخيره، وهو يقول: «يا أُمّاه كلّمينى قبل أن تفارق روحى بدنى». ويقع الحسين (عليها السلام) عليها وهو يقبّل رجليها ويقول: «يا أُماه أنا ابنک الحسين كلّمينى قبل ان ينصدع قلبى»، وتلعب اللوعه دورها ويهيج الأسى فى بيت الرّساله وتستولى الأحزان عليه من جديد، وتطلب أسماء إلى الحسنين أن يخبرا أباهما بما حدث لأُمّهما.

ويسرعان إلى أبيهما والبكاء والحسره يعمران قلبيهما فيدنيان من مسجد جدّهما (صلى الله عليه وآله) وتجيش اللوعه فى قلبيهما بعنف، فيرفعا صوتيهما بالبكاء.

ويفاجأ المسلمون ببكاء الحسنين، وظنُّوا أنّهما تذكّرا جدّهما، فراح البعض يهدّىء من لوعتهما، ولكنّهما أعلنا النبأ المفزع نبأ افتقاد شجره الإمامه وغرس النبوّه حيث قالا: «أو ليس قد ماتت أمُّنا فاطمه؟».

ويسمع عليٌّ هذا النبأ، فتضطرب نفسه، وتهزُّ المفاجأه كيانه، وهو يقول: «بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنت بک أتعزّى، ففيم العزاء من بعدک؟».

وحين يعلن هذه الكلمات يرسم حدود قيمه المرأه المسلمه لدى زوجها إذا عاشت وإياه على صعيد المصير الواحد والهدف الواحد والرّساله الواحده، ثم ينشد عليٌّ (عليه السلام):

لكلّ اجتماع من خليلين فرقهٌ

وكلُّ الذى دون الفراق قليل

وإنّ افتقادى فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل

وحين ينشد هذين البيتين يعلن تجلُّده على المصاب الأليم، إذ أنّ لكلّ اجتماع فرقه، وهو حين يعلن هذه الحقيقه ينهل بذلک من منهل الوحى: «كلُّ من عليها فان» وهذا ليس غريباً على علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) لأنّ فكره وسلوكه

وعواطفه قد صقلها الإسلام فعاد إسلاماً يسير على الأرض.

ويدوّى أصداء النبأ المؤلم فى آفاق عاصمه الإسلام «المدينه المنوره» وتمتلىء نفوس المسلمين أسىً وتزحف جموعهم إلى بيت الرّساله حامله تعازيها إليه، ولساهم فى عمليّه تجهيز الزهراء (عليها السلام) لحملها إلى مثواها الأخير، وحين تسرع الجموع الغفيره للإشتراک فى مراسيم تجهيز الزهراء (عليها السلام) فإنّما قد أملى ذلک عليها عوامل أساسيّه.

أوّلها الإلتزام بمبدأ الأُخوه الإسلاميه الذى يفرض مشارکه المسلم لأخيه المسلم،

[صفحه ۱۳۳]

انطلاقاً من قول الرّسول الأکرم (صلى الله عليه وآله): «مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم کمثل الجسد إذا اشتکى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى». وقوله (صلى الله عليه وآله): «من لم يهتّم بأُمور المسلمين فليس منهم» وقد جاءت جموع المسلمين استجابه لهذا المفهوم الوضّاء.

ثانيها إنّ معرفه المسلمين لقيمه فاطمه الزّهراء (عليها السلام) عند الله ورسوله دفعتهم للمساهمه فى تجهيزها بعد موتها سيّما وأنّ أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله) ما زالت ترنُّ فى آذانهم حيث يقول: «فاطمه بضعه منّى...».

وغير ذلک من مئات التّصريحات التى أولى بها الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) بشأن تقييم فاطمه (عليها السلام) ولهذا السبب هرعت الجموع المسلمه لتشارک فى تجهيز جزءٍ من قائدها محمد (صلى الله عليه وآله) يتمثّل ببضعته الطّاهره.

وقد عمّ الوجوم أجواء المدينه وکافه بيوتها ومجالات عملها وحضر کبار الصّحابه کابى بکر وعمر وغيرهما للمشارکه فى علميّه التّشييع والصّلاه على الصّدّيقه الطّاهره.

وبعد ساعات من الوجوم والالآم والکآبه صرّح ناطق بلسان البيت العلوىّ بأنّ دفن الزهراء (عليه السلام) تأجّل هذه العشيّه، وکان الناطق أبا ذر الغفارى رحمه الله تعالى وما أن تستمع

الجماهير إلى نبأ تأجيل الدّفن إلّا وتتفرّق وهى على موعد آخر للتّشييع والدّفن.

ويبادر عليٌّ لتنفيذ وصايا الزهراء برمّتها فيعمد هو وأسماء بنت عميس إلى تغسيلها، والحسنان يريقان الماء على جسدها الطاهر، واللوعه تأخذ بمجامع قلوبهم جميعاً وبعد أن أدرجها عليٌّ (عليه السلام) فى أكفانها وقبل أن يعقد الرداء نادى: حسناً وحسيناً وزينب وفضّه وأُمّ كلثوم ليلقوا النّظره الأخيره على أُمهم الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) فضجُّوا بالبكاء عليها والحنين إليها.

وكان الحسنان يقولان: «واحسرةً لا تنطفى أبداً من فقد جدّنا محمد المصطفى وأمُنا فاطمه الزهراء».

وبعد لحظات من التّوديع المشوب بالحسره والآهات عقد عليٌّ عليه السلام رداء الكفن وقد هاجت به أحزانه فأنشد يقول:

[صفحه ۱۳۴]

فراقكِ أعظم الاشياء عندى

وفقدكِ فاطم أدهى الثكول

سابكى حسرةً وأنوح شجواً

على خلٍّ مضى أسنى سبيل

ألا يا عين جودى وأسعدينى

فحزنى دائم أبكى خليلى [۶۸] .

ويمضى من الليل شطره، فيأمر عليٌّ (عليه السلام) بحملها إلى مثواها، فيحملها عليٌّ والحسن والحسين وعقيل وعمّار والزُّبير وأبو ذرّ وسلمان والمقداد وبريده وجماعه آخرون من بنى هاشم بعد الصّلاه عليها، ويعدُّون لها قبراً فى بيتها [۶۹] وينزلها عليٌّ (عليه السلام) فيه وبعد أن ينفض يديه من تراب القبر تهيج به الحسره ويرسل دموعه على شفير قبرها، وهو يقول:

«السلام عليكَ يا رسول الله عنّى وعن ابنتك النازله فى جوارك والسّريعه اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبرى ورقّ عنها تجلُّدى، ألا إنّ لى فى التأسّى بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزٍّ، فلقد وسدتك فى ملحوده قبرك وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك، فإنا لله وإنّا

إليه راجعون. فلقد استرجعت الوديعه وأَخذت الرّهينه، أمّا حزنى فسرمد، وأمّا ليلى فمسهّد إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك فأحفها السُّؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهدُ ولم يخلف الذّكر، والسّلام عليكما سلام مودّع لا قالٍ ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملاله وإن أُقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصّابرين...» [۷۰] .

بهذه الكلمات الطافحه بالالآم يودّع عليٌّ (عليه السلام) زهراءه الحبيبه، إنّها كلمات تهزُّ النُّفوس وتخفق لها القلوب وتدمع العيون؛ إنّها الكلمات الحارّه، كلمات الأسى التى تعلوها الشكوى للقائد محمد (صلى الله عليه وآله) مما آل إليه أمر عليٍّ وأمر الزّهراء بعد أبيها.

ولم يجد عليٌّ (عليه السلام) عزاءً غير أن يتأسّى بمصابه الأول، بمصاب الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله) لأنّ مصيبه افتقاد محمد أشدّ وقعاً فى نفس علىّ (عليه السلام) من افتقاد فاطمه (عليها السلام) ولذا وجد فى مصابه بمحمد خير معوانٍ له على مصابه الجديد، ولكنّه يقرن هذا التاسّى المرّ بحزن دائم وليل مسهّد لا تنطفىء فيه نار اللوعه والحسرات أبداً، حتّى يلتحق بأحبّائه فى دار الخلود.

[صفحه ۱۳۹]

ويفارق عليٌّ (عليه السلام) قبر الصّدّيقه الطّاهره، ولكن بعد أن أعلن أنّه يودّع القبر لا عن سأم ولا كراهيه، ولا ملل، ولكنّه استجابه لتعليم الرّساله بالتزام الصبّر، ويفارق وهو أشدُ ما يكون ثقه بأنّ ربّه سيلحقه بدار الخلود مع محمد (صلى الله عليه وآله) وزهرائه الطّاهره (عليها السلام).

اضواء على تراث الزهراء

تمهيد

تُعرف قيمةُ الإنسان بما يقدّمه للأجيال التى تعاصره أو تعقبه من عطاء حضارى يُدلها على السّبيل الذى يجب أن تلتزمه فى حياتها،وتتفاعل معه، ويرفعها إلى مستواها اللائق تحت الشّمس.

وأقول: العطاء

الحضاری، لأنّ النّوع الإنسانی مجبول علی التّفاعل مع الكون بما فیه من قویً وطاقاتٍ بدافع حبّ الإستطلاع والتملّك، ومع أبناء جنسه بدافع غریزه التجمع الفطریه المركوزه فی كیان الإنسان.

وهذا التفاعل بشتّی شطریه: «مع الكون أو الإنسان» یحتاج إلی التّنظیم والصّیقل، ابتعاداً عن الإضطرابات والنّزاع والحروب والبغضاء بین أبناء النّوع الإنسانی، وهذا التّنظیم لا یتمُّ بطبیعه الحال بصفه میكانیكیه عن طریق استعمال أدوات خاصّه تتحقّق علی یدیها المعجزه معجزه التّنظیم فی كیان المجتمع الإنسانی وإنّما یتمُّ ذلك عن طریق واحد: هو الفكر، هو التشریع، هو التقالید التی یتبنّاها النّاس وینضوون تحت لوائها، لأنّها وحدها التی تنظّم حقوق الفرد والمجتمع وواجباتهما.

ولمّا كانت الحضاره المفاهیم عن الكون والحیاه والإنسان ونحوها هی

[صفحه ۱۴۰]

وحدها التی تستطیع أن تنهض بهذه الأعباء الجسیمه، فلا بدّ أن یكون افتراضنا وقعیّاً ومنطقیّاً، حینما قلنا: إنّ قیمه الإنسان تتمثّل بعطائه الحضاری.

وتحت نقطه أُخری یجب أن نلتفت إلیها بهذا الصّیدد، إنّ الإنسان الّذی لا یتبنّی مبدءاً فی حیاته یعیش من أجله ویخضع لمتطلّباته ویكافح فی سبیل تطبیقه أو تثبیته أو نشره فی الأرض، هذا الإنسان لا تختلف حیاته عن حیاه البهائم علی الإطلاق حیث أصبح همُّه أن تمتلیء معدته أو یؤنّق لباسه فیعیش كما یحلو له، وهذا الصّنف من النّاس صفعهم القرآن وهو منهج خالق الإنسان بقوله «... والذین كفروا یتمتّعون ویأكلون كما تأكل الأنعام والنّار مثویً لهم» [۷۱] .

ولهذا تری القاده من أهل البیت (علیهم السلام) نهجوا السّبیل الذی جعلهم یعیشون من أجل المبدأ الإسلامی القویم حیث أخضعوا كلّ متطلّبات حیاتهم لصالح منهج الله سبحانه،

فانطلقوا يتحدّثون باسم المنهج ويسلكون ما رسمه ويفكرّون فى حدود معالمه القويمه.

والزهراء (عليها السلام) مدرسه الإمامه وغرس النبوّه كانت على المستوى ذاته، فأوقفت حياتها الرُّوحيه والفكريّه والجسميّه خدمهً للرّساله وذوداً عن حياضها.

وقد ضربت فى ذلك أروع الأمثله وأنصعها، وممّا يجلى هذه الحقيقه النّاصعه: الرُّجوع إلى تراثها الفكريّ الضخم الذى خلّفته لأجيال الأُمّه الإسلاميه ضاربهً لهم أروع الأمثله فى الذّود عن حياض الرساله وتبيان معالمها القويمه. ولعلّ الباحث فى حياه الصّديقه الزهراء لا يجد فى تراثها الحضارى الضّخم أعظم من خطبتها التى ألقتها فى مسجد أبيها، والتى لو ورثناها وحدها منها لدلّت بوضوح وجلاء على عظمه شخصيّه الزهراء (عليها السلام) لأنّها قد جسّدت كلّ آرائها ومناهجها التى استقتها من منهل الوحى المقدّس.

والمتتبع التّأريخى لحياه الزهراء لا يمكن أن يفصل خطبتها عنها، لأنّ خطبتها أضخم رصيد لفهم شخصيّتها على الصّعيد الواقعى والمنطقى ولذا فليس بدعاً من الأمر أن نخصّص فصلاً خاصّاً لألقاء الأضواء على بعض جوانب خطبه

[صفحه ۱۴۱]

الزهراء (عليها السلام) لمعرفه أبعاد شخصيتها الفذّه ومدى هظمها لمنهج السّماء المبارک، واستيعاب معالمه الرئيسه.

وحين نؤكّد هنا أهميّه خطبه الزهراء لا نريد بذلك، أن نجرّد الزهراء عن باقى تراثها الحضاريّ الضخم، ذلك لأنّ التأريخ قد أتحفنا بكثير من النُّصوص التى باستطاعتنا أن نستقى تراثها الحضاريّ منها، ولكنّنا وجدنا أنّ أبرز شىء فى تراثها: خطبتها التى ألقتها فى مسجد أبيها فى مطلع خلافه أبى بكر.

كما أنّ هذه الخطبه قد جمعت كلّ تراثها وفهرسته فى آنٍ واحد، وهذا ممّا حدا بنا أن نلقى أضواءً على بعض جوانب الخطبه الرائعه التى جمعت كما يتّضح أروع المفاهيم الإسلاميه

فی الحکم والمجتمع ومعالم التّشریع الإسلامی الرّصین. وسنورد بعض نصوصها إبقاءً لغرضنا فی البحث.

[صفحه ۱۴۳]

ابعاد الجاهلیه

«... فرأی الأُمم فرقاً فی أدیانها، عُکّفاً علی نیرانها، عابدهً لأوثانها، منکرهً لله مع عرفانها، فأنار الله تعالی بأبی محمد ظُلمها، وکشف عن القلوب بهمها وجلی عن الأبصار غممها، وقامَ فی النّاس بالهدایه، وأنقذهم من الغوایه، وبصّرهم من العمایه، وهدادهم إلی الدّین القویم، ودعاهم إلی الصّراط المستقیم...».

هذا مقطعٌ قصیر من خطبه الزهراء (علیها السلام) والذی نحن بصدد بسط مفاهیمه النّاصعه.

والباحث المتتبع حین یستقریء هذه الکلمات الوضّاءه یقطف أشهی الثّمار منها، فیستنبط مفهوماً إسلامیاً رائعاً عن الجاهلیّه التی رزحت البشریّه تحت أعبائها الثقیله، قبل بزوغ شمس الإسلام الحنیف علی ید الرسول العظیم محمد (صلی الله علیه وآله).

فالزهراء (علیها السلام) تفهرس لنا حیاه البشریّه برمّتها قبل أن یصدع أبوها القائد برسالته السّماویّه المبارکه، فهناک الّذین فرقوا دینهم شیعاً وأخضعوه لمتطلبات شهواتهم ورغباتهم کالیهود والنّصاری.

وهناک العاکفون علی الأوثان الخاضعون للأصنام التی صنعوها بأیدیهم واتخذوها آلههً من دون الله سبحانه، معتقدین بقدرتها علی الخلق والإبداع والرّزق والتوفیق والنّصر.

[صفحه ۱۴۴]

وهذا ما کانت علیه الجزیره العربیّه حیث دان العرب لهذا النوع من التدّین، فملؤا بیت الله الحرام برکام من الأحجار والصُّخور، دعوها آلههً تقرّبهم بزعمهم إلی الله زلفی.

وإلی جانب هذا المنهج المادیّ الطائش نشأت عباده النیران والإنصیاع لها والسّیر وفقاً لمنهج خرافی هابط یعزز مفهوم هذه العباده الخرقاء، وقد رزحت بلاد فارس تحت هذا النّوع من التدیُّن الأجوف علی ید الدّین المجوسیّ.

وإلی جانب هذه الأنواع من الأدیان الوضیعه نشأ خلیط من الأدیان، سارت علیه الدّوله البیزنطیه التی

تمثل المعسكر الغربى للعالم يومذاك حيث خلطت مفاهيم الكنيسه المسيحيّه مع المفاهيم الوثنيّه الماديّه مما كون خليطاً جاهليّاً جديداً فى عالم الأديان الترابيه.

وعلى ضوء ما رسمته الصدّيقه الزهراء (عليها السلام) هنا نستطيع أن نستنبط النقطتين الآتيتين:

١ إنّ الأديان والمناهج الفكريه والإجتماعيه التى تتمخض عن تفكير الإنسان، أو التى أضافها الإنسان إلى بعض الشرائع السالفه، كلّ ذلك يؤلّف جاهليه واحده، وإن تعدّدت أشكالها وألوانها، لأنّ الجاهليه فى منطق الزهراء كما يبدو وهو الإبتعاد عن منهج الله الذى بشّر به الرُّسل والأنبياء عليهم السلام وتطبيق سواه على واقع الإنسان الكفرىّ والعملىّ، سواءً أكان ذلك ديناً وثنياً ماديّاً أو خليطاً من مفاهيم سماويّه وأُخرى وضعيّه، حيث عبّرت الزهراء (عليها السلام) عن الواقع بما فيه الدّين اليهودى والمسيحىّ بالظُّلم والغمم والبهم والغوايه والعمايه، وهذا يدلُّنا بوضوح على أنّ الدّيانتين السابقتين خاضعتان للأنحراف أيضا، وإلّا لماذا وصفتهما الزّهراء (عليها السلام) بالعمايه والغوايه ونحوها من النُّعوت دون استثنائهما؟

فاليهوديّه والنّصرانيّه كانتا فى ذلك العهد قد صفّيت حساباتهما، وانحرفتا عن السّمه الإلهيه الأصيله.

٣ حين تعلن الزهراء (عليها السلام) أنّ المناهج كلّها قد انحرفت عن منهج الله سبحانه وأُصيبت بداء الغوايه والعمايه على حدّ تعبيرها يدلُّنا هذا على أنّها إنّما أرادت أن

تعلن للجاحدين أنّ أباها لم يأتِ برسالته السّمحاء إلا عن طريق واحد، هو طريق الوحى المقدّس طريق السّماء والإصطفاء والنبوّه وليس عن طريق بلورهٍ وتفاعل للمفاهيم الدينيّه السّائده، وصبّها فى قالب جديد، ذلك لأنّ المفاهيم الدينيّه السّابقه قد انحرفت جميعاً عن منطق الحق والإستقامه؛ فكيف

تقوى إذا مزجت وبلورت على خلق نظام متناسق كرساله الإسـلام المقدّسه وهذا ما يجعل العقول البشريّه تطمئن إلى كون رساله محمد (صلى الله عليه وآله) وتعاليمه وتلقيناته قد تلقّاها من السماء بعيداً عن أوضار الجاهليه وآفاق الأرض وانحرافاتها.

وحين ترسم الزهراء (عليها السـلام) هذه الحقيقه النّاصـعه تنطلق فى مقطع آخر من خطبتها الرائعه لتبيان الملابسات التى اتّسـمت بهـا الجـاهليّه فى الجزيره العربيه، فهى قـد أعطت القـاسم المشترک للجاهليّات المتمثّل برفض منهـج الله واسـتبداله بنتاج العقول البشـريّه القاصـره، ثم انطلقت لتبيان السـمات الأُخرى التى تختص بها جاهليّه الجزيره العربيه، فضـلًا عن اشتراكها مع غيرها بسمه الخروج عن حكم الله ومنهجه، فتقـول مخـاطبه العرب: «... وكنتم على شـفا حفره من النـار، مـذقه الشّـارب ونهزه الطّـامع وقبسـه العجلان، وموطىء الأقـدام؛ تشـربون الطرق، وتقتاتون القـدّ، أذلهً خاسـئين تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله بأبى محمد...».

وفى هـذا المقطع الجديـد من خطبه الزهراء (عليهـا السـلام) تنعكس أمامنـا صوره واقعيه لظلامـات الناس فى الجاهليّه التى أطبق ليلها على الجزيره العربيه قبل أن يشع نور الهدايه الساطع.

ونستطيع هنا أن نميز النقاط الآتيه:

١ إبتعـاد العرب نهائيـاً عن ظلال الحق والواقع، مما جعلهم يقفون على شـفير الهاويه، وذلک نتيجه عـدم اسـتظلالهم بنور الهـدى الذى جاءهم على يد الرسول الكريم إبراهيم وابنه إسـماعيل (عليهما السـلام) وتحويلهم رساله السماء وتعاليمها الى عباده لأوثان صنعوها من الحجاره، وملأوا بها بيت الله الحرام بحجه أنها تقربهم الى الله زلفى.

٢ تفرّقهم المرير وعدم قدرتهم على التجمُّع حتى على أساس قومى، فكانت

[صفحه ۱۴۶]

الحروب الدّاميه تدور رحاها بينهم، ومنها ما يستمرُّ عشرات السنين بين قبائلهم المتناحره على الماء

والكلأ، مما جعل الإستيلاء عليهم أمراً لا يحتاج إلى بـذل كثير من جهد: «مذقه الشّارب، ونهزه الطّامع، وقبسه العجلان، وموطىء الأقدام».

فهم هدف لكلّ غازٍ ومستعمر وفاتح، فقد غزاهم الأحباش واستعمروا بعض أراضيهم، أُسوه بالفرس والرُّومان، فالذّله والمسكنه والوهن كـانت صـفه ملازمه للعرب فى جزيرتهم، لا حول لهم ولا طول فى إقامه مجتمع أو إنشاء أُمّه أو دفاع عن حمىً أو وطن من الغزاه.

٣ حـالتهم المعاشـيه منحطّه لا نظير لهـا، نظراً لصـحراويه أرضـهم، وقلّه مواردها المائيه مما جعلهم يشـربون المياه الآسـنه التى لا تصلح أن تكون صـالحه لشـرب البهـائم فضـلًا عن الإنسان، سيّما وهى من مياه الأمطار التى تجتمع فى بُقع واطئه من الصّحراء، مكوّنه واحاتٍ وقتيه يسرع إليها الناس لسدّ حاجاتهم وحاجات مواشـيهم، وقد تتعرض دوماً لخوض الإبل وبرازها وبولها وهذا ما وصفته الزّهراء (بالطرق).

ثم تعرّج عليها السـلام لتتحدث عن غذاء القوم فى جاهليّتهم، فتصـفه وصـفاً دقيقاً بقولها: «وتقتاتون القدّ» إذ كان العرب يقتاتون جلد المعزى لسوء حالتهم المعاشيه.

وحين تنزل أُمّه إلى المسـتوى الـذى يجعلهـا تتناول جلـد الماعز غـداءً تسـدُّ به رمقها، فإنّها قـد بلغت على هـذا الاساس مسـتوىً اقتصاديا لا مثيل له فى قاموس الإنحطاط.

والزهراء (عليهـا السـلام) حين تصوّر لنـا حيـاه العرب، فإنّمـا تصوّرها بصـفه جماعيّه لا اجتماعيّه، لأنّ المجتمع العربى الجاهلىّ لا يخلو من فئه يعدُّ أفرادها بالاصابع قد بلغت مستوىً من الثّراء، وهؤلاء يمكن العثور عليهم فقط فى مكّه المكرّمه، أما سائر أقاليم الجزيره العربيه فلا تخرج على الإطلاق عن الإطار الـذى رسـمته الزهراء آنفاً، فالحياه بصـفه عامّه حياه طرقٍ وقـدٍّ، وهكـذا كان حديث الزهراء (عليها السلام) حديثاً اجتماعيّاً

بحتاً يصف الانسان العربى وظروفه فى ظلال الجاهليّه الهوجاء، وقبل حدوث العمليّه التحريريّه الكبرى التى حقّقتها رساله الإسلام.

وحين ترسم الزهراء هذه الحقيقه التأريخيه الناصعه أمام مخاطبيها والأجيال الإسلاميه، تنطلق بعد ذلك لرسم معالم الشريعه الإسلاميه بكل دقه وإيجاز:

[صفحه ۱۴۷]

فلسفه الإسلام فى منطق الزهراء

اشاره

«... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشّرك، والصّلاه تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاه تزكيه للنّفس ونماء فى الرّزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدّين، والعدلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّه، وإمامتنا أماناً من الفرقه، والجهاد عزّاً للإسلام وذلاً لأهل الكفر والنّفاق، والصّبر معونهً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر مصلحهً للعامه، وبرّ الوالدين وقايهً من السُّخط، وصِلَه الأرحام منسأهً فى العمر ومنماهً فى العدد، والقصاص، حقناً للدّماء، والوفاء بالنّذر تعريضاً للمغفره، وتوفيه المكاييل والموازين تغييراً للبخسه، والنّهى عن الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنه، وترك السّرقه إيجاباً للعفّه، وحرّم الله الشّرك إخلاصاً له بالربوبيّه: «فاتّقُوا الله حقّ تقاته، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عَنهُ، فإنّما يخشى الله من عباده العلماءُ...»

فى هذا المقطع الوضّاء من الخطبه ترسم الزهراء (عليها السلام) الحقيقه الكبرى التى امتاز بها الإسلام عن سواه من الشرائع: فى كونه عقيدهً ونظاماً ومنهجاً فهرس الحياه الإنسانيّه برُمّتها، وبرمج متطلّبات النّوع الإنسانى بهيكل تشريعى ضخم، طرق باب كلّ مشكله من مشاكل الحياه الإنسانيه، وتوفّر على حلّها بما يتناسب والمصلحه وبما يتماشى والحكمه.

[صفحه ۱۴۸]

وهذه الحقيقه الكبرى التى امتاز بها منهج الله تعالى قد أغفلها الكثيرون من أبناء الأُمّه الإسلاميه، تأثراً بالحضاره الغربيّه الغازيه التى فصلت الدّين عن الحياه. وعلى هذا الأساس ردّد

أبناؤنا صدى أفكار أعدائهم فراحوا يسمُّون دينهم بدين الكنائس والمساجد، فليس بمقدوره بل وليس من اختصاصه أن ينشيء أُمّةً، أو يخلق مجتمعاً لأنّ وظيفته بزعمهم محصوره فى إطار المساجد والطُّقوس العباديه.

ونحن بدورنا حين نستقرىء جانباً من خطبه الزّهراء (عليها السلام) يتّضح لنا أنّها حين تحدّثت عن فلسفه الإسلام وإطاره العام لم تكن لتستهدف اقناع مخاطبيها أنّ فى الإسلام نظاماً يهذّب الفرد، وينظّم الجماعه، ويقيم الدّوله، وإنّما كان ذلك أمراً بديهيّاً فى حديثها، بل من الأُمور التى لا يرتاب فيها مسلم، مهما انخفضت درجه إيمانه بالإسلام يومذاك، ولذا فإنّ الزّهراء (عليها السلام) استعرضت معالم الإسلام وتعليماته كوسيله لتبيان حقيقه أُخرى ترتبط بالحقيقه الأُولى، إذ كان همُّها أن تبيّن الأهداف السّاميه التى من أجلها كان التّشريع الإسلامى بهذا الشكل لا بسواه، بل إنّها أرادت أن ترسم العلل التى من أجلها حدّدت معالم الرّساله الإسلاميه بهذه الصيغه المعلومه لا بسواها.

ولا بدّ لنا أن نلّم إلمامةً سريعه بالمفاهيم الإسلاميه التى طفحت بها هذه التحفه التى منحتها الزّهراء لأجيالنا الإسلاميه المتعاقبه وبمقدورنا أن نستنبط النقاط التاليه على ضوئها:

الجانب العقيدى

يعتبر جانب العقيده فى كلّ رساله أو مذهب اجتماعى الحجر الأساس الذى تبتنى عليه معالم الرساله وتحدّد على ضوئها أُطرها ومقوّماتها...

وانطلاقاً من هذه الحقيقه الثابته، إنطلق الإسلام فى تثبيت جانب العقيده فى نفوس الجماعه من أتباعه، وأنفق وقتاً وجُهداً كبيراً خدمه لهذا الجانب فى موكب دعوته الهادر. ولهذا توفرّ القرآن الكريم وهو دستور المنهج الإلهى على دراسه واسعه جدّاً للعقيده، أوقف خلالها زهاء ثلاثه أرباعه، خدمةً لها وتثبيتاً لمعالمها. وقد نبض بهذا العامل القرآن المكّى خصوصاً إذ كان الإيمانُ بالله

[صفحه

ورسوله واليوم الآخر هی الأوتار الحسّاسه التی أهتمّ فی الضّرب عليها. وبعد تثبيت هذه القواعد الرّصينه انطلق الوحی المقدّس لرسم معالم التّشريع الإجتماعی والإقتصادی والعسکری وغيره، لکی تکون هذه الجوانب قد امتلکت قاعدتها الصُّلبه التی تستند عليها فی تحقيق أهدافها فی حياه النّوع الإنسانی.

وإبرازاً لهذه الحقيقه دشّنت الزهراء (عليها السلام) حديثها عن الإسلام مبتدئه بالإيمان: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لکم من الشّرک...»

فهی تؤکد لنا أنّ الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر الذی أوجب الله الإلتزام به کعقيدهٍ رصينه للمسلم يمثّل المناعه الطبيعيه التی يمتلکها المسلم لدرء وباء الشّرک الذی يزلزل العقيده القويمه ويهدّد کيانها بالإنهيار، فيصاب العقل والفکر والرّوح بعاهه يفقدها التوازن، لأنّ الشرک والإيمان لا يمکن أن يجتمعا فی کيان إنسان واحدٍ أبداً، لأنّهما مفهومان لکلٍّ منهما معالمه التی تسيطر علی العقل والروُّح، فإذا دخل الشّرک عقليه المسلم فإنّ ذلک يعنی أن قوی الإيمان قد انسحبت من المنطقه التی احتلّتها قوی الشّرک فی ذهنه، ولذا کان الإيمان الرّصين إبادهً لجراثيم الشّرک بالله سبحانه فی عقليه المسلم.

والمشرک علی هذا الأساس من يستهدی فی حياته الفکريه أو العمليه منهجاً غير منهج الله تعالی، أو من يخلط بين مفاهيم الرساله الإسلاميه وغيرها من نتاج الجاهليّه الهوجاء.

وحين تفتتح الزّهراء (عليها السلام) حديثها عن الإسلام بالحديث عن الإيمان وفلسفته وبصفته الرکيزه الأُولی التی يقوم عليها المبدأ الإسلامی الحنيف، تنطلق بعد ذلک لتحديد معالم الإسلام فتختتم حديثها عنها بالتحدُّث عن الإيمان أيضاً: وحرّم الله الشرک، إخلاصاً له بالربوبيه فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمرکم به ونهاکم عنه، فإنّما يخشی الله من

عباده العلماء...».

فهی تعلن حرمه الشّرک الذی لا یتحقق العبودیه المطلقه لله فی کیان المرء إذا دخل فی نفسه، ثم تعلن فلسفه تحریمه التی تنسجم ومتطلّبات الإیمان الصّحیح، وأن تحریمه کان حفظاً لمبدأ العبودیه المطلقه لله سبحانه، وتأکیداً لربویّته فی الأرض: فی

[صفحه ۱۵۰]

الفکر والعمل والعواطف، ثم تنطلق لتحذّر من مغبه الشّرک: «فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون...».

حیث ألزمت الامه والأجیال القادمه بالسّیر علی منهج الله بعیداً عن المتاهات والزّیغ، ولا یتُّم ذلک الا بالسّیر وفقاً لمفهومی الحلال والحرام الاسلامیین، لأنهما وحدهما اللّذان یمثلان المقیاس الثابت الّذی یزن المرء بهما سلوکه وتصرفاته وکافه ألوان نشاطه فی حیاته.

وهذان المفهومان قد عبّرت عنهما الزّهراء بأمر الله ونهیه کما دلّ علیه قولها : «وأطیعوا الله فیما أمرکم به ونهاکم عنه فإنما یخشی الله من عباده العلماء...».

الاطار المذهبی

وبعد هذا التحلیل الدّقیق لمفهوم الإیمان ومقوّماته، تنطلق الزهراء (علیها السلام) لتشید البنیات الفوقیّه لهذا الإیمان الرّصین، البنیات الفوقیه التی تنسجم مع قاعده الإیمان وتنهل من معینه لکی تخلق الفرد الصّالح والمجتمع السّعید والإنسان العزیز، وفقاً لمناهج عملیّه تنسجم مع الفطره وتوائم المیول النفسیّه والروحیّه والجسدیّه. وحین تنطلق الزهراء (علیها السلام) لتبیان الهیکل العام للمذهب الإسلامی فی المشاکل الفردیه والإجتماعیه إنّما تنطلق لاستعراضه بصفته حقیقه متفقاً علیها ولذا راحت ترسم هذا التّشریع تأصیلاً لهذه المفاهیم وتثبیتاً لأُطرها، وهذه الحقیقه تجعلنا نکون أکثر وثوقاً من أنّ الأُمّه الإسلامیه فی مطلع تاریخها کانت تفهم الإسلام بصفته رساله کبری تقوم علی فلسفه للکون والحیاه ودستور للإجتماع والإقتصاد وطریقه فی الحکم والسّیاسه ومنهج للعمل والتفکیر ومبدأ ثابت تبتنی علیه الحیاه الإنسانیه للفرد والأُسره

والمجتمع والـدّوله، أما الفصام النّكد الذى وجد اليوم فى ذهنيّه أكثر أبناء الأمّه الإسـلاميه بين الدّين والحياه فإنّما هو بدعه غربيه ومؤامره صليبيه ستنجلى ظلمتها بعد حين «ويأبى الله إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون» [۷۲] .

[صفحه ۱۵۱]

لأنّ تباشير الوعى لهـذه الحقيقه حقيقه هـذا الـدّين وهـذه الرساله الخاتمه لاحت فى الأُفق وراح كثير من شـباب أُمتنا الإسـلاميه يعون الإسـلام كمـذهب اجتماعى وكيان تشـريعى ضـخم امتدّ إلى جميع مجالات الحياه، ولوّنها بصـبغه خاصه بعيده عن الصّبغه الترابيه التى اصـطبغت بهـا المـذاهب الوضـعيه الجائره عن الفطره، ونحن حين نبحث فى حياه الزّهراء بل تراثها الإسـلامى العظيم إنما نقدّم بذلك دليلًا عمليّاً لمن يجهل حقيقه الإسلام ليتّضح له بصفته ديناً وتشريعاً عقيده ومنهجاً ونظاماً.

وهـا نحن أُولاـء نلقى أضواءً كاشـفه على مقطع عظيم من خطبه الزّهراء (عليهـا السـلام) وهى تسـتعرض للأُمه وأجيالهـا القـادمه حقيقه الرّساله الإسلاميه:

والصلاه تنزيها لكم عن الكبر

فالصّـلاه فى منطق الزّهراء (عليها السـلام) رفع للإنسان من حضـيض التكبُّر إلى مستوى التّواضع، وهى حين تعلن هذه الميزه التى اتّسـمت بها الصّلاه فإنّما تجسّد لنا واقع الصّلاه وقيمتها على الصّعيد العبادى والإجتماعى، فالصّلاه ابتداءً صله روحيه بين الإنسان وخالقه، تتّخذ طابعاً خاصّاً من الدُّعاء والتجرُّد، ولوناً متميزاً من السُّلوك، فحين يقف المرء أمام خالقه الكبير يعلن اعترافه بربوبيّته وحاكميّته المطلقه. وبعد هذا الإعتراف يعلن مطالبه من ربه، ممثله بطلب عونه: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين».

والإعتراف بالعبوديه لله سبحانه وتعالى يرسم للمسـلم الواقعى صورهَ حياه مثاليّه متعدده الجوانب، مطبوعه بطابع الخضوع المطلق للعزيز الحكيم، فهى ليست اعترافاً بالله كخالق للكون والحياه فحسب وإنّما هى عمليّه يعلن

الإنسـان فيها أنّ الوجود كلّه لله سـبحانه. وأنّ الحاكميّه المطلقه فی خلقه له وحـده، فلا مشـرّع لهـذا الإنسان غیر الله سـبحانه، فهو وحده الذی یعلم ما یصلحه وما یفسده وما یرفعه وما یضعه.

وبعد هذا الإعتراف بالله سـبحانه وصفاته المقدّسه، یقف المرء أمام ربِّه، وبهذا الیقین المطلق لیسأله العونَ والهدایه، وهذه العملیه تتکرر خمس مرات فی کلّ یوم لتکون مصدراً لتربیه النّفس والوجدان علی الخضوع لله سبحانه، الخضوع

[صفحه ۱۵۲]

المسـتمر، ولتطبع حیاه الإنسان کلّها بطابع هذا الخضوع. ومن ثم فإنّ تکرار هذه العملیه یشـکّل مناخاً صالحاً لصقل نفسیّه المسلم ومشاعره صقلًا ینسجم وأوامر الله ونواهیه لینطلق المسلم بعدها، وهو أکثر قدره علی تطبیق منهج السّماء وحمله والتبشیر به.

وقد رسم القرآن الکریم هذه الحقیقه حین أعلن: «إنّ الصلاه تنهی عن الفحشاء والمنکر».

وهنـا تتجلّی الحقیقه الـتی تجعـل من الصّـلاه مفتاحـاً لخلـق لـون خـاص من السُّلوک بعیـد عن المتاهـات والإنحرافـات والطّیش والضیاع کما تخلق مناعهً طبیعیه لمواجهه جراثیم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وبعد اتّضاح قیمه الصّلاه الکبری فی خلق الشخصیّه الإسلامیه، نقف علی الحقیقه الکبری التی رسمتها الزهراء (علیه السلام) أمام الأجیـال الإسـلامیه المتعـاقبه حیث جعلت الصّـلاه الفریضه الأُولی التی تعقب الإیمـان بـالله سـبحانه فی برمجتهـا لمعـالم الرّساله الإسلامیه العظیمه.

وینکش لنا السُّر بعد ذلک الذی جعل الزهراء (علیها السلام) تعتبر الصّلاه عملیّه تهذیب من الکبر والخیلاء، ولأنّ المرء یشعر فی قراره نفسه أنّه وکلّ موجود فی هذا الکون البدیع یقفون علی صعید العبودیّه المطلقه لله وحده .

والإنسان فی الوقت الذی یستشعر العبودیه لله وحده فی نفسه یحسُّ بالتّحرُّر المطلق من کلّ عبودیّه

لغير الله تعالى، فالإنسان وسائر أبناء جنسه يعيشون فى إطار يحمل منتهى العبوديّه لله الكبير المتعال، وفى الوقت ذاته يعيشون على صعيد واحد من الكرامه والسؤدد، فلا بدّ إذن أن تلغى كلُّ معالم الخيلاء والتكبُّر من المجتمع الذى يعيش فى إطار الرساله الإسلاميه الكريمه، وعمليّه الإلغاء لصفه التكبُّر فى نفسيات الأفراد بعضهم على البعض الآخر، لا تتمّ إلا عن طريق الشعور بالخضوع لله وحده، وهذا الخضوع يتجسّد سلوكاً ثابتاً فى نطاق الصّلاه التى رسم الإسلام حدودها، وبيّن معالمها وإطارها، ولهذا السّر عينه تنطلق الزّهراء (عليها السلام) لتؤكّد للأُمّه بامتدادها التأريخى: أنّ الصّلاه تنزّه الفرد والمجتمع من أدواء الخيلاء والغرور والاحتيال، انطلاقاً مما تبثُّه الصّلاه من إشعاعات روحيّه واجتماعيه فى نفسيّه الإنسان المسلم ومجتمعه.

[صفحه ۱۵۳]

والزكاه تزكيه للنفس ونماء فى الرزق

وحين تستقى الزهراء (عليها السلام) معالم التّشريع من منبعه الأصيل كتاب الله العزيز كذاك تستقى الصُّوره التى سطر بها القرآن الكريم معالم التشريع، فقد اعتاد القرآن مثلًا أن يذكر مفهوم الزكاه بعد ذكره لمفهوم الصّلاه، وهذه الصّيغه تتعدّد فى كثير من آيات التشريع المبارك، ولهذا السّر عينه راحت الزّهراء تجلّى فلسفه الزّكاه، بعد ان ذكرت فلسفه الصّلاه، وانطلاقاً من التلقين القرآنى لمثل هذه التعليمات الإلهيه الجليله، وإذا اتضّح لنا هذا فإنّما يتجسّد أمامنا المدى البعيد الذى أثّره القرآن الكريم بنفسيّه الصّدّيقه الزّهراء (عليها السلام) فهى تمثّل شخصيّه إسلاميّه رسم القرآن الكريم كلّ معالمها حتى فى مثل هذه الأمور.

كما أنّ هذه الحقيقه تعكس لنا صورةً حيّه عن أهل البيت (عليهم السلام) ومدى تطبيقهم لمعارف التّشريع الإلهى على سلوكهم فى اصوله ودقائقه ومعالمه وتفصيلاته، والزهراء (عليها السلام) بعد ذلك

تعلن فلسفه الزّكاه، فتقول عنها: إنّها تزكيه للنّفس الإنسانيه، ولكنّها لم تحدّد بعد ذلك مفهوم التزكيه هذا ومداه ومنطلقه وحدوده، فما الغايه التى استهدفتها الزّهراء (عليها السلام) من ذكر مفهوم التزكيه هنا؟

خلق الله الإنسان وخلق معه غرائز وطاقاتٍ لا ـ يمكن التغاظى عن إشباعها بأىّ حال من الأحوال وتأتى فى طليعه هذه الطّاقات غريزه حبّ التملُّك، فالإنسان مجبول على تملُّك ما تناله قواه من ثروات أنّى كان نوعها وقد تستبدُّ هذه الغريزه بالإنسان فتجعل من حياته حياةً جافّةً سلبيةً لا تحمل فى رحابها أىّ نوع من أنواع الرّحمه والعطف، فتزدحم الحياه بالصّراع العنيف بين الدُّموع والإبتسامات، ويحدث التّناقض المرير بين أصحاب الثّراء الفاحش وسواهم من الفقراء والمعدمين.

وهذا ما يجرى فعلاً فى المجتمعات الرّأسماليه الجائره اليوم حيث تستبدُّ غريزه التملُّك لدى الأفراد فتتحوّل الحياه إلى شبح من الأنانيّه والإستئثار، ضحيته الأخلاق والرّحمه والعطف ومحصله الصّراع والإضطراب النفسى والإجتماعى، واستبداد هذه الغريزه يزداد شدّه وخطراً إذا وجد مقياسٌ، يجعل

[صفحه ۱۵۴]

من الحياه مجرّد لذّه ماديه ومنفعه بهيميه خالصه محدوده بإطار الحياه الموقوته، وهذا ما ينطبق فعلاً على الحياه الّتى جسّدتها الحضاره الغربيه الهوجاء.

ويتطرّف لون جديد من الحضاره تحت مطارق العسف والإستئثار، فيعلن: أنّ علّه هذا الفساد الإجتماعى، إنّما هو غريزه حب التملُّك، ولذا وجب أن تمحى هذه الغريزه من برامج الحياه الإنسانيه مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات ولذا وضعت برامج الكبت والقتل الجماعى، ومصادره الحريات، تحرّياً عن هذه الغريزه الفطريه.

ولكنّ هذا المذهب الإجتماعى المتمثل بالنّظام الاشتراكى قد تعرّض للتحوير والتّبديل غير مرّه بحجه التدرُّج فى التغيير الإجتماعى، ولكنّ الحقيقه:

أنّ الفطره هی التی حتّمت هـذا التبـدیل المتکرّر، بل إنّ غریزه التملّک هی التی وقفت سدّاً منیعاً فی مواجهه المشاریع التی أَرید منها أن تلغی هذه الغریزه من قاموس الحیاه الإنسانیه.

ووقوع النّظـام الإِـشتراکی فی هـذا الخطأ کان نتیجهً للتّصور الخاطیء الـذی تُصوّر إزاء قضـیه التملُّک، فاعتقـد خاطئاً أنّ أساس المحنه إنّما کان بسـبب وجود غریزه التملُّک التی جسّدتها الحضاره الرأسمالیه التی امتدت سیطرتها علی الإنسانیه زمناً غیر قصیر .

وهـذا التّصُّور خـاطیء لاـ طائل تحته، لأنّ المشـکله إنّما نشأت بسـبب المفهوم المادّی للحیاه الـذی تبنّته الرأسـمالیه، فجعلت من الفرد کائناً همُّه أن یجمع المال، ویکرّس طاقته لتکدیس الثّروات بصفتها منشأ للسّعاده واللذه والمنفعه بزعمها [۷۳] .

وحین تخطیء الإِشتراکیه هـذه الحقیقه، تبحث عن سببٍ آخر، فتعتقـد أنّ المشـکله منشؤهـا غریزه التملُّک لاـ غیر ولـذا وجب محوها أنّی کان الثمن .

ویأتی دور الإِسـلام بصـفته مـذهباً اجتماعیاً یتناول نشاطات الأفراد ومیولهم بصوره شامله، فلا بـدّ له من رأی مذهبیٍّ صـمیم إزاء هذه المشکله، ولا بدّ له بعد ذلک أن یعطی الدّواء النّاجع والحلّ الحاسم للواقعه التی یواجهها، سیّما

[صفحه ۱۵۵]

وهو منهج الله، خالق هذا الإنسان ومدبّر أُموره والمطّلع علی ما تنطوی علیه خلجات نفسه.

لیعلن: أنّ منشأ هـذه المشـکله إنّما هو المقیاس المادّی الذی دانت به الحضاره الغربیه ولیست المشـکله کامنه فی غریزه التملک عینها لأنّ غریزه التملُّک أصیله فی کیان الإنسان، لا یمکـن محوها إلاّ إذا بُدّل هذا الإنسان إلی غیر هذا الإنسان.

ولما کانت المشکله تحمل هذا اللون من الثُّبوت والإستقرار، فلا بدّ أن یبحث الإنسان عن تطویر

جديد للمفاهيم عن الحياه، ليخفّف من وطأه هذه الغريزه، فينشأ للإنسان مفهومٌ جديدٌ للسّعاده واللذه والمنفعه.

وفعلاً، حقّق الإسلام هذه المعجزه بإعلانه مفهوماً جديداً للسّعاده، ومفهوماً جديداً عن الحياه، ومفهوماً جديداً عن اللذه والنفعه.

وحين يعلن الإسلام هذه المفاهيم، فإنّما يعلن: أنّ المشكله لا تحلُّ إلاّ عن طريق واحد: هو طريق الإعتراف بغريزه التملُّك كحقيقه فطريه والعمل على توجيه هذه الغريزه عن طريق تربيه روحيّه ونفسيّه على أُسس منهجيّه رصينه، يُصمّمُها خالق الفطره لأنّه أعلم بصلاحها من سواه.

وكانت إحدى المقوّمات التى رسمها الإسلام الحنيف لتوجيه غريزه التملُّك توجيهاً تربوياً ينتفع منه الفرد والمجتمع بعيداً عن عنفوان الأنانيّه والإستئثار، كانت إحدى هذه المقوّمات المتينه: فرض ضريبه الزّكاه على الاغنياء الذين يتمتّعون بحق المواطنه الاسلاميه فى نطاق الدّوله الإسلاميه، وهذه الزكاه تمثل ضريبه سنويه لا يمكن الهروب عن دفعها إطلاقاً ما داموا يعيشون فى مستوىً لائق من العيش.

ومن الحكمه البالغه: أنّ الإسلام حين يفرض هذه الضريبه لم يجعلها مجرد ضريبه يلزم الاغنياء الإتيان بها فحسب . وإنّما أضفى عليها طابعاً روحيّاً حين أعلن كونها عبادةً من العبادات الأُخرى كالصّلاه والصّيام، والإنسان مسؤول عن دفعها أمام ربّه الذى «يعلم خائنه الأعين وما تخفى الصُّدور». ومن ثم ينطلق الإسلام ليعطى هذه الفريضه صفه قانونيه صارمه يعاقب عليها القانون الإسلامى فى الدُّنيا عقاباً صارماً، وحين يلزم الإسلام أتباعه بأداء فريضه الزّكاه إنّما يستهدف توجيه غريزه التملُّك توجيهاً يجنى الفرد والمجتمع ثماره بحيث تكون

[صفحه ۱۵۶]

الثورات ملكاً لجميع أبناء الأُمّه لا يستبدُّ بها فردٌ من النّاس أو فئه على حساب الآخرين.

وتعطينا هذه الصُّوره الوضّاءه من منهج الله سبحانه

تلقيناً تجعلنا نؤكّد أنّ الفرد والمجتمع فى المنهج الإسلامى لا حدود بينهما، وإنّما تتشابک مصالحهما، فيعمل الفرد من أجل المجموع، ويعمل المجموع من أجل الفرد، وفقاً لنظام رصين بعيد عن الإصطدام والإعتساف، ولا تتحقّق هذه الفضيله بل هذه المعجزه إلا بتزکيه النفوس من عنفوان الأنانيّه والأثره التى فرضت الزّكاه لتحقيقها فى کيان الإنسانيه.

وهذا السّرُّ ذاته هو الذى دعا الزهراء بنت محمد (صلى الله عليه وآله) لتعلن كون الزكاه تزكيةً للنّفس، فإنّها لعمر الحق تزکيه للنُّفوس البشريه من أنانيّتها واستئثارها ودوافعها الفرديّه الجافّه، وتحويلها إلى طاقات إنسانيّه هادفه تخدم المجموعه الإنسانيه.

وثمت حقيقه أُخرى نلمسها من كشف الزّهراء (عليها السلام) لفلسفه الزّكاه، تلک الحقيقه، تتمثّل فى أنّ النُّفوس البشريّه سيختفى ما تنطوى عليه من بغضاء وأحقاد، سيّما نفوس المحرومين، فهم حين يرون اصحاب الثروه يدفعون لهم نصيبهم منها متمثّلًا بضريبه الزّكاه، فستكون نظرتهم لهؤلاء نظره حبٍّ واكبار، يتحوّل التناقض والعداء بعدها إلى إخاءٍ وإخلاص ومحبّه.

وحين تكشف الزهراء (عليها السلام) الوجه الأول من فلسفه الزّهراء تكشف بعد ذلک الوجه الثانى لها، فتقول: «ونماءً فى الرّزق» فليست الغايه من الزكاه تزكيةً للنفوس من الأنانيّه والبغضاء فحسب وإنّما لها غايه تتعلّق بمحيط الإنسان نفسه فينمو رزقه وتزداد ثروته وتكثر خيراته.

وحين تعلن الزهراء (عليها السلام) هذه الحقيقه لم تقلها عفواً أو شططاً، وإنّما تلتمس هذه الحقيقه من كتاب الله سبحانه حين يعلنها بقوله: «ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء والأرض» [۷۴] .

[صفحه ۱۵۷]

والزكاه عباده يعد منكرها فى عداد الكافرين، ومن يمنع قيراطاً منها، فليمت إن شاء يهودياً

أم نصرانياً كما ورد فى السُّنه الشّريفه .

وحين تملك الزكاه هذا المقام الرفيع بين معالم التّشريع الإسلامى، فلا بد إذاً أن تكون فى طليعه شروط الإيمان والتّقوى، ولما كانت البركات منوطه بالإيمان، فقد انكشف لنا السرُّ الذى أعلنته الزّهراء (عليها السلام) من أنّ الزكاه نماءٌ فى الرّزق، ذلك لأنّها عنوان الإيمان والخضوع الحقيقى لله سبحانه، فلا بدّ أن يكافىء الله عباده بالتفضُّل عليهم من رزقه بعد استجابتهم لندائه المقدّس.

والصيام تثبيتا للاخلاص

وبعد هذا البيان الذى تصوّر الزهراء (عليها السلام) فيه فلسفه الزّكاه، تكشف لنا فلسفه الصّيام الذى يعتبر لبنةً فى البناء التشريعىّ الإسلامى الضّخم فتقول: «والصّيامَ تثبيتاً للإخلاص».

فترسم أمامَ الأجيال الإسلاميه الرّائده هذه الحقيقه الناصعه التى أراد لها الله سبحانه أن تتحقّق بفضل فريضه الصّيام صيام شهر رمضان المبارك.

والصّوم الذى فرض الإسلام طبيعته وحدّد إطاره: هو إقلاع عن المتطلّبات الجسميه: من أكل وشرب وجماع، وفيه تتحقّق عمليّه قهر أعنف الغرائز فى كيان الإنسان، فتقهر غريزه المعده التى تتطلّب الإشباع الدّائم، والغريزه الجنسيّه التى تتطلّب سدّ حاجتها بإلحاح متواصل. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإنّما يتعدّاه إلى صوم الجوارح، فللعين صومٌ عن رؤيه المحرمّات، وللأُذن صومٌ عن سماع المحظورات، وللّسان صوم عن قول المنكرات، ولليد والرّجل كذلك صومٌ عن الإعتداء أو السّرقه أو السّير فى درب لا يقرُّه حكم الله تعالى.

وهذه الأُمور الأخيره وإن لم تكن مباحةً فى غير شهر رمضان، إلا أنّ شهر الصّوم قد أُعطى تمييزاً عن غيره من سائر الأيام، فربّما قد تحدث هذه الأمور لدى البعض من النّاس، ولكنّها لا تضرُّ بصلاه أو زكاه أو نحوها، إلا الصّيام فإنّ وجود مثل هذه المنكرات يخرج الإنسان عن كونه

صائماً.

وثّمه نقطه أُخرى تلوح لنا كشعاع ينبثق من فريضه الصّيام، هى: أنّ المسلم الذى استطاع أن يكبت أشدّ غرائزه إلحاحاً وأعظمها خطراً فانتصر عليها هازئاً

[صفحه ۱۵۸]

بالمادّه وأوضارها، إنّ إنساناً هذا شأنه سيملك من الطّاقات ما يجعله أقدر على مواجهه طواغيت الارض وقلع معالمهم فى حياته وواقعه، بل إنّ إنساناً قهر نفسه ومتطلّبات جسده، هو أقدر على أن ينتصر لمبدئه الذى استجاب هو لندائه فمنع نفسه عن لذاذاتها ومشتهياتها ليدكّ صروح أعدائه، وإن ادلهم الخطب وازدحم الدّرب بالمخاطر.

يمتنع المرء عن الطّعام والشّراب، وهو قادر على تناولها بعيداً عن أعين الناس فى خلواته فى وحدته، ولكنّه يقهر نفسه ولذاذاته لأنّه يستشعر بتقوى الله فاطر الأرض والسّماء، وحينئذ يبرهن على فاعليّه إيمانه وعلى مدى إخلاصه لله سبحانه.

أجل إنّ فى الصوم تتحقق أبعاد الإخلاص لله سبحانه فتتجسّد واقعاً ملموساً لأنّ الصوم لا يتطرّق إليه الرّياء [۷۵] لأنّه ترک لأعز شىء فى الحياه هو الطعام هو اللذه المطلقه هو متطلّبات الجسم.

والصوم بعد ذلک دوره تربويه يتلقّى الإنسان فيها مختلف الدُّروس الجديده، فتخلق لديه عاداتٍ جديده حتّى المعده نفسها تعتاد على التّقسيم الجديد فى وجبات الطّعام، فكيف بالسلوک؟

إنّ إنساناً اعتاد ترک الكذب والغيبه والنّميمه، والنّظر المحرّم والسخريه لمده شهر واحد، أصبح يملک من القدره على الإستمراريه فى هذا السلوک الإسلامى زمناً. وهو شهرٌ فى كلّ سنه ليس بالأمر الهيّن، إنّه يؤلّف نسبه مئويه جدُّ كبيره من العمر يعيشها الإنسان فى كنف الإستقامه وفى رحاب مدرسه إسلاميه تصهر السُّلوک المعوج وتبيد جراثيمه. والصوم حين يمتلک هذه المزايا التى تنعكس إلى شدّ العبد بربه شداً وثيقاً، هو الذى أملى على

الزّهراء (عليها السلام) وهى خرّيجه مدرسه الوحى أن تعلن عن كون الصّيام تثبيتاً للإخلاص، فهو تثبيت لإخلاص الإنسان لربّه بعد استجابته لندائه، وتركه لكلّ لذاذاته تقرُّباً له وانقياداً لتلقيناته المباركه، وعلى هذا التقدير يصبح الصوم اختباراً لدى استجابه المرء لأوامر ربه الكبير المتعال، وحين يستجيب المرء لذلك فقد حاز التثبيت لإخلاصه، وربح بعد ذلك مرضاته تعالى.

والحج تشييدا للدين

وبهذه العباره القصيره تكشف الزّهراء عن فلسفه الحج وأهدافه الساميه، فهو تشييد للرساله وإقامه لصروحها الشامخه. ولا بدّ أن تحمل هذه العباره الجليله سرّاً كامناً خلفها، إذ لماذا تعلن الصّدّيقه (عليها السلام) كون الحج تشييداً للدّين دون غيره من الفرائض، بل لماذا أعطت الزهراء هذه الفريضه هذا المقام الرفيع دون غيرها من الفرائض الإسلاميّه؟ فالحجُّ فى حقيقته مؤتمر إسلامى كبير يضم ممثلين عن مختلف الشعوب الإسلاميه على سطح هذا الكوكب الأرضى.

والإنسان المسلم الذى يحضر هذا المؤتمر الإسلامى السنوى المعقود عند أشرف بقعه فى الأرض «الكعبه المشرّفه» يبذل المال ويبذل الوقت الوجهد ولكنّه سيعيش واقعاً إسلامياً ويحيا مناخاً إسلامياً يشعُّ بالوحده وتسوده المساواه المطلقه والتقارب الروحى والتعارف والإخاء.

وحين يعيش الحجيج هذه الإشعاعات التى تنبثق من فريضه الحج فإنّما يعيشون الإسلام حقيقه واقعه بصوره مصغره مرّه فى كلّ عام، فهم يعيشون الوحده التى حمل الإسلام لواءها بكلّ أبعادها حيث يجتمعون فى بقعه واحده ويرددون نداءً واحداً، ويحملون هدفاً واحداً، هو رضوان الله تعالى، وتسودهم المساواه بكلّ أبعادها أيضاً، فتلغى الفوارق كما أراد لها الإسلام فى واقع الحياه حيث يتحقق هذا الشّعار بالزىّ الواحد الذى يرتديه الأبيض والأسود، العربىّ والأعجمىّ، الرجل والمرأه، الكبير والصغير، الغنىُّ والفقير، الرئيس والمرؤوس؛ فاللباس موحّد، والهتاف موحّد، والعمل واحد، والفعّاليّات واحده؛ وهذه المراسيم

تمثل المساواه التى رسم الإسلام حدودها بأعلى صورها وأنصع ألوانها، ثم تتحقّق الاخوّه بأجلى مظاهرها، فلا اغتياب ولا سباب، بل ولا جدال، وعلى هذا الأساس يتحقّق مفهوم الأُخوه ويتجسّد حقيقه ملموسه لا حديثاً او لفضاً مطلقاً.

وإلى جانب هـذه الصُّوره المصـغّره للمجتمع الـذى يعمل الإسـلام على إرساء قواعده وتشـييد معالمه، ينشأ التّفاهم والتّعارف بين ممثّلى الشعوب الإسلاميه،

[صفحه ۱۶۰]

فيلتقى الفارسـىُّ بالهنـدىّ والعربىّ بـالتركىّ وغيرهم لكى يتعرّفـوا على مشـاكلهم، فيهتـدوا لعلاجهـا، ويبحثوا فى وسائـل عزّتهم، ويزيلوا ما يعيق نهضـتهم من أشواك، فيسـتفيد كلُّ شـعب من أشـقّائه ليسـير العمل متناسقاً لبلوغ الغايه التى أرادها الله لهذه الأُمّه لتكون كمـا أراد الله لهـا «خير أُمّهٍ أُخرجت للنّاس» وحين تنكشف لنا الفوائـد الجليله التى شـرع الحـجّ من أجلها من تحقيق لواقع إسلامى مصغّر أو فهم للمشاكل المشتركه وغير المشتركه لدى الشعوب الإسلاميه.

حين ينكشف لنا هذا المغزى الرّصين من تشريع الحجّ نكون قد فهمنا الدّافع الذى حمل الزهراء (عليها السلام) لتعدّ الحجّ تشييداً للدّين.

فهو لعمر الحق تشييد للدّين إذا جنى المسلمون ثماره التى شرعه الله سبحانه من أجلها. ولعلّنا وفقنا لعرضها قبل قليل.

[صفحه ۱۶۱]

والعدل تنسيقا للقلوب

ثم تنطلق الزهراء (عليها السـلام) لتبيان الغايه التى شُـرّع العدل من أجلها، لماذا العدل فى القضاء بين المتخاصـمين، ولماذا العدل بين الأجناس، ولماذا العدل فى الحكم، ولماذا العدل بين الغنّى والفقير؟؟

تجيب الصّدّيقه الزّهراء (عليها السـلام) فتقول: شُـرّع ذلك لتنسـيق القلوب. وجمع شـتاتها وتأكيد إخائها وتحقيق صفائها وتوادّها وائتلافها، ولكن إلى أىّ مدىً سيحقّق هذا العدل الذى جعله الإسلام ركناً من أركان بنائه التّشريعىّ الضّخم التنسيق والصفاء، فى قلوب أبناء النّوع

الإنسانى ؟؟

جلجل نداء الإسلام فى الآفاق معلناً إلغاء الفروق، وإلغاء الطّبقات، وإلغاء كلّ أنواع التّمايز بين أبناء الجنس البشرىّ. ولأجل تحقيق هذه الشّعارات أعلن أحكاماً سياسيّه واحده، وأحكاماً جنائيّه واحده واجتماعيه واحده يخضع لها كلُّ إنسان دون تمييز على أساس الطّبقه أو الجاه أو المال أو اللون أو الجنس أو القبيله، فإذا سَرَقَ أعلى الناس جاهاً أو أكثرهم مالاً أو أعزّهم قبيلهً، فإنّ حكم قطع اليد ينطبق عليه كما ينطبق على أقلّ الناس حظاً من المال أو الجاه، كما يقف إمامُ الأُمّه وقائدها للترافع أمام القضاء الإسلامىّ إلى جانب أمهٍ حبشيّه.

وقد تجلّى ذلك على لسان خاتم الرُّسل محمد (صلى الله عليه وآله) حيث يقول موضّحاً حدود العداله الإسلاميه : «لو سرقت فاطمهُ بنت محمد لقطعتُ يدها».

وعلى ضوء هذا المفهوم الرّصين للعدل الإسلامى تحقّق أروع إخاء فى تاريخ البشريّه بين شتّى الأجناس ومختلف الطّبقات، حيث كان المجتمع الإسلامى يحتضن البدوىّ الفقير إلى جانب المكىّ المتموّل، ويحتضن الفارسىّ إلى جانب العربىّ، ويحتضن الرومىّ كما يحتضن الحبشىّ.

وحين تتحقّق العداله بين المجموعه البشريّه على هذا الأساس تدرأ الأخطار التى تتصدّع المجتمعات بوقوعها، وتختفى كلُّ اشباح الفرقه والعصيان والتصدُّع الإجتماعى والثّورات والتّكتُّلات الجانبيه.

وما الثّورات العسكريّه والرّجات السياسيّه والإضطرابات الإجتماعيّه التى

[صفحه ۱۶۲]

ترزح المجتمعات تحت وطأتها اليوم إلا حصيلهً لفقدان عنصر العداله فى الحضارات التى تنظم حياه الأفراد والمجتمعات اليوم .

وحين يملك عنصر العدل هذه الفاعليّه فى خلق المجتمع المتراصّ المتوادد، فقد انكشفت لنا الغايه التى من أجلها أعلنت الزّهراء (عليها السلام) كون العدل تنسيقاً للقلوب.

أجل، إنّ العدل تنسيقٌ للقلوب، لأنّه السبيل الأوحد الذى

يجد الإنسان فيه كرامته وقيمته إزاء غيره من الناس. وحين يعلم الإنسان أنّ فى الواقع قوّةً تتمثّل بعنصر العدل تحفظ له كيانه وحقوقه بين الآخرين، كان حريّاً بهذا الإنسان أن ينحاز إلى هذا العدل الذى حفظ حقّه وقيمته دون أن يبحث فى وسائل العصيان أو التمرُّد أو التكتُّل الجانبىّ، لأنّ هذه الأمور لا تقوم فى واقع الحياه الإنسانيه ما لم يختفِ عنصر العدل فى الواقع الإنسانى مما يضطر الإنسان لنفض غبار الذُل والظُّلم بأساليب تختفى فيها لغه التفاهم والرّحمه، الأمر الذى يفرّق الجماعات ويوهن الأُمم ويقوّض الدّول.

[صفحه ۱۶۳]

و طاعتنا نظاما للمله و امامتنا امانا من الفرقه

وهنا تُبرز الزهراء (عليها السلام) مفهوماً إسلاميّاً، ما اختلفت الاُمّه الإسلاميه فى شىء كاختلافها فيه، ذلك: هو المفهوم السياسىّ الإسلامىُّ الذى يبتنى على أساسه الكيان الدُّولى والإدارىّ لهذه الأمّه.

ومع الإيجاز الذى سلكته الزّهراء (عليها السلام) فى تبيان معالم الرساله الإسلاميه، إلّا أنّها قد أبرزت هذا المفهوم بجانبيه: التشريعىّ والتطبيقىّ، لأنّ المفهوم السياسىّ كما هو معلوم يمتلك السُّلطه التى تموّنه بالتّشريع والأحكام التى تستند الدوله عليها فى فعالياتها، كما أنّ المفهوم السياسىّ أيضاً يمتلك إلى جانب ذلك القوّه الفاعليّه التى تتولّى مهمّه التنفيذ لعنصر التشريع.

وقد عبّرت الزهراء (عليها السلام) عن العنصر الأول عنصر التّشريع بالفقره الأولى من عبارتها: «وطاعتنا نظاماً للملّه».

حيث أعلنت: أنّ طاعه أهل البيت عليهم السلام سيحفظ الشّرع المقدس من كلّ اختلاف أو تصدُّع، وسيسير على نسقٍ واحد، بعيداً عن الآراء والظنون المرتجله التى تبعد الشرع عن حقيقته.

وهنا تبرز عظمه الزهراء (عليها السلام) حتى فى حديثها المسترسل حيث تقول: «وطاعتنا» فهى لم تقل: محبّتنا أو مودّتنا أو حبُّنا، وإنّما أعطت هذا

المفهوم جانبه الثابت غير الخاضع للجدل والتأويل، إذ أنّها لو استعملت لفظه: المودّه أو المحبّه، لأمكن صرف اللفظ هذا إلى غير معناه، لقيل مثلاً محبه أهل البيت واجبه ولكن لا يعنى عدم جواز اتّباع غيرهم والخضوع له سياسياً أو إداريّاً. والزهراء حين تعلن أنّ طاعه أهل البيت على الصّعيد التّشريعيّ أمر فرضه الله سبحانه كما فرض الإيمان والصلاه إنّما تقرّر بذلك حقيقه منطقيّه ثابته نطق الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بها وأكدّتها عشرات المواقف بشهاده كبّار الصحابه والتابعين.

وقد اتخذ ذلك الطّابع الإلزامى الصّارم على لسان الرسول القائد يوم أعلن أمام الاُلوف المحتشده وبعد عودته من حجّه الوداع إمامه عليٍّ (عليه السلام) بقوله: «من كنتُ مولاه، فهذا عليٌّ مولاه...».

[صفحه ۱۶۴]

ومهما يحاول بعض الكُتّاب والباحثين فى صرف لفظ هذا الحديث عن معناهُ الحقيقىّ، فإنّهم غير قادرين مهما أُوتوا من قوّه استدلاليّه على إبراز مفهوم غير مفهوم الطّاعه والإنقياد أو يزيغون عن الحق.

وآخر ما اجتمعت عليه كلمه هؤلاء الباحثين هو القول بأنّ الحديث أراد مجرّد المحبّه والعطف لا غير. ولكنّنا مع استغرابنا لهذه التآويل نقول: إنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل المؤمنين إخوه، وقد جعلهم نفساً واحده كقوله تعالى: «إنّما المؤمنون إخوه» «ولا تلمزوا أنفسكم...».

فاذا كان الله سبحانه قد قرّر هذا المفهوم التشريعىّ الثابت فى خلق الأُمّه المتحابّه المتراصّه، فما معنى استيقاف الرسول (صلى الله عليه وآله) لتلك الجموع الإسلاميّه الغفيره فى غدير خم ليقول لها: من كنت محبوباً عنده فليحبّ عليّاً [۷۶] .

ألم يكن هذا القول عبثاً ما دام القرآن والرّسول قد قرّرا سابقاً مبدأ الأُخوه الذى يؤلّف مفهوماً

أوسع من المحبّه، بل إنّ مبدأ الأخوه إذا تمكن فى النفوس البشريّه، منحها أعظم تيّار عاطفيٍّ من المحبّه والوداد.

وثّمه نقطه أُخرى يجدر أن نشير إليها، تلك: هى أنّ الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) قد أعلن وجوب طاعه أهل البيت (عليهم السلام) وعدم التمذهب بمذهب غيرهم فى مئات المواقف وقد رواها الخاص والعام وفى طليعتها قوله (صلى الله عليه وآله): «إنى تركتُ فيكم: ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى، كتاب الله حبل ممدودٌ من السّماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما...». وقوله (صلى الله عليه وآله): «ألا إنّ مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينه نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق...».

وحين يعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك، فإنه يعلنه بدافع الحرص على المصلحه الإسلاميّه العليا لكى تبقى هذه الأُمّه «خير أُمّه أُخرجت للناس» وهذا ما دفع الزهراء لتلعن بأنّ طاعه أهل البيت «نظاماً للملّه».

أجل، إنّها حفظ للشريعه، وتنسيق لأحكامها، وصون لها من الظُّنون والتخمينات والآراء والتّمذهب على حسابها، أجل لو قُدّر لهذه الأُمّه أن تسلك

[صفحه ۱۶۵]

درب أهل البيت (عليهم السلام) فى معرفه أحكامها واستلهام معرفتها، لما وجدنا للتّمذهب سبيلاً ولا للإختلاف فى الفتيا والأحكام مجالاً فى قاموس حياتنا، ولكنّها ويا للأسف الشّديد جنايه الأجداد قد جنى ثمراتها الأحفاد.

ثم تكشف الزهراء (عليها السلام) الشّطر الثّانى من المفهوم السّياسى فى الإسلام، فتقول:

«وإمامتنا أماناً من الفرقه».

وإذا كانت الزهراء قد قصدت الجانب التشريعى من المسأله الإداريه لشؤون الأُمّه فى العباره الأُولى «وطاعتنا نظاماً للملّه»، فإنّها ترسم الآن الشقّ الثانى من

الموضوع ذاته ، فتعلن كون إمامه أهل البيت (عليهم السلام) وقيادتهم لهذه الأمّه مفروضاً من الله سبحانه كسائر الواجبات، ولكنّ علّه هذا الفرض الجديد تتجلّى فى تخليص الأُمّه من شبح التّمزق والتخرب والإنقسامات المصلحيّه، لأنّ إقصاء أهل البيت (عليهم السلام) وهم معدن الحكمه وخريجو مدرسه الوحى عن مركزهم القيادىّ يجعل من الممكن قيام صراع سياسىّ على الحكم والإداره، لأنّ سائر الناس بعد أهل البيت يرون أنفسهم جميعاً أهلًا لقياده الأُمّه. أمّا إذا تولّى أهل البيت هذا المقام الرّفيع فإنّ أحداً من الناس غير قادر على بلوغ مقامهم الذى بوّأهم الله سبحانه فيه من معرفه تامه لمعالم الشّريعه الإسلاميه أو من عصمه نفسيّه تحفظهم من كلّ شطط أو خطأ فى أحكامهم وقراراتهم ومن كلّ إثم فى سلوكهم وفعالياتهم وإذا كان لأهل البيت (عليهم السلام) هذا المقام الرفيع فى الأُمّه الإسلاميه، أصبح بمقدورهم أن يقودوا الأُمّه الإسلاميّه الى شاطىء السّعاده الذى هيّأهُ الله سبحانه لهذه الأُمّه الكريمه، وإذن فإن الزهراء (عليها السلام) وهى غرس النبوّه قد ضربت على الوتر الحسّاس من المسأله حين تعلن: أنّ إمامه أهل البيت (عليهم السلام) ابتعاد عن الفرقه والإختلاف على الصعيد السياسى والإجتماعى.

[صفحه ۱۶۶]

والجهاد عزا للاسلام و ذلا لاهل الكفر والنفاق

والجهاد عمليّه تحريريّه: يتولّاها المعسكر الإسلامى لتخليص الإنسانيّه من السّيطره الجاهليّه بشتّى أنواعها ومستوياتها.

وهذه العمليّه التحريريّه تجرى فى أعلى المستويات، حيث تعبّأ فيها قوى الإيمان الماديه والفكريه والرُّوحيه لإنجاح هذه العمليّه. وغالبا ما يبرز فيها عنصر القوّه العسكريّه لإحراز النّصر وتحقيق العمليّه التحريريه الكبرى، وإحراز النّصر هذا ليس نصرا لمعسكر الإيمان فحسب بل هو فى الحقيقه نصرٌ لمن يعيش تحت السّيطره الجاهليّه من

أبناء النوع الإنسانی.

والجهاد الی جانب معطیاته التبشیریه والتوسّعیه لعدد الواقفین تحت رایه الله تعالی، الجهاد إلی جانب هذه المعطیات، فرض عبادی تتولّاه الأُمه الإسلامیه، استجابهً لنداء الإسلام المفروض علیها، لا یجوز ان تتقاعد عنه بأیّ حال من الأحوال اللهم إلّا إذا أصیبت بوهن فکریّ تصبح معه غیر قادره علی فهم فریضه الجهاد وحدودها ومتطلّباتها فحینئذٍ والعیاذ بالله تتجاهل أو تجهل هذا الفرض المقدّس فتنسحب عن مسؤولیاتها فی التأریخ البشریّ.

وربّما تتعرّض لغزو جاهلیّ أهوج یفقدها حتی اصالتها وطابعها کما هی علیه الیوم .

والزهراء (علیها السلام) حین تعکس لنا صورهً حیّه عن فریضه الجهاد، إنّما تعکسها لهذه المعطیات الکبیره التی تهبها لتاریخ الأُمّه المجیده. ولکن الزّهراء (علیها السلام) حین تستقریء لنا الغایه التی شرع الجهاد من أجلها تضع أمام الأجیال نقطتین هامّتین تکشف عن طریقهما الحقیقه التی شرع الجهاد من أجلها بأقصر وأفضل السُّبل، فهی مع شدّه إیجازها لکنّها قد کشفت حدود فلسفه الجهاد.

فالجهاد فی نظر الزهراء یحقّق النّصر المؤزر للرساله الإسلامیه أولاً ویکسبها العزّه والظهور علی کل المناهج الجاهلیه المعوجّه ویهزم قوی الضّلال وینکس رایتها السوداء لتحلّ محلها رایه التوحید الناصعه التی تحتضنا القلوب وتتغنّی بها الافواه.

[صفحه ۱۶۷]

وإلی جانب هذه النقطه الإیجابیّه یتحقق مکسب آخر، ولکنّه ذو وجهین حیث یتمخّض عن الجهاد إذلال المعسکر الجاهلیّ وتوهین مکائده خارج الدیار الإسلامیه کما یتمخّض عن هذا الجهاد المقدّس صفعه شدیده لأهل النّفاق الذین یؤلّفون حزباً لتظاهر مطایاه باعتناق المبدأ الإسلامی، ولکنّهم یخفون التحزُّب لغیره من الحضارات الجاهلیّه، وهم یتربّصون بالمسلمین الدّوائر وقد یتّصلون بأسیادهم فی المعسکر اللا إسلامی، معلنین أنّهم

معهم، وسيكونون أداهً تخريبيه فى داخل المعسكر الإسلامىّ، ولكنّ هذه الفئه القلقه تقف على شرفه لترى نتائج المعركه بين الإيمان والضّلال، وما أن تعلن الأنباء انتصار معسكر الإيمان العتيد على خصومه إلا وظهرت سيماء الذّله والمسكنه على أهل النفاق وخابت آمالهم وتمنّياتهم وخسروا الوعود التى وعدهم ساداتهم بها، كلُّ ذلك بفضل المسؤوليه العظيمه التى يتحمل الجهاد تبعاتها فى إذلال أعداء الإسلام ومعسكره العتيد.

وهذه الميزه التى يتجلّى بها الجهاد هى التى أملت على الزّهراء (عليها السلام) لتكشف النقاب عن الغايه التى شرع من أجلها، فهو على حدّ تعبيرها قد جعله الله عزاً للإسلام، وذلاً لأهل الكفر والنّفاق.

والصبر معونه على استيجاب الاجر

وتكشف لنا الزهراء (عليها السلام) حقيقه كبرى تتجسّد على يديها كلّ الآمال، وكلُّ الأهداف التى رسمتها الرساله الإسلاميه لهذا الإنسان تلك الحقيقه هى: الإراده والإقدام على تحقيق متطلّبات الشرع، فبغير الإراده والصّبر فى العمل لا يمكن لإنسان أن يحقّق مطالب الرساله الإسلاميه. إذاً، فالصّبر فى منطق الرساله : الجسر المعقود بين الواقع النّظرىّ للشّريعه والواقع العملى لها، حيث تتجسّد الأفكار على يديه واقعاً محسوساً يبرز فى فكر الفرد وسلوكه وكافه ألوان نشاطه، وقد يصبح الأمر من القضايا البديهيّه المسلم بها إذا قلنا: أنّ الصبر المرادف للإقدام ومواصله العمل والإستمرار فى بذل الجهد من أجل تطبيق معالم الشّريعه الإسلاميه قد جعله الإسلام على لسان دستوره الخالد ركناً أساسيّاً من أركان المجتمع الذى يقف تحت رايه التّوحيد المقدّسه كما جاء ذلك فى قوله

[صفحه ۱۶۸]

سبحانه: «والعصر إنّ الانسان لفى خسر الاّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر...».

والصبر فى منطق الحضاره الإسلاميه يلتزم جانبين فى حياه المجتمع المسلم

والفرد المسلم، فهو صبر على الطاعه، وصبر على المعصيه.

ولما كان الإسـلام أساساً لا ينهض إلاّ على هـذين المفهومين الكبيرين فى تحديد معالم تشـريعه، إذاً، فقد أصـبح للصّبر بشـطريه الإيجابى والسلبىّ من واقع الشّريعه الإسلاميه عظيم الأثر فى تحقيق أهداف الرساله كعامل مساعد أو كعنصر يدخل فى إطار كلّ الفعّاليّات التى ينهض الفرد أو المجتمع المسلم بأعبائها.

وحين يملك الصّبر هذا المقام الرّفيع فى التّشـريع الإسـلامى، فقد أصـبحنا أكثر إحاطه بالغايه التى دفعت الزهراء (عليها السـلام) لتعطى هذا المفهوم: هذا الجانب الكبير من الإهتمام، حيث ضـربت على الوتر الحسّاس من المسأله بإعلانها: أنّ الصّبر معونه على استيجاب الأجر، أجل فهو عنصر مساعد فعّال يجعل المرء المسلم أكثر قدره على كسب الأجر والرّضوان.

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مصلحه للعامه

الأمـر بـالمعروف والنّهى عن المنكر عمليّه كـبيره تحمـل فـاعليّه ضـخمه فى إصـلاح كـلّ الإنحرافـات التى يتعرّض لهـا المجتمع الإسلامى عن معين الرّساله الإلهيه.

وهو على هذا التقدير عمليّه علاجيّه تنمحى على أساسها كلُّ الآثار المرضيه التى تصيب جسم الأُمه الإسلاميه بمرور الأزمان، لأنّ الأمّه الإسـلاميه ليست بـدعاً من الأمر، فهى أُمّه كبقيه الأُمم: ترتفع وتنخفض تنهض وتهجع، تتحرّك وتسكت، ولمّا كانت هـذه الأُـمّه: هى «الأُـمّه الوسـط» التى أرادهـا الله سـبحانه أن تكون شاهـده على النّاس متميزه عن غيرها من الأُمم، تحمل هويّه السـماء وتتلمذ على الوحى لتتخرّج أجيالها، وهى تحمل شاره «خير أُمّه أُخرجت للنّاس».

حين يكون لهذه الأُمّه الإسلاميه هذا النصيب الأوفر، الذى خصّها الله سبحانه فيه، فلا بدّ أن يمنحها بلطفه منهجاً تعود على أساسه إلى عزّتها، إن ادلهمّت بها الخطوب واجتمعت عليها المحن، وفعلاً قد امتدّت يد الرّحمه إلى هذه الأُمّه فأتحفتها بمنهج الأمر

بمالعروف والنّهی عن المنکر، لتتّخذ منه قاعدةً

[صفحه ۱۶۹]

عملیّه ضخمه یبتنی علی أساسه مجدها وکرامتها کلّما تکالبت علیها أُمم الجاهلیّه لتزحزحها عن مقامها الذی یوّأها الله فیه.

وبعد أن دلّها الله تعالی علی طریق سؤددها لم یترک أمر سلوکه من قبل الأُمه اختیاریّاً، وإنّما منحه الصّیغه الإلزامیه. والصّیغه الإلزامیه أعلی الدّرجات للتکلیف فی التّشریع الإسلامی.

ولکن هذه السّمه الإلزامیه أُعطیت الصفه الکفائیه. وعلی هذا الأساس أصبح الأمر بالمعروف والنّهی عن المنکر واجباً کفائیاً. إن قام به شخص أو جماعه من الناس سقطت مسؤولیته عن الجماعات الإسلامیه الأُخری، والقیام بمسؤولیه الأمر بالمعروف والنّهی عن المنکر هنا یتطلب تحقیق المطالب التی شرع من أجلها، فلیس المراد بالأمر والمعروف أن یقوم به شخص أو جماعه من الأُمه الإسلامیه، وبمجرّد قیامهم بالعمل ودون تحقیقهم لمتطلّباته، یسقط الواجب عن الأمه بحال، إذ لیس المراد هذا، وإنّما یتحقّق سقوط المسؤولیه عن الأُمه الإسلامیه بتحقیق هذا الشخص أو هذه الفئه کل مستلزمات الأمر بالمعروف والنّهی عن المنکر: من إلغاء للمنکر وإقامه للمعروف.

فلو ظهرت لدی بعض أفراد الأُمه الإسلامیه عاده ممارسه المیسر، وقام جماعه من المسلمین فی إنکار هذا المنکر بالسبل التی رسمها الإسلام: من حکمه وموعظه أو نحوها، فإن استطاع هؤلاء أن یأخذوا علی أیدی هؤلاء المنحرفین، ویمنعوهم عن التمادی فی هذا المنکر، سقطت مسؤولیه الأمر بالمعروف وإنکار المنکر عن الأُمه کلها.

أما لو فشل المخلصون الذی تصدّروا لمهمه الأمر بالمعروف، فی تحقیق هذا الجانب الإصلاحی، وجب علی الأُمه الإسلامیه برمّتها أن تتولّی هذه المهمّه حتی یتحقّق الإصلاح أو تسقط المسؤولیه عن الأُمه بعد قیامها بالمهمّه، وعدم استطاعتها لاستفحال المنکر مثلاً،

أو لوجود ظروف تمنع إنكاره [۷۷] وحينئذٍ ينطبق عليها تعليم السماء القائل «لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها» [۷۸] .

وأما إذا تقاعدت الأُمّه الإسلاميه عن تحقيق مطالب الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر بحجه أنّ المسؤول عن ذلك هم العلماء أو الخطباء أو غير ذلك، فقد أصبحت مأثومه برمّتها، سيّما وأنّها لا تملك دليلاً على هذا التّبرير الفارغ، وأنّى لها بالدّليل الذى يؤكد لها: أنّ العلماء أو الخطباء أو غير ذلك هم المسؤولون فقط عن هذه المهمّه الإصلاحيه الكبرى، بل ما ذنب هذه الفئه المخلصه لكى تتحمّل كلّ مشقّه فى سبيل تحقيق شعار الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر إذا كانت غير مكلّفه تكليفاً شرعيّاً فى كتاب أو سنّه؟. والأدلّه الشرعيّه التى وردت فى الكتاب والسنّه تدلُّ دلاله واضحه على أنّ هذه المسؤوليّه مسؤوليّه الأمر بالمعروف مكلّفه بها كلُّ الجماعات التى تحمل شاره التبعيه لرساله محمد (صلى الله عليه وآله)، فالقرآن الكريم يعلن: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...» [۷۹] .

وقوله تعالى «كنتم خيرَ أُمّهٍ أُخرجَت للنّاس تأمرونَ بالمعروف، وتنهونَ عن المنكر...» [۸۰] .

وهذا يدلّ على أنّ صفه الأمر بالمعروف صفه ملازمه لمعسكر الإيمان، وكذلك إنكار المنكر، رجاله ونسائه لا تنفكّ عنهم بأى حال من الأحوال.

كما أنّ السُّنه الشّريفه تدل على هذه الحقيقه لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «ما زال الناسُ بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر».

وقد ورد كذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: «لا تتركوا الأمرَ بالمعروف والنّهى عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم ثم تدعون، فلا يستجاب لكم...».

وهذا النّداء موجّهٌ لجميع أفراد

الأمه دون استثناء أو تخصيص، ولم يول التشريع الإسلامی هذه العملیه عملیه الأمر بالمعروف هذه العنایه إلّا لأنه سیاج متین وإطار حدیدی یحفظ المجتمع من کل أدران الجاهلیّه التی ترفض منهج الله سبحانه وتقصیه عن واقع الإنسان فهو مصلحه لطبقات الأُمه کافّه، وکیف لا

[صفحه ۱۷۱]

یکون کذلک، وهو الذی: تقام به الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المکاسب، وتمنع المظالم، وتعمّر الأرض وینتصف للمظلوم من الظالم، ولا یزال النّاس بخیر ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنکر، وتعاونوا علی البرّ، فاذا لم یفعلوا ذلک نزعت منهم البرکات وسلّط بعضهم علی بعض، ولم یکن لهم ناصر فی الأرض ولا فی السّماء [۸۱] .

وإذا کانت هذه المهام الکبار من منع للمظالم واعمار الأرض والعداله بین الناس والضرب علی أیدی الظلمه من التلاعب بمقدّرات الأُمه وإقامه للفرائض وإحلال للمکاسب.

اذا کان الأمر بالمعروف یتحمّل هذه المسؤولیه الجسیمه فی إنقاذ المجتمع وإصلاح أوده، فقد تجلّت الغایه التی من أجلها أعلنت فاطمه الزهراء (علیها السلام) کونه، مصلحه للعامّه، فهو مصلحه للعامّه؛ لعامّه أبناء الأُمه، به تحفظ حقوقها وتدوم کرامتها ویقوم اعوجاجها، فهو الی جانب کونه تشریعا عبادیا کلّف الله به الإنسان المسلم إلّا أنّ ما یدرّه من أرباح وما یحقق من نتائج إیجابیه وما یوفّره من مصالح، کلُّ ذلک تجنیه الأُمّه الإسلامیه برمّتها، ولهذا الهدف أصبح علی حد تعبیر الزّهراء (علیها السلام) مصلحهً للعامه یتفیئون ظلاله ویرتفعون علی أساسه إلی مستوی الکرامه والعزّه مهما تراکمت المحن وادلهمّت الخطوب

و بر الوالدین وقایه من السخط

وهنا تلتفت الزهراء (علیها السلام) إلی الخلیّه الأُولی التی ینشأ منها المجتمع الإنسانی، هذه الخلیه: هی الأُسره، ولا تتناول الزهراء الأسره برمّتها، وإنّما تتناول

العمود الفقریّ والأساس الـذی تسـتند علیه فی بناء کیانها، فتناولت البرّ بالوالـدین الأب والأم، لما لهما من فاعلیّه ضـخمه فی بناء الکیـان الإجتمـاعی، والوالـدان وإن اختلفـا فی عملهمـا فی إطـار الأُسـره إلاّ ـ أنّ هنـاک تمازجاً عضویاً بین عملهما البنّاء، فالوالد یتناول البیت من الخارج فیکدح ویثابر لکسب الرّزق وإدخال السـرور علی أُسـرته، والأُم تتناول البیت من الدّاخل بحکم ترکیبها الفسیولوجیّ والنفسیّ

[صفحه ۱۷۲]

والروُّحیّ الذی وفرّتها مسؤولیّه تناول البیت من داخله، فهی تنجب الأطفال وتتولّی رعایتهم وتسـهر لمصـلحتهم وتدبیر البیت من الدّاخل لتکمل عمل الوالد الخارجیّ.

وحین یکون عمل الوالدین هذا شأنه علی مرّ الأجیال والعصور، فلا بد للإسلام وهو منهج الله الخالد أن یقیّم عملهما هذا، فإذا به یرفعهما إلی أعلی الآفاق: «وقضی ربُّک ألا تعبدوا إلاّ إیاه وبالوالدین إحسانا إمّا یبلغنّ عندکَ الکبر أحدُهما أو کلاهما فلا تقل لهما أُفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً کریماً...» [۸۲] .

فیشترط برهما ورعایتهما وعدم إیذائهما بأدنی الأُمور حتی بالإشاره أو التضجر.

وحین یقرّر الإسـلام وجوب رعایه الوالدین، فقد أصـبح عقوقهما أمراً محظوراً یستلزم غضب الله وسخطه، ولهذا السّر عینه راحت الصّـِدّیقه الزّهراء (علیهـا السـلام) ترسم هـذه الحقیقه حین أعلنت أنّ برّ الوالـدین یتحقّق علی یـدیه الإبتعـاد عن مغبّه سـخط الله وإغضابه الذی یجر إلی الدّمار والبوار.

وصله الارحام منساه فی العمر و منماه فی العدد

وهنا تتّسع الـدّائره لتکون أکثر شـمولاً وأوسع مداراً حیث تلتفت الزهراء (علیها السـلام) إلی أرحام الإنسان وأقربائه لتقرر مفهوماً اجتماعیـاً رائعاً یقضـی بالتّکاتف والتّکامل الإجتماعی والتوادد، لیکون عوناً علی تحقیق المجتمع المتراص الموحّـِد الـذی یصـبو الإسلام إلی تحقیقه، وهل فی الأرض من إنسان لا ینتمی إلی قوم أو عشیره؟ فإذا توثّقت

عرى الصّله بين الأرحام تحقّقت المعجزه الإجتماعيه الكبرى فى الواقع الإنسانى، لأنّ النّاس كلّهم فى واقع الأمل أرحام ينتهون إلى أصل واحد وأب واحد، والزهراء (عليها السلام) حين تعلن هذا المفهوم الإسلامى فإنّما تستقيه من منبعه

[صفحه ۱۷۳]

الأصيل: كتاب الله العزيز، حيث يعلن هذا المفهوم الشامخ بقوله: «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً...» [۸۳] .

ولكنّ الزهراء (عليها السلام) لا تريد أن تستعرض مفهوم صِله الأرحام فحسب وإنّما شاءت من وراء ذلك تبيان فلسفه تشريعه، فأعلنت أنّه «منسأه فى العمر، ومنسأه فى العدد».

حيث رسمت واقعاً غيبيّاً واجتماعياً فى آن واحد، فأوضحت أنّ المكافأه التى يصيبها الإنسان المسلم الذى يرفع شعار صِله الأرحام فى حياته، هى زياده له فى عمره كجائزه له من خالق هذا الوجود سبحانه.

وهذا ما قرّره الإمام الصّادق (عليه السلام) بقوله: «ما نعلم شيئاً يزيد فى العمر إلّا صِله الرحم» [۸۴] .

ثم تعلن الزّهراء (عليها السلام) المنقبه الثانيه التى تتحقّق فى ظلال صله الأرحام فتقول: «ومنماةً فى العدد».

ولعلّ الزياده فى العدد هنا تتأكّد من طريقين: إمّا عن طريق غيبىّ يتُّم بإفاضه البركه والزياده فى النّسل من الله سبحانه، أو عن طريق التّكاتف وجمع الكلمه ورصّ الصُّفوف الذى يتُّم عند الإلتزام بمبدأ صِله الأرحام الشامخ.

والقصاص حقنا للدماء

وهنا ترسم الزهراء (عليها السلام) حقيقةً كبرى من حقائق التّشريع الإسلامى الرّصين، تلك: هى مفهوم القصاص، فالرساله الإسلاميه وإن كانت فى أساسها ديناً يربّى النّفس ويصقل الوجدان ويقوّم السُّلوك حتى يحمل إنسانه على تطبيق متطلّبات الرساله بصوره تلقائيه إلا أنّه لا يقف عند هذا الحدّ، لأنّه يعلم أنّ المجتمع الإنسانى

مهمـا ارتفع إلى مسـتوى المثـاليّه والنبـل، إلاّ أنّه لا يخلو من طفيليات يهمُّها التّلاعب بمقـدّرات الرساله وأتباعها، ولـذا وضع إلى جانب التربيه التى يسبغها على أبنائه رصيداً تشريعياً يمثّل عمليّه علاجيّه لمن يحاول التلاعب بمقدّرات الأُمّه

[صفحه ۱۷۴]

ومبـدئها القويم، وفى طليعه هـذا الرّصـيد التّشـريعى رسم الإسـلام بنود القصـاص التى تفضـى بالمعـاقبه بالمثل، فالأنف بالأنف، والأُذن بالأُذن، والنّفس بالنّفس، وهلّم جرّاً، وهـذا التّشـريع الإسـلامى الرّصـين يكسب المجتمع مناعه فعليه على مواجهه التّلاعب والإعتداء، سواءً أوقع ذلک خطأ أم عمداً.

وحين يضع الإسـلام هذه القاعده فى دسـتوره، فإنّما وصفها حقناً لدماء أبنائه وحفظاً للتّوازن والإستقرار فى مجتمعه، لأنّ الإنسان إذا وجـد نظاماً يكفل له صـدّ الإعتـداء عليه ويأخذ بثأره، فإنّه يلجأ إليه دوماً دون اللجوء لمفهوم الثأر الجاهلى أو الإخلال بالأمن الذى يؤدّى غالباً إلى فقدان الهدوء والطمأنينه وتمزيق الوحده الإجتماعيه وقيام البلبله والصّراع الدائم.

وهكذا أفصـحت الزهراء (عليها السـلام) عن فلسـفه، تشـريع حكم القصاص، فعبّرت عنه بأنّه حقنٌ للدّماء فهو لعمر الحق الوسـيله الوحيـده التى تُحقن الـدّماء على أساسـها وتصـان حرمتهـا، أمّا إذا تُرک الحبل على الغارب للمعتـدين دون الإقتصاص منهم فقد وقعت الكارثه، وقد فسّر هذا السّر كتاب الله العزيز بقوله: «ولكم فى القصاص حياهٌ يا أُولى الألباب» [۸۵] .

والوفاء بالنذر تعريضا للمغفره

وهنا بادرهٌ لطيفه تواجهنا بها الزّهراء (عليها السـلام)، وهى تقطع أشواطاً بعيـدهً فى حـديثها عن معالم الرساله الإسـلاميه المقدسه، فالنّذر فى حقيقته لم يكن فرضاً كلّفت الرساله الإسلاميه أتباعها بإتيانه كبقيّه الفرائض [۸۶] ، وإنّما هو عمل يباح للمرء تعاطيه أو ممارسته، والنّذرُ فى واقعه لا يباح إلاّ إذا كان لله سبحانه، وسوى ذلک

فإنّه محظور على المرء ارتياده.

وحين يمارس الإنسان المسلم هذا العمل، فإنّما يعنى أنّه قد قيّد نفسه بنفسه بأداء فريضه لم يفرضها الله سبحانه، لأنّه هو نفسه قد أعلن طواعيّه هذا اللون من السُّلوك دون تكليف من السماء.

[صفحه ۱۷۵]

وحين يكون النّذر بمثابه سلوك يكلّف المرء به نفسه تقرُّباً إلى الله، فإنّ الوفاء به كوعد يقطعه الإنسان على نفسه يحقّق للإنسان ثواب الله ورضوانه، وهذه الحقيقه عينها قد حملت الزّهراء (عليها السلام) على إعلان فلسفه الوفاء بالنذر وأهدافه بقولها: «إنّه تعريض للمغفره والرّضوان».

و توفيه المكائيل والموازين تغييرا للبخسه

وهنا التفاته حكيمه من الزهراء (عليها السلام) حين تنتقل لمفهوم اقتصادى كبير لا يستغنى عنه مجتمعٌ من المجتمعات إطلاقاً وهو يتعلّق بالبيع والشّراء والمكيال والميزان، لأنّ المعاملات الإقتصاديه فى المجتمعات الإنسانيه لا تخرج عن هذه الإطارات الثابته.

وحين تملك المكاييل والموازين اليد الطّولى فى توجيه المعاملات الإقتصاديه المهمّه فى المجتمعات الإنسانيه، فقد أصبح لزاماً عليها أن تهتم بموازينها حفظاً لاستقامه البيع والشّراء، وابتعاداً عن التّلاعب وابتزاز الأموال والعبث بالمصالح الخاصّه أو العامه. والإسلام الحنيف بوصفه التّشريع الإلهى القويم الذى فهرس الحياه الإنسانيّه برمّتها، قد التفت إلى هذه الواقعه وأعطى رأيه الحاسم فيها، فأعلن على لسان دستوره الخالد تهديداته وإنذاراته للمتلاعبين بالأوزان والمكاييل بقوله: «ويل للمطفّفين - الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفونَ - وإذا كالوهم أو وزَنوهم يُخسِرون» [۸۷] .

كما أصدر تعليماته بضروره الإلتزام بالعدل بالكيل والوزن بقوله تعالى «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» [۸۸] .

وحين يملك مفهوم توفيه المكاييل والموازين هذه القدره الإيجابيه على حفظ التّوازن والعدل فى المجتمع ورفع الحيف والتّلاعب بالأموال عن الناس، فقد أصابت الزهراء (عليها

السـلام) كبـد الحقيقه بهـذا الإعلاـن الرّصـين الـذى أوضـحت فيه فلسـفه تشـريع توفيه المكاييـل والموازين الهادفه إلى تخليص المجتمع من المظالم وابتزاز الأموال.

[صفحه ۱۷۶]

والنهی عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس

واحتساء الخمر عادهٌ جاهليه، أعلن منهج الله سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه وكتبه منع تعاطيها بأىّ شكل من الأشكال، والإسلام وهو الحلقه الخاتمه من حلقات الرّساله الإلهيه المباركه للنّوع الإنسانى قد أعلن هذه الحقيقه، فحمل دسـتوره الخالد بنداً تشـريعيّاً ينص على اعتبار شرب الخمر أمراً محظوراً على النّوع الإنسانى.

وحين يعلن الإسـلام رأيه الحـاسم فى الخمر، فإنّمـا اسـتهدف بـذلك أن يحجب مجتمعه المبـارك عن كـثير من ألوان السُّلوك الشّـاذ الـذى يتمخّض عن احتسـاء الخمر: من ذهـاب للعقل والشُّعور، وانهيار للأعصاب، وذهاب للمال، ووقوع للعـداوه والبغضاء بين جماعه المحتسين للخمر.

والإسـلام وهو منهـج الله سـبحانه ليس فى منطقه أمر محظور سوى مـا يجلب الضّـرر للإنسـان، فرداً كـان أم جمـاعه وسواءً أكان الضرر عقليّاً أم جسميّاً أم اجتماعيّاً، ولما كان الخمر يجرُّ إلى كثير من المشكلات كالعداوه بين الناس أو اذهاب للمال دون مبرر أو غير ذلـك، فقـد حكم الإسـلام بتحريمه تحريمـاً قاطعـاً على لسـان كتابه المجيـد: «... إنّما الخمرُ والميسـرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ مـن عمـل الشّـيطان فـاجتبوه لعلّكم تُفلحـون - إنّمـا يُريـدُ الشـيطان أن يوقـع بينكم العـداوه والبغضـاء فى الخمر والميسر ويصدّكم عن الصّلاه، فهل أنتم مُنتهون» [۸۹] .

فتحريمه كان بسبب ما يجرُّه من قبائح الأعمال التى تمثّل سلوكاً شيطانيّاً لا يقرُّه منطق منهج الله تعالى.

والزهراء (عليها السـلام) ترسم بهـذه العباره الرائعه فلسـفه تحريم الخمر حين تقول: إنّ تحريمه بمثابه تنزيه وتخليص للإنسان عن كلّ عواقبه الوخيمه التى تمثّل نشاطاً جاهليّاً وعملاً

شیطانیّاً نجساً لا یرتضیه منطق الإسلام الحنیف الذی یتماشی مع الفطره، ویوائم المصلحه.

[صفحه ۱۷۷]

واجتناب القذف حجابا عن اللعنه و ترک السرقه ایجابا للعفه

مهما ارتفعت المجتمعات البشریّه إلی آفاق المثالیه، فإنّها لا یمکن أن تخلو من نفرٍ لم یبلغوا درجه الإستقامه بعد، وقد یبدو داء الإعوجاج فی فکرهم أو فی سلوکهم أو فی عواطفهم فیصبحوا علی هذا الأساس عضواً مغایراً فی طابعه للطّابع الاصیل فی المجتمع، وقد ینعکس هذا الإعوجاج فی کثیر من ألوان نشاطهم فی المجتمع وبأنماطٍ مختلفه وفی مجالات متباینه.

والمجتمع الإسلامی وإن کان هو المجتمع الوحید الذی یقف تحت رایه خالق الوجود سبحانه إلا أنّه لیس بدعاً من الأمر لأنّه لا یخلو من نفرٍ لم تنضج العقیده فی نفوسهم بعد، ولم تصقل عقلیّاتهم ونفسیّاتهم بالمفاهیم الإسلامیه المقدّسه فیندفعوا بعد ذلک لیزاولوا نشاطاً مخالفاً لما یرسمه الإسلام الحنیف من تعلیماتٍ وأحکام.

ومن هذه النشاطات التی شدّد الإسلام علی محاربتها قذف المحصنات والسّرقه، لأنّ هذین النّشاطین کلیهما اعتداءٌ علی الآخرین، فالأول اعتداء علی عرض، والآخر اعتداءٌ علی الملکیه خاصّه کانت أم عامّه .

وقذف المحصنات هو تهمه یثیرها نفر من المغرضین حول بعض المسلمات المحصنات إحداثاً للبلبله وإیقاعاً للفتنه. وقد منع الإسلام هذه المفسده وشدّد علی مرتکبیها وجعل اللعنه نصیبهم.

وعلی هذا الأساس، فإنّ التخلُّص من غضب الله ولعنته یتحقق باجتناب القذف، وهذه الحقیقه قد أشارت لها الزّهراء (علیها السلام) فی هذا المقطع القصیر من خطبتها بقولها: «واجتناب القذف حجاباً عن اللعنه».

ولعلّ الزّهراء أرادت بذلک الإشاره إلی قول الله تعالی بهذا الشأن الذی ورد فی کتابه العزیز: «إنّ الذین یرمون المحصنات الغافلات المؤمناتِ لعنوا فی الدُّنیا والآخره ولهم عذاب عظیم...» [۹۰] .

[صفحه ۱۷۸]

فباجتناب القذف ورمی المحصنات تحجب اللعنه وینجلّی سخط الله سبحانه.

والسّرقه عملیّه لابتزاز أموال الغیر بصوره سرّیه أو بطریقه القوّه، وقد حکم الإسلام الحنیف بإبطال هذه الجریمه الإجتماعیه ومحو شبحها من قاموس الحیاه الإنسانیه؛ وشدّد علی مرتکبیها بقوله: «والسّارق والسّارقه فاقطعوا أیدیهما جزاءاً بما کسبا نکالاً من الله والله عزیزٌ حکیم...» [۹۱] .

وحین یعلن الإسلام هذا التّشریع الصّارم بحقّ السّارق بصفته معتدیاً علی أموال النّاس بغیر حقٍّ، فإنّما أراد أن یجعل من مجتمعه مثلاً رائعاً للعفّه والطّهاره التی ینبغی أن تطبع حیاه المجتمع الإسلامی المبارک.

وعلی هذا الأساس الرّصین أعلنت الزهراء (علیها السلام) فلسفه منع السّرقه وعدم مزاولتها کسلوک شاذ، بکونها إیجاباً للعفّه والنبل والطّهاره والخلق الإسلامی الکریم. وهذا ما تجلّی بقولها: «وترک السّرقه إیجاباً للعفّه».

[صفحه ۱۸۱]

نهایه المطاف

وبعد أن عشنا قلیلاً ـ فی ظلال جزءٍ صغیر من خطبه الزّهراء (علیها السلام) الرّائعه، یطیب لنا أن نثبت هنا الخطبه کاملهً، إتماماً للفائده وإبرازاً لعظمه الزّهراء، فقد خطبت فی الجموع الإسلامیه المحتشده فی مسجد أبیها محمد (صلی الله علیه وآله) قائلهً: [۹۲] .

«الْحَمْدُ للّهِ عَلی ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّکْرُ علی ما أَلْهَمَ، وَالثّناءُ بِما قَدَّم، مِنْ عُمُوم نِعَم ابْتَدَأها، وسُبُوغ آلاءٍ أسْداها [۹۳] ، وَتَمام مِنَنٍ أوْلاها؛ جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عَدَدُها؛ [۹۴] وَنَأی عَنِ الجَزاءِ أمَدها؛ وَتَفاوَتَ عَنِ الإدارک أبَدُها، وَاسْتَدْعَی الشُّکْرَ بِإفْضالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلیَ الْخلائِقِ بِإجْزالِها، وثَنّی بِالنّدبِ إلی أمثَالِها.

وأشْهَدُ أنْ لا ـ إلهَ إلاّ الله وَحدَهُ لا شَرِیکَ لَهُ کَلمَهً جَعَلَ الْإخلاصَ تَأْویلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها؛ وأنارَ فی التَّفَکُّرِ مَعْقُولَها، الْمُمْتَنعُ عَنِ الأبْصارِ رُؤیَتُهُ، وَمِنَ الْألسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأوْهامِ کَیْفِیَّتُهُ، ابْتَدَعَ الْأشیاء لا

مِنْ شَیْءٍ کانَ قَبْلَها، وَأنْشَأها بِلا احْتِذاءِ أمْثِلَهً امْتَثَلَها [۹۵] ، کَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأها بِمَشِیئَتِهِ، مِنْ غَیْرِ حاجَهٍ مِنْهُ إلی تَکْوِینِها، وَلا فائِدَهٍ لَهُ فِی تَصْوِیرِها، إلّا تَثْبِیتاً لِحِکْمَتِهِ، وَتَنْبِیهاً

[صفحه ۱۸۲]

عَلی طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِیَّتِهِ، وَإعزازاً لِدَعْوَتِهِ. ثُمَّ جَعَلَ الثّوابَ عَلی طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلی مَعْصِیَتِهِ ذِیادَهً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وحیاشَهً لَهُمْ إلی جَنَّتِهِ [۹۶] .

وَأشْهَدُ أنَّ أبی مُحَمّداً صَلّی الله عَلَیْهِ وآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أنْ أرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَاهُ، وَاصطَفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ إذِ الْخَلائِقُ بِالغَیْبِ مَکْنُونَهٌ، وَبِسِتْرِ الأهاوِیلِ مَصُونَهٌ، وَبِنِهایَهِ الْقِدَمِ مَقْرُونَهٌ، عِلْماً مِنَ الله بِمایِلِ الأُمُورِ، وَإحاطَهً بِحَوادِثِ الدُّهورِ، وَمعْرِفهً بِمَواقعِ المَقْدُورِ.

إبْتَعَثَهُ الله إتماماً لأمْرِهِ وَعَزِیمَهً عَلی إمْضاءِ حُکْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِیرِ حَتْمِهِ، فَرَأی (صلی الله علیه وآله) الأُمَمَ فِرَقاً فِی أدْیانِها، عُکَّفاً عَلی نِیرانِها، عابِدَهً لِأوْثانِها، مُنْکِرَهً لله مَعَ عِرْفانِها، فَأنارَ اللهُ تَعالی بِأبِی مُحَمّدٍ ظُلَمَها، وَکَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَها [۹۷] ، وَجلّی عَنِ الأبْصارِ غَمَمَها [۹۸] ، وَقامَ فی النّاسِ بِالهِدایَهِ، وأنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوایَهِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمایَهِ، وَهَداهُمْ إلی الدّینِ الْقَویمِ، وَدَعاهُمْ إلیَ الصّراطِ الْمُسْتَقیم.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ اِلَیْهِ قَبْضَهَ رَأفَهٍ وَاختِیارٍ، وَرَغْبَهٍ وَایثارٍ، فَمُحَمّدٌ صَلّی اللهُ عَلَیهِ وَاله عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدُّنیا فی راحَهٍ، قَدْ حُفَّ بِالْملائِکَهِ الْأبْرارِ وَرِضْوانِ الرَّبِّ الْغَفّارِ وَمُجاوَرَهِ الْمَلِکِ الْجَبّارِ، صَلّی الله عَلی أبی: نَبِیِّهِ وَأمِینِهِ عَلی وَحیْهِ، وَخِیَرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَرَضِیِّهِ، وَالسّلامُ عَلَیْهِ وَرَحْمَهُ اللهِ وَبَرَکاتُهُ.

وَأنْتُمْ عِبادَ اللهِ [۹۹] نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْیِهِ، وَحَمَلَهُ دِینِهِ وَوَحیْهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلی أنْفُسِکُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلیَ الأُمَمِ؛ وَبَقِیَّهٌ اسْتَخْلَفَها عَلَیکُمْ: کِتابُ اللهِ النّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضّیاءُ اللاّمِعُ؛ بَیِّنَهٌ بِصائرُه، مُنْکَشِفَهٌ

سَرائِرُهُ، مُتَجَلّيَهُ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَهٌ أشْياعُهُ، قائِدٌ إلی الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلی

[صفحه ۱۸۳]

النّجاهِ اسْتِماعُهُ؛ فِيهِ تِبْيانُ حُجَجِ اللهِ الْمُنَوَّرهِ وَعَزائِمِهِ الْمُفسَّرهِ، وَمَحارِمِهِ الْمُحَذَّرهِ، وَبَيِّناتِهِ الْجالِيَهِ، وَجُمَلِهِ الشّافِيَهِ؛ وَبَراهِينِهِ الْكافِيَه، وَفضائِلِهِ الْمَنْدُوبَهِ، وَرُخَصِهِ الْمَوْهُوبَهِ، وَشَرائِعِهِ الْمكْتُوبَهِ.

فَجَعَلَ اللهُ الْايمانَ، تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصّلاه تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ، وَالزّكاهَ تَزكِيَهً لِلنّفسِ وَنَماءً فی الرِّزْقِ، وَالصيّامَ تثْبِيتاً للإخْلاص، وَالْحجَّ تَشْيِيداً لِلدّين، وَالْعدلَ تَنْسيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً للْمِلّه؛ وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَهِ، وَالْجهادَ عِزّاً لِلْاسْلام وَذُلّاً لأهْلِ الكُفْرِ والنِّفاقِ، وَالصّبْرَ مَعُونَهً عَلَى اسْتِيجاب الاَجْرِ، وَالأمْرَ بِالْمَعْرُفِ والنّهْی عَنِ الْمُنْكَرِ مَصلَحَهً للعامَهِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَهً مِنَ السُّخْطِ، وَصِلَهَ الأرْحامِ مَنسَأهً [۱۰۰] فِی الْعُمْرِ وَمَنْماهً فی الْعَدَدِ، وَالْقصاصَ حقْناً للدِّماءِ، وَالوفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلمَغفِرَهِ، وَتَوْفيَهَ الْمكاييلِ وَالْموازينِ تَغْيِيراً للْبَخْسَهِ، وَالنَّهْیَ عَنِ الخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَعْنَهِ، وَتَرْكَ السَّرِقَهِ إيجاباً لِلعِفَّهِ، وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بِالرُّبُوبيَّهِ «فاتَّقوُا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَأَطِيعُوا اللهَ فِيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّما يَخشَی اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ».

أَيُّها النّاسُ، اعْلَمُوا أَنّی فاطِمَهُ وأَبی محَمّدٌ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءً، ولا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلطاً، وَلا أفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً [۱۰۱] ، «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» فَإنْ تَعْزُوهُ وَتَعْرِفُوهُ، تَجِدُوهُ أَبی دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنَ عَمّی دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمُعْزی إلَيْهِ، فَبَلَّغَ الرِّسالَهَ، صادِعاً بِالنَّذارَهِ [۱۰۲] ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَهِ الْمُشْرِكِينَ [۱۰۳] ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ [۱۰۴] ، آخِذاً بِكَظَمِهِمْ [۱۰۵] ، داعِياً إلی سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَه وَالْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ، يُكَسِّرُ الأَصْنامَ وَيَنْكُتُ الْهامَ [۱۰۶] حَتّی انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبرَ، وَحَتّی تَفَرَّی اللّيْلُ عَنْ

[صفحه ۱۸۴]

صُبْحِهِ [۱۰۷] ، وَأَسْفَرَ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّين، وَخرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ [۱۰۸] وَطاحَ وَشِيظُ النِّفاقِ [۱۰۹] وَانْحَلَّتْ عُقْدَةُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وفُهتُمْ بِكَلمَهِ الإخلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ البيض الخِماصِ [۱۱۰] وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّار [۱۱۱] : مُذْقَهَ الشّارِبِ [۱۱۲] وَنُهْزَهَ الطّامِعِ [۱۱۳] ، وَقُبْسَهَ الْعَجْلانِ [۱۱۴] ، وَمَوْطِیءَ الأقْدام، تَشْرَبُونَ الطَّرَقَ [۱۱۵] ، وَتَقْتاتُونَ القَدَّ [۱۱۶] ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، تَخافُونَ أنْ يتخطّفكُمُ النّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَانْقَذَكُمُ اللهُ بِأبی مُحَمَّدٍ بَعْدَ اللّتَيا وَالتی، وَبَعْدَ أنْ مُنِیَ بِبُهَم الرِّجالِ [۱۱۷] ، وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَهِ أهْلِ الكِتابِ «كُلّما أوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أطْفَأَهَا اللّهُ» أوْ نَجَمَ قَرْنٌ للشّياطِينِ [۱۱۸] ، أوْ فَغَرَتْ فاغِرةٌ [۱۱۹] مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أخاهُ فِی لَهَواتِها [۱۲۰] ، فَلا يَنْكَفِیءُ حَتّی يَطَأَ صِماخَها بأخْمُصِهِ [۱۲۱] ، وَيُخْمِدَ لهبتها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِی ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً فِی أمْرِ اللهِ، قَريباً مِنْ رَسُولِ اللهِ، سَيِّداً فی أولياء اللهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً مُجِدّاً كادِحاً، وَأنْتُمْ فی رَفاهِيَهٍ مِنَ الْعَيش وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ [۱۲۲] ، وَتَتَوَكَّفُونَ الأخْبارَ [۱۲۳] ، وَتَنْكِصُونَ عِنْدَ النِّزالِ [۱۲۴] ، وَتفِرُّونَ مِنَ الْقِتال.

[صفحه ۱۸۵]

فَلَمّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيّهِ دارَ أنْبيائِهِ، وَمَأْوی أصْفِيائِهِ، ظَهَرتْ فِيكُمْ حَسيكَهُ النِّفاقِ [۱۲۵] وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ [۱۲۶] ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ [۱۲۷] ، وَنَبَغَ حامِلُ الآفِلِينَ [۱۲۸] ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِينَ [۱۲۹] ، فَخَطَرَ فِی عَرَصاتِكُمْ [۱۳۰] ، وأطْلَعَ الشّيطانُ رَأسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ [۱۳۱] هاتِفاً بِكُمْ، فألْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتجِيبِينَ، وللغِرَّهِ فِيهِ مُلاحِظِينَ [۱۳۲] .

ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُم خِفافاً، وَأحْمَشَكُمْ فألْفاكُمْ غِضاباً [۱۳۳] فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إبِلِكُمْ [۱۳۴] ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ. هذا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ [۱۳۵] ،

وَالْجُرْحُ لّما يَنْدَمِلُ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرُ؛ امْتِداداً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَهِ «ألا فِي الْفِتْنَهِ سَقَطُوا وَإنَّ جَهَنّمَ لَمُحيطَهٌ بِالْكافِرِينَ».

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأنّى تُؤْفَكُونَ، وَهـذا كِتابُ الله بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ: أُمُورُهُ ظاهِرَهٌ، وأَحْكامُهُ باهِرهٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَهٌ، وَأوامِرُهُ واضِحَهٌ، فَقَدْ خَلّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أرَغْبَهً عَنْهُ تُدْبِرُونَ، أمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ «بِئْسَ لِلظّالِمينَ بَدَلاً، وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ ديناً، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ».

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إلاّ رَيْثَما تَسْكُنُ نَفْرَتُها [۱۳۶] ، وَيَسْلَسُ قِيادُها، ثُمَّ أخَذْتُم تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهيجُونَ مِنْ جَمْرِتِها، وَتَسْتَجيبُونَ لِهِتافِ الشَّيطانِ الْغَوِيّ وَإطفاءِ نُورِ

[صفحه ۱۸۶]

الدّينِ الْجَلِيِّ، وَإهْمَالِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارتِغاء [۱۳۷] وتَمْشُونَ لأهْلِهِ فِى السَّرّاءِ وَالضّرّاءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشى [۱۳۸] .

وَأَنْتُمْ اْلآنَ تَزْعُمُونَ: أَنْ لا إرثَ لِي مِنْ أَبى: «أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيّهِ تَبْغُونَ، وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنُونَ».

أفَلا تَعْلَمُونَ... بَلى قَدْ تَجَلّى لَكُمْ كَالشّمْسِ الضّاحِيَهِ : أنِّي ابْنَتُهُ.

وَيْهاً أَيُّهَا الْمُسلمُونَ، أَأُغْلَبُ عَلى تُرابِ أبِي؟

يا ابْنَ أبِي قُحافَهَ؟!!

أَفِي كِتابِ اللهِ أنْ تَرثَ أباكَ، ولا أرِثَ أَبِي؟

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، إذْ يَقُولُ: «وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ»، وَقالَ فِيما اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيى بْنِ زَكَرِيّا إذْ يَقُولُ: «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً» وَقالَ: «وَأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعض فِي كِتابِ اللهِ»، وَقالَ: «يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أوْلادِكُمْ لِلذّكَرِ مثْلُ حَظِّ اْلأُنْثَيَيْنِ»، وَقالَ: «إنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّهُ لِلوالِدَيْنِ واْلأقْرَبِينَ بِالمَعرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ».

وَزَعَمْتُمْ أنْ لا حَظْوَهَ لِي [۱۳۹] وَلا إرْثَ مِنْ أَبِي وَلا رَحِمَ بَيْنَنا،

أَفَحَصَّكَمُ اللهُ بِآيَهٍ أَخْرَجَ مِنها أبِی؟

أمْ تَقُولُونَ: أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتوارَثانِ؟

أَوَ لَسْتُ أَنا وَأبِی مِنْ أَهْلِ مِلَّهٍ واحدهٍ؟

أَمْ أَنْتُمْ أعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أبی وَابْنِ عَمِّی؟

فَدُوَنَكَها مَخْطُومَهً مَرْحُولَهً، [۱۴۰] تَلْقاك يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ محَمّدٌ، وَالموعِدُ الْقيامَهُ، وَعِنْدَ السّاعَهِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلوُنَ وَلا يَنْفَعُكُمْ إذْ تَنْدِمُوُن :

[صفحه ۱۸۷]

«وَلِكُلِّ نَبأٍ مُسْتَقَرٌّ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ».

يا مَعْشَرَ الْفِتْيهِ وَأَعْضادَ الْمِلَّهِ، وَحَضَنهَ الْإِسْلامِ، [۱۴۱] ما هذِهِ الْغَمِيزَهُ فِی حَقِّی [۱۴۲] وَالسِّنَهُ عَنْ ظُلامتِی. أما كانَ رَسُولُ اللهِ أبِی يَقُولُ: «أَلْمَرءُ يُحْفَظُ فی وُلْدِهِ» سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلان ذا أهالهٍ [۱۴۳] وَلَكُمْ طاقَهٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّهٌ عَلی ما أَطْلِبُ وَأُزاوِلُ، أَتَقُولُونَ: ماتَ مُحَمَّدٌ، فَخَطْبٌ جَلِيلٌ، اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، [۱۴۴] وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ؛ [۱۴۵] وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، [۱۴۶] وَأَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، [۱۴۷] وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُدِيلَتِ الْحُرْمَهُ عِنْدَ مَماتِهِ، [۱۴۸] فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَهُ الْكُبْری وَالْمُصِيبَه الْعُظْمی، الّتی لا مِثْلُها نازِلَهٌ وَلا بائقَهٌ عاجِلَهٌ [۱۴۹] ، أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ فِی مَمْساكُمْ وَمَصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَهً وَإلْحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلّتْ بِأنبياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصلٌ؛ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: «وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ، أَفَانْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أعْقابِكُم، وَمَنْ يَنْقَلبْ عَلی عَقِبَيْهِ، فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزی اللهُ الشّاكِرِينَ».

إيهاً، بَنِی قَيْلَهَ [۱۵۰] أَأُهْظَمُ تُراثَ أَبِی، وَأَنْتُمْ بَمرْأیً وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدیً وَمَجْمَعٍ، تَلْبِسُكُمُ الدَّعْوَهُ، وَتَشْمَلَكُمُ الْخِبْرَهُ وَأَنْتُمْ ذَوُو العَددِ وَالْعِدَّهِ وَالْأَداهِ وَالْقُوَّهِ، وَعِنْدكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّهُ [۱۵۱] ، تُوافِيكُمُ الدّعْوَهُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَهُ فَلا

[صفحه ۱۸۸]

تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْروفُونَ بِالخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالُّنْخَبَهُ الّتى انْتُخِبَتْ، وَالخَيَرهُ الَّتى اخْتِيرَتْ، لَنا أَهْلَ الْبَيْتِ قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الْأُمَمَ وكافَحْتُمُ الْبُهَمَ: فَلا نَبْرَحُ وَتَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ، حَتّى إذا دارَتْ بِنا رَحَى الإِسلامِ، وَدَرَّ حَلْبُ الأَيّامِ؛ وَخضَعَتْ نَعْرَهُ الشِّرْكِ [۱۵۲] وَسَكَنَتْ فَوْرَهُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نِيرانُ الْكُفْرِ، وَهَدَأتْ دَعْوَهُ الْهَرَجِ، وَاسْتَوسَقَ نِظامُ الدِّينِ، فأنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، [۱۵۳] وأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدام [۱۵۴] ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيمانِ [۱۵۵] ، بُؤْساً لِقَوْمٍ «نَكَثُوا إيمانَهُمْ، وَهَمُّوا بإخراجِ الرّسُولِ، وَهُمْ بَدؤُكُمْ أَوّلَ مَرَّهٍ، أَتَخْشَوْنَهُمْ؟ «وَاللّهُ أَحَقَّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ».

ألا وَقَدْ أرى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إلى الْخَفْضِ وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالبسْطِ وَالْقَبْضِ، وَرَكَنْتُمْ إلَى الدَّعَهِ [۱۵۶] وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضَّيقِ بالسَّعَهِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعيْتُمْ [۱۵۷] وَدَسَعْتمْ ما تَسَوَّغْتُمْ [۱۵۸] : «فإنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً، فَإنّ الله لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ».

أَلا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلتُ عَلى مَعْرِفَهٍ مِنِّى، بِالخذْلَهِ الّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَهِ الَّتِى اسْتَشْعَرَتْها قُلوُبُكُمْ: وَلكِنَّها فَيضَهُ النَّفْسِ، وَبَثَّهُ الصَّدرِ، وَنَفْثَهُ الْغَيْظِ، وَتَقدِمَهُ الْحُجَّهِ، فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَهَ الظّهْرِ [۱۵۹] نَقِبَهَ الْخُفِّ، [۱۶۰] باقِيَهَ الْعارِ؛

[صفحه ۱۸۹]

مَوْسُومَهً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ؛ [۱۶۱] مَوْصُومَهً ب «نارِ اللهِ الْموقَدَهِ التِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأفْئِدهِ إنَّها عَلَيهِمْ مُوصَدَهٌ» فَبِعَيْنِ اللهِ [۱۶۲] ما تَفْعَلُونَ «وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ». وَأَنا ابنهُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَديدٍ. «فَاعْمَلوُا إنّا عامِلوُنَ، وَانْتَظِرُوا إنّا مُنْتَظِروُنَ».

[صفحه ۱۹۰]

کتابک

حقّاً کتابُک تحفهُ الأجيال

فيما احتوی عن أحمدٍ والآلِ

أهديته لمحمَّدٍ ووصيّه

نعم الّذی أهديت خير مثال

إنّی مررتُ علی السُّطور فهزَّنی

ما

فيه من حِكَمٍ ومن أمثال

ما أحوجَ الدُّنيا لمثلك كتاباً

يغذو الورى ببيانه السَّلسال

فاعمل لنشر عقيدهٍ وشريعه

هجرت وكادت تنطوى بزوال

عبد الحسين مهدى صالح

شكر وتقدير

يطيب لى وأنا آتى على خاتمه المطاف فى حديثى عن الصِّدِّيقه الزَّهراء (عليها السلام): أن أُقدّم جزيل شكرى وأجلّ تقديرى لأخى فى الله الأديب الألمعىّ الأُستاذ عبد الحسين مهدى الصّالح الذى تولّى مهمَّه استنساخ كتابى هذا عن نسخته الأُولى، ولا أملك غير أن ارفع يدىَّ بالضّراعه إلى الله العلىّ القدير أن يمنّ عليه بتوفيقاته، وأن يجعله دوماً من جنود دينه القويم وشرعه المقدّس، بمحمّدٍ وآله الطّاهرين.

المؤلف

پاورقى

[۱] ذخائر العقبى: للطبرى.

[۲] ذخائر العقبى

[۳] المناقب للخوارزمى.

[۴] ذخائر العقبى للطبرى.

[۵] الدمعه الساكبه.

[۶] الأُسره المسلمه.

[۷] الدّمعه الساكبه.

[۸] المناقب للخوارزمى.

[۹] المناقب للخوارزمی.

[۱۰] المناقب للخوارزمی.

[۱۱] المناقب للخوارزمی.

[۱۲] فضائل الخمسه من الصّحاح السته.

[۱۳] المجالس السنّیه.

[۱۴] المجالس السنیه.

[۱۵] ذخائر العقبی.

[۱۶] سوره الاحزاب آیه، ۳۳.

[۱۷] إعلام الوری، الطبرسی، فضائل الخمسه من الصّحاح السته.

[۱۸] سوره آل عمران آیه، ۶۱.

[۱۹] مناقب آل أبی طالب.

[۲۰] سوره آل عمران آیه، ۵۹.

[۲۱] نور الابصار، الشبلنجی.

[۲۲] ینابیع المودّه للقندوزی.

[۲۳] مجمع البیان، الطبرسی.

[۲۴] سوره الشوری آیه، ۲۲.

[۲۵] سوره الإنسان آیه، ۷ ۱۳.

[۲۶] المناقب للخوارزمی.

[۲۷] وعاظ السلاطین، الوردی.

[۲۸] سوره الحشر، آیه ۷.

[۲۹] سوره آل عمران آیه، ۳۱.

[۳۰] سوره النجم، آیه ۶۳.

[۳۱] الدّمعه الساکبه.

[۳۲] کشف الغمه، الإربلی.

[۳۳] الفکر الإسلامی، محمد محمد اسماعیل عبده.

[۳۴] هناک أصناف أُخری نصّت علیهم آیه ۳۱ من سوره النور المبارکه وهم: ابن الزوج وأبوه، والأخ ونساء المؤمنین والأیله والأمه وغیرهم.

[۳۵] الدّمعه الساکبه.

[۳۶] الدمعه الساکبه، حیاه الإمام الحسن (علیه السلام) ج ۱.

[۳۷] المجالس السنیه.

[۳۸] المراجعات، شرف الدین نقلاً عن الحاکم والطّبرانی فی

الكبير وغيرهما.

[۳۹] الإحتجاج، الطبرسی.

[۴۰] اقتصادنا، الصدر.

[۴۱] سوره الحشر، آیه، ۷۶.

[۴۲] یقول ابن کثیر فی تفسیره: «إنّ القائلین بأن آیه «وآت ذا القربی حقه...» هی التی أوحت للرسول (صلی الله علیه وآله) فی منح (فدک) للزهراء علی جانب کبیر من الخطأ لأنّ هذه الآیه من سوره الاسراء، وسوره الإسراء مکیه، وقضیّه فدک بکل أبعادها وقعت فی المدینه، ولعل هذا الإدعاء من وضع الرافضه».

وأنا أعجب من هذا القول الّذی یصدر من عالم کبیر کابن کثیر، ویشتدُّ فی استدلاله علی أنّ هذه الآیه لا یُستدل بها ما دامت من سوره الاسراء المکیه، علماً بأنّ کثیراً من السور المکیّه تنطوی علی آیات مدنیّه، وهذه السوره (سوره الاسراء) بضمنها، فهی تحتوی علی عدد من الآیات المدنیه کهذه الآیه عینها «وآت ذا القربی حقّه...». کما ورد ذلک فی تفسیر الکشّاف للزّمخشری، وفی ظلال القرآن، سیّد قطب. ولیعلم ابن کثیر: أنّ هذه الآیه لیست وحدها آیه مدنیّه فی هذه السُّوره، بل هناک الی جانبها آیه ۳۲، ۳۳، ۵۷، ۷۳، الی آیه ۸۰.

[۴۳] کشف الغمه للاربلی.

[۴۴] سوره مریم آیه، ۶۳.

[۴۵] النّص والإجتهاد، شرف الدین.

[۴۶] ورد فی ذخائر العقبی: أن الرّسول (صلی الله علیه وآله) قد بشّر أُمّ أیمن بالجنّه.

[۴۷] اقتصادنا ج۲.

[۴۸] کشف الغمه.

[۴۹] إن کان فی هذا الإستدال حجه فهی علی نقض غرض المؤلف فیما ذهب إلیه ویقال فی جوابه: إنّ أبا بکر وأرکان دولته کانوا علی علم الیقین من أنّ أهل هذا البیت الذین یؤثرون علی أنفسهم ولو کان بهم خصاصه کما تشهد بذلک سوره هل أتی سوف لا یستأثرون بواردات فدک وإنّما یبذلونها فی سبیل الله علی المعوزین والمحتاجین، والإنسان کما یقول أمیر

المؤمنين (عليه السلام) عبد الإحسان، وعندئذ سوف تميل القلوب بطبعها إلى عليٍّ، وكان القوم يؤكدون على بغض عليٍّ ويثيرون كوامن النفوس بأن علياً (عليه السلام) قتل شجعان العرب فهم موتورون منه، وزعموا أنّ العرب كرهت أن تجتمع النبوّه والخلافه فى بيت واحد، وعلى هذا الأساس قامت دولتهم، ووجود الثّروه بأيدى أهل البيت يعنى أنّه سيؤدى نفس الدّور الذى أدّته أموال خديجه، ولا- يتنافى تصور السُّلطه هذا مع الموقف الحقيقى لأهل البيت تجاه فدك، كما لا يكون مبرّراً لاغتصابها أبداً، فهناك حدود شرعيه لا يجوز تعدّيها. وأعجب من كلّ هذا تعبير المؤلف بشراء الضمائر، وهل يحرم بذل المال لاسترجاع الحق المغتصب وتثبيته أم يجب؟ لاسيما إذا توقفت عليه مصلحه عظمى كالقضيه التى يطالب بها الإمام على (عليه السلام)، وإذا كان هذا النّوع من بذل المال شراءً للضمائر وممقوتاً فى نظر المؤلف فماذا يقول عن بذل النبى (صلى الله عليه وآله) أموال خديجه فى نفس الغرض، ونؤكد للمؤلف الجليل أنّ هذا الغرض هو من الأغراض الشريفه وطريق مشروع لمن يريد أن يصل به إلى الهدف، أما استخدامه فى الطرق غير المشروعه لأنّ الغايه تبرر الواسطه فهذا ما لا يتوهمه فى عليٍّ وفاطمه (عليهما السلام) لا أبو بكر ولا حتى إبليس.

وبعد فإنما دفعنى لهذه التعليقه بيان الحقيقه لا غير وكمسأله تستحق المناقشه وأستميح المؤلّف عذراً وشكراً له إن عفى وصفح.

[۵۰] عجم العود: عضّه بأسنانه ليختبره.

[۵۱] شنأتهم: أبغضتهم، وسبرتهم: اختبرتهم.

[۵۲] تدلُّ هذه الفقرات على النيل بسوء والتواء.

[۵۳] الرّبقه: بالكسر عروه فى حبل يجعل فى عنق البهيمه. والأوقه الثقل، والضّمير للخلافه أو فدك.

[۵۴] العَقر بالفتح الهلاك.

[۵۵] الطين الفطن الحاذق بالأمور.

[۵۶] التنمّر: الغضب.

[۵۷] سجحاً بضمتين:

ليناً سهلاً .

[۵۸] الكلم: الجرح، والخشاس بالكسر ما يجعل فى أنف البعير.

[۵۹] أى عظمت بطونهم من الشراب.

[۶۰] أى لم يستفد منه بكثير.

[۶۱] الناهل: العطشان.

[۶۲] احتنكه: استولى عليه.

[۶۳] الذنابى بالضم : ذنب الطائر. والقوادم: الريشات العشر من مقدم الجناح.

[۶۴] الكاهل: ما بين الكتفين.

[۶۵] الذعاف بالضم : السم.

[۶۶] الجأش بالهمزه: النفس والقلب.

[۶۷] كشف الغمه للإربلى.

[۶۸] الدمعه الساكبه.

[۶۹] المجالس السنيه.

[۷۰] شرح نهج البلاغه.

[۷۱] سوره محمد آيه، ۱۲.

[۷۲] سوره التوبه آيه، ۲۲.

[۷۳] المدرسه الإسلاميه ج۱ محمد باقر الصدر.

[۷۴] سوره الأعراف، آيه، ۹۶.

[۷۵] المجالس السنيه ج ۵ محسن العاملى.

[۷۶] المراجعات، شرف الدّين.

[۷۷] الفکر الإسلامی، محمّد محمّد اسماعیل عبده.

[۷۸] آخر آیه من سوره البقره.

[۷۹] سوره التّوبه آیه، ۷۱ یلاحظ تفسیر هذه الآیه فی (تفسیر التبیان للطوسی) لیتّضح إطار الأمر بالمعروف والنّهی عن المنکر.

[۸۰] سوره آل عمران، آیه، ۱۱۰.

[۸۱] منهاج الصالحین، الامام الحکیم.

[۸۲] سوره الإسراء، آیه ۲۳.

[۸۳] سوره النساء، آیه، ۱.

[۸۴] الأخلاق، عبد الله شبر.

[۸۵] سوره البقره، آیه، ۱۷۹.

[۸۶] الکشاف فی تفسیر سوره الدّهر.

[۸۷] سوره المطففین، آیه، ۱ ۳.

[۸۸] سوره الرحمن آیه، ۹.

[۸۹] سوره المائده، آیه، ۹۰ ۹۱.

[۹۰] سوره النور، آیه، ۲۳.

[۹۱] سوره المائده؛ آیه، ۳۸.

[۹۲] فی شرح النّهج لابن أبی الحدید: ج ۱۶ ص ۲۱۱ طبع دار إحیاء الکتب العربیه سند الخطبه هکذا: «قال أبو بکر أی احمد بن عبد العزیز الجوهری عن کتاب السقیفه : حدّثنی محمّد بن زکریا، قال: حدّثنی جعفر بن محمّد بن عماره الکندی، قال: حدّثنی أبی عن الحسین بن صالح بن حی، قال: حدّثنی رجلان من بنی هاشم عن زینب بنت علی بن أبی طالب (علیها السلام)....

قال: أی الجوهری وقال جعفر بن محمّد بن

عليّ بن الحسين عن أبيه...

قال أبو بكر: وحدّثني عثمان بن عمران العجيفي عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام)...

قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن زيد عن عبدالله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن حسن بن الحسن...

قالوا جميعاً : لما بلغ فاطمه (عليها السلام) اجماع أبي بكر على منعها (فدك) لاثت خمارها، وأقبلت في لُمه حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها: ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى دخلت على أبي بكر، وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار. فضربتٍ بينها وبينهم ريطه بيضاء: وقيل قبطيه.

ثم أنّت أنه أجهش لها القوم بالبكاء. ثم أمهلت طويلاً حتّى سكنوا من فورتهم.

ثم قالت: أبتدىء بحمد من هو أولى بالحمد والطّول والمجد... الحمد لله على ما أنعم وله الشُّكر بما ألهم وذكر خطبه طويله جيّده قالت في آخرها. فاتقوا الله حق تقاته...».

[۹۳] السبوغ: الكمال.

[۹۴] جمّ: كثر.

[۹۵] الاحتذاء: الاقتداء.

[۹۶] الذّياده: الصّرف والحياشه: الجمع والسّوق.

[۹۷] البهم بالضم جمع بهمه المبهمات والمعضلات من الامور.

[۹۸] الغمم بالضم جمع غمه: المشكل الملتبس.

[۹۹] خطاب إلى عموم الحاضرين في المسجد.

[۱۰۰] منسأه للعمر: أي: مؤخره له.

[۱۰۱] الشطط بفتحتين : مجاوزه القدر.

[۱۰۲] الصدع: هو الاضهار، والنذاره بالكسر : هو الاعلام على وجه التخويف.

[۱۰۳] المدرجه: هي المذهب والمسلك.

[١٠٤] الثبج بفتحتين : وسط الشيء ومعظمه.

[١٠٥] الكظم بالتحريك : الاجتراع ومخرج النفس من الحلق.

[١٠٦] النكت الضرب الشديد بأداه بحيث يؤثر فى المضروب.

[١٠٧] أى انشق حين ظهر الصباح.

[١٠٨] جمع شقشقه بالكسر ، وهى شيء كالريه يخرجها البعير من فمه اذا

اهتاج.

[۱۰۹] طاح: هلك. والوشيظ: السفله واراذل الناس.

[۱۱۰] المقصود من البيض الخماص: هم أهل البيت (عليهم السلام).

[۱۱۱] شفى بالقصر من كل شىء كرقه وطرقه.

[۱۱۲] المذقه: هو اللبن الممزوج بالماء كنايه عن سهوله شربه.

[۱۱۳] النهزه بالضم : الفرصه.

[۱۱۴] القبسه بالضم شعله من نار تقتبس من معظمها.

[۱۱۵] الطرق بالسكون : المستنقع أو المخاضه التى تبول فيها الابل.

[۱۱۶] القد بالفتح والتشديد : جلد السخله. وبالكسر سير من جلدٍ عليها مدبوغ.

[۱۱۷] البهم بالضم فالفتح : جمع بهمه، وهم الشجعان.

[۱۱۸] نجم: طلع. وقرن الشىء بالفتح : أوله المقصود اتباع الشيطان.

[۱۱۹] فغر فاه: أى فتحه. والفاغره من المشركين أى الطائفه منهم.

[۱۲۰] اللهوات بالتحريك : جمع لهات وهى لحمه فى أقصى شفه الفم.

[۱۲۱] الصماخ: خرق الأذن الباطن من حيث الرأس، وأخمص القدم: مالا يصيب الارض من باطنها.

[۱۲۲] التربص: الانتظار، والدوائر جمع دائره، وهى صروف الزمان.

[۱۲۳] وتتوكّفون، أى: تتوقعون المصائب النازله بنا.

[۱۲۴] النكص: الإحجام والتأخر.

[۱۲۵] فى بضع النسخ (حسكه)، وهى النبته الشائكه، يكنى بذلك عن الحقد.

[۱۲۶] سمل: خلق، والجلباب: الإزار.

[۱۲۷] الكاظم: الساكت.

[۱۲۸] نبغ: ظهر، والخامل: المهمل الذّكر والسّاقط.

[۱۲۹] الهدير: ترديد البعير صوته فى حنجرته، والفنيق: الفحل الّذى لا يركب ولا يحمل عليه.

[۱۳۰] خطر البعير بذنبه: إذا رفعه مرّه بعد أُخرى، يضرب به فخذيه.

[۱۳۱] مغرزه: أى المحل الّذى يختفى فيه، تشبهاً له بالقنفذ.

[۱۳۲] الغرّه بالكسر والتشديد : الغفله.

[۱۳۳] أحمشكم: أى أغضبكم.

[۱۳۴] الوسم: الكيُّ.

[۱۳۵] الكلم: الجرح، والرحيب: الواسع.

[۱۳۶] النفره: القوم الذين ينفرون فى القتال، أو الجماعه يتقدّمون فى الأمر.

[۱۳۷] الحسو: هو الشرب شيئا فشيئا. والارتغاء: شرب الرغوه، وهو اللبن المشوب بالماء.

[۱۳۸] الحز: القطع، والمدى بالضم جمع مديه، وهى السكين، والوخر: القطع.

[۱۳۹] الحظوه: المكانه.

[۱۴۰]

مخطومه من الخطام بالكسر : المقود وهو ما يدخل فى أنف البعير ليقاد به، ومرحوله من الرحل وهو للناقه كالسرج للفرس. كنايه عن فدك المغصوبه.

[١٤١] الخطاب لعموم الأنصار.

[١٤٢] الغميزه بالفتح : ضعفه فى العمل.

[١٤٣] السِّنَةُ بالكسر : النّوم الخفيف.

[١٤٤] وهيه: أى خرقه.

[١٤٥] استنهر: اتسع.

[١٤٦] الرتق: الاصلاح.

[١٤٧] أى قلّ خيرها.

[١٤٨] أُديلت: غلبت.

[١٤٩] البائقه: الداهيه.

[١٥٠] خطاب الى قبيلتى الاوس والخزرج من الانصار.

[١٥١] الجنه بالضم : ما استترت به من السلاح.

[١٥٢] النعره بوزن الشعره : صوت فى الخيشوم.

[١٥٣] جار عن الشىء: مال عنه.

[١٥٤] نكص: أحجم وتأخر.

[١٥٥] أخلد: مال وركن. والخفض: سعه العيش.

[١٥٦] الدعه بالكسر : الراحه والسكون.

[١٥٧] مجَّ الشراب: رماه من فيه.

[١٥٨] الدَسع: الفىء، وتسوغ الشراب: شربه بسهوله.

[١٥٩] احتقبوها، أى احملوها على ظهوركم، ودبره الظهر بالفتح فالكسر : الجراحه التى تظهر على ظهر البعير من الرحل.

[١٦٠] نقب خف البعير: رق وتثقب.

[١٦١] الشنار: العيب والعار.

[١٦٢] الموصده: المطبقه.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹